أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
[illegible] الزيات
[illegible]
جامع الأزهر
[illegible]
ت : ٤٦٢١

سادس — جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ هـ — نوفمبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

الفهرس

صفحة

٦٥٢ عاش شقيا بالدنيا .. ومات سعيدا بالدين
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٦٥٤ أمانة القومية العربية في ذمة الأزهر
للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

٦٥٨ مقارنة لغوية في ضمائر الجنس والعدد
للأستاذ عباس محمود العقاد

٦٦١ كيف دخلت في الإسلام للدكتور: أندريه رومانى

٦٦٥ الأزهر في نظامه الجديد
للأستاذ الدكتور محمد البهى

٦٦٠ اشتراكية الإسلام للأستاذ محمد محمد المدنى

٦٧٥ المطامع مثار الفرقة بين الناس للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٦٧٩ دراسة تاريخ العلم عند المسلمين واجب الكليات بجامعة الأزهر للأستاذ فتحى عثمان

٦٨٣ دراسة عن على مبارك — ٣ —
للأستاذ محمود الشرقاوى

٦٩١ مدينة كانو أكبر مراكز الإسلام في إفريقية الغربية
للأستاذ محمد جلال عباس

٧٠٠ عبرة في حياة أديب للأستاذ محمد رجب البيومى

٧٠٧ رائد القضاء للأستاذ محمد محمد خليفة

٧١٤ الفقه في الدين أمان من الزلل للأستاذ على العمارى

٧١٩ فريضة الصلاة تطهير للنفس للدكتور محمد غلاب

٧٢٤ العرب في أندونيسيا — ٢ —
للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفرى

صفحة

٧٣٣ مراكز اللغة العربية في الهند — ٢ —
للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

٧٤١ مع قضايانا : إننا عائدون — ٣ —
للأستاذ أحمد الشرباصى

٧٤٦ ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع
للأستاذ محمد محيى الدين المصرى

٧٥٠ مقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع الأخرى
للأستاذ عباس طه

٧٥٣ مراكش مستقلة للأستاذ عباس محمود العقاد

٧٥٧ الإسلام والتقدم قصيدة لشاعر العراق :
معروف الرصافى

٧٥٩ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان

٧٦٥ بريد المجلة : رسالة الإمام الأكبر للسيد نائب رئيس الجمهورية بشأن الرقابة على الأفلام السينمائية
ورد السيد نائب الرئيس عليها — تأثيث الحكم على فعلى — حول عقوبة الإعدام — كل ما يزعم الناعون مرتين — تعقيب على رثاء الشريف — حديث بين رئيس البعثة الأزهرية بالصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية .

٧٧٢ بين الصحف والكتب

٧٧٧ أنباء الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عاش شقيًا بالدنيا... ومات سعيدًا بالدين

بقلم: أحمد حسن الزيات

سعادة فى شقاء :

لا أريد بالسعادة ما تناله من لذات العيش فتاتا أو على أجزاء كلقاء صديق بعد فرقة ، أو وصال حبيب بعد قطيعة ، أو قضاء ساعة فى ملهى . أو انبساط قلب فى نزهة ، أو انتشاء نفس فى منادمة ، أو استغراق حس فى جمال ؛ فإن تلك الحالات فلتات عرضية كالانطلاق والضحك والأنس ، تنفك ولا تلزم ، وتنقطع ولا تدوم .

إنما أريد بالسعادة تلك الحال التى تغلب على المرء فى أكثر عمره فيستلذ معها ألم التعب وذل الحرمان ومض اللوم وقبح السمعة ، وهى حال لا أستطيع تعيينها بحد ، ولا توضيحها بتعريف ، وقصارى ما أستطيعه أن أسوق إليك مثلا من أمثالها الكثيرة المختلفة ستجد فى ذاكرتك من غرائبها ما يؤكد لك أن السعادة لا تعرف الإطلاق ، وإنما هى بالإضافة إلى كل إنسان ما ينبثق من الرضا فى نفسه ، ويصح من الهوى فى اعتقاده .

عرفت وأنا فى سن الحداثة رجلا فى أعقاب العمر كان يعيش فى قرية مجاورة . كنت أراه وهو يمر بقريتنا على الطريق الزراعى العام ذاهبا إلى البندر فى الصباح ، أو آيبا منه فى المساء ، فيلفتنى إليه جثته الضخمة على بغلته السوداء ، وعمامته المكورة على رأسه الحليق ، وجبته الجرداء على جسمه البدين ، ووجهه المطهم على صدره العريض ، وبطنه المستفخ على بردعته المضلعة ، فأملأ عينى من منظره العجيب ، وأتبعه بصرى إلى أن يغيب .

وكان فى موعدى غدوه ورواحه أدق ضبطا من قطار الصعيد فى ذهابه إلى دمياط ، ومن قطار المغرب فى عودته إلى المنصورة ، فكان أصحاب الحقول الواقعة على جانبى طريقه يوقنون بهما فيقول أحدهم للآخر : سأعلق الساقية أو سأحل المحراث عند مرور الشيخ على .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وترددت بحكم الجوار القريب على قرية الشيخ على فعلمت أن له فى حياة الناس شأنا لا يقل عن شأن القدر والحظ . كانت بغلته كبغلة العشر التى توزع الذهب والجوهر على الموعودين فى ليلة عاشوراء كما تقول الأسطورة . كان خروجها كخواصل الطير يغدو فارغا إلى البنك ثم يروح ملآن إلى القرية ، فيجد أصحاب الحاجات من رجال ونساء قد تكدسوا أمام الباب وفوق المصطبة ينتظرون ساعة الفرج ومع كل منهم قطعة من نحاس فى يده ، أو حلية من ذهب فى جيبه . فيدخل الشيخ الحجرة الخاصة ويتبعه كاتبه مبروك أفندى ، فيجلس بجانب الخزانة المغبرة ويقعد الكاتب أمام المنضدة العتيقة ، ثم يدعو المنتظرين واحدا بعد واحد ، فمن كان رهنه ذهبا وضعه فى الخزانة . ومن كان رهنه نحاسا ألقاه فى المخزن ، ومن كان رهنه عقارا أخذ منه سند الملكية ، ويختم الراهن أو يوقع على بياض ثم ينصرف ! حتى إذا خلت المصطبة والزقاق من المأزومين والمعوزين صلى المرابى العشاء وتبلغ بشىء من الخبز الجاف مفتوتا فى اللبن الحليب ، ثم أخذ يباشر هو والكاتب تحقيق الأشخاص وتقويم الرهون وتقرير السلفة وتقدير الفوائد وتحرير الصكوك ، حتى ينقضى الهزيع الثانى من الليل فيصرف الكاتب ويعمد هو إلى الخزانة فيحكم القفل ، وإلى المخزن فيوثق الرتاج ، وإلى الدهاليز فيغلق الباب . فإذا اطمأن قلبه على أوانئه كلها تسلل إلى حجرة نومه دون أن يتيح الفرصة لزوجته الصابرة فتطلب النفقة ، أو لأولاده التسعة فيشكوا الضيق ، فينام نوم المهموم القلق حتى يطلع الفجر فيصلى ، ثم يجد الخادم قد وضعت بجانبه على العادة موقد الكحول وبكرج اللبن ، ورغيفين من الخبز الرقيق اليابس ، فيشعل النار ويغلى الحليب ويفتت الخبز ويفطر ، ثم يتهيأ للانتقال إلى حجرة العمل .

فيختبر فى طريقه إليها الأبواب ويفحص الأقفال ثم يفتح الخزانة باسم الله ، ويمد عينه ويده إلى كل موضع من مواضعها الظاهرة والباطنة ، حتى إذا لم يجد ما يريبه أخرج النقود المطلوبة على حسب البيان الذى كتبه فى الليل مبروك ، وجاء المقترضون بعد بزوغ الشمس ليقبض كل منهم المبلغ الذى قدره له رهنه وشأنه . ثم تقف بغلة الشيخ فى ميعادها المألوف على الباب فيركبها إلى المنصورة ، ليقدم إلى المحامى مستندات قضية ، أو ليحضر معه جلسة الحكم فى نزع ملكية !

لم يكن الشيخ على يذوق اللحم إلا مدعوا . ولا يشترى الثوب إلا مضطرا . ولا يعرف الأنس فى أسرة ولا مجلس ، ولا متعة الحديث فى قهوة ولا دار ، فيئست زوجته من عطفه فانصرفت إلى الدجاج والبط ، وقنط أولاده من عونه فتصرفوا فى الربا والتجارة ، وحصر هو دنياه فى البغلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والخادم ، وفى الخزانة ومبروك ، وفى المحكمة والمحامى ، وفى البورصة والسمسار ، فأصبح لا يجد سعادة نفسه ولا لذة عيشه إلا فى مال يقبضه ، أو حكم يكسبه ، أو ملك ينزعه ، أو عقار يشتريه . أما الألم الذى يسببه الحرمان ، والذل الذى يجلبه الطمع ، والندم الذى يبعثه الضمير ، فقد مات ذلك كله فى شعوره وغاب أثره عن باله . عنده البنون ولا يجد فيهم عزاً ولا زينة ، وفى بيته الخير ولا يبلغ به رضا ولا سكينة ، وفى يده المال ولا يأكل فى الدار إلا الخبز فى اللبن ، ولا فى القهوة إلا السعيد فى الشاى . وكل عزه وغاية رضاه أن يرى المحتاجين يتزاحمون على بابه باكين أو ضارعين يتوسلون إليه أن يعجل السلفة أو يؤجل السداد أو يرفع الحجز وهو يزور عنهم ويتدلل عليهم وانما رأسه من التيه ، لا ربا شدقه من الكبر .

وسرت الأعوام على خطوات البغلة وصفقات المرابى تضربت دورة لتمر دورة ، وفاضت موارد لتفيض موارده ، وطفحت الخزانة بالذهب فترك البغلة وركب القطار ، وأنكر المنصورة وعرف الإسكندرية ، وأفرغ خزانة النقود ، ليضارب فى بورصة العقود ، فلم يحل عليه الحول حتى خسر تسعين ألف جنيه عينا . وحينئذ أحس بالشقاء وشعر بالفراغ وأدرك أن كل شخص يدريه ، وأن كل شىء يعوزه . فلما رجع إلى مبروك أفندى صفى معه الحساب فوجد ما خسره فى المضاربة هو كل ما ربحه من الربا ، فانبعث فى صدره إيمان كان قد مات ، وتيقظ فى ضميره شعور كان قد رقد ، ورأى أن هناك غير المال الذى عبده إلها آخر لا يضيع فى البورصة ولا يغيب فى المصيبة ولا يتخلى فى الشدة ، فرجع إلى الله وأصبح يصلى ووجهه إلى القبلة بعد أن كان يصلى ووجهه إلى الخزانة . ثم ضم زوجه إلى قلبه ، وآوى بنيه إلى عطفه ، وأطلق أيديهم فيما بقى من ثروته وهى الأرض الطيبة والتجارة الحلال ، وتفرغ هو لاستقبال التوجيه السماوى للخير . فمسح بالصدقة دموع الربا ، وفرج بالمعروف كروب المنكر ، وتغير فى ذهنه مدلول السعادة فاعتقده فى إيثار الغير لا فى أثرة النفس ، وفى بسمة الشاكر لا فى دمعة المحتاج . وانحصرت فى دنياه حدود الغبطة فلم تعد الإيمان بالله والإحسان إلى الناس ، فحج البيت وتطهر فيه ، وبنى المسجد ووقف عليه . ثم تنفس به العمر حتى شارف المائة فانتقل إلى جوار ربه وحيالة الحافلة بالكد والدأب ، والربح والخسارة ، والشر والخير ، مصداق لقول الرسول الكريم : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، تغمده الله بالغفران على ما أساء ، ومن عليه بالرضوان على ما أحسن .

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمانة القومية العربية في ذمة الأزهر

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

وجهت إلينا بجموعة من الأسئلة تدور حول القومية العربية ، ومدى ما يمكن أن تؤديه في توجيه العالم إلى نواحي البر والخير ، ومكان الجامعة الأزهرية في كل هذه النواحي ولا بد أن نقدم بين يدي الموضوع بحقائق تمهد له وتلقي مزيداً من الضوء عليه ، فإن لكل أمة شخصية حسية تتصل بالجو والإقليم والمساحة وطبيعة الأرض ونظام البيئة ، وما يتبع ذلك من تأثير هذه العوامل في أبنائها من حيث الطول والعرض واللون وما إلى هذه السمات من الأوصاف الحسية الملموسة أو الأصول التي تنتسب إليها .

ولكل أمة كذلك شخصية معنوية تتمثل في إيمانها ومبادئها وأهدافها وخططها التي تسير عليها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها .

ولاشك أن الشخصية المعنوية للأمة تقوى بمقدار قوة الروابط القلبية والعقلية والشعورية ، وكلما قويت هذه المعاني في أمة كان لها بين الأمم المركز القوي والمكان السامي .

ولقد كان التراث الإسلامي الأصيل الذي انتشر في أنحاء العالم هو الحبل السماوي الذي ربط الأمة العربية من جميع أطرافها .

وكان تدوين هذا التراث باللغة العربية ، فإنها اللغة التي عبر بها المسلمون عن شتى جوانب الفكر في حياة المجتمع الإسلامي والعربي .

والمتتبع لاتجاه هذا التراث في كل نواحيه يجد منبعه من القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل من القرآن الكريم وأقوال الرسول عليه السلام بلسان عربي مبين ، هذه العربية التي كانت لغة التنزيل ووسيلة البيان للرسول هي التي وحدت بين الأمم التي شع فيها نور القرآن وتألق فيها هدى النبي عليه السلام ، وبذلك تعرب كثير من المسلمين ، ورأوا في اللغة العربية وسيلة اتصالهم بهذا الدين الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

وكم من شعب غير عربي صار بالإسلام والقرآن عربيا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعلى هذا النحو التقت العروبة والإسلام في محيط الثقافة التي تدفقت من القرآن لهذه الأمة، وامتزجتا كل الامتزاج، وأصبحتا لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، بل كان ترابطهما ترابطا فعالا قويا وعلى هذا الأساس تواصلت الأمم الإسلامية واتحدت أهدافها وتقاربت أغراضها، لأن العربي غير المسلم يفزع بقلبه إلى القرآن، ويتجه بشوقه إليه.

إن المسلم من غير العرب يميل بقوة نحو القرآن، لأنه الذي يذكي إيمانه، ويغذي دينه، ويروي جذور عقيدته، فذلكم هو الرباط القوي الذي ربط الله به بين الأمم العربية فكان أقوى من رباط اللون، ورباط الجو، فإذا تألق نجم القومية العربية الآن وازدهر فذلك للمعاني القلبية التي أذكاها المخلصون من أبناء هذه الأمة. إنها هي كوامن راسخة في الضمير ومعان ثابتة في الشعور والتفكير.

إن العربية التي تحركت وسارت الآن بخطى واسعة وانطلقت في عمل متصل لتحقيق معاني البر والخير للعرب وللإنسانية، ليست عربية الجو ولا عربية الإقليم ولا عربية النسب إلى العرب. إنما هي عربية الشخصية المعنوية التي تتكون ملامحها من طبيعة الشعور والضمير والتفكير.

هذه هي الأسس التي قامت عليها القومية العربية وستظل تروي من هذا المعين الذي لا ينضب.

وللقومية العربية الآن رائدها البصير وقائدها الملهم الرئيس جمال عبد الناصر، فإنه آمن بها ورأى فيها القوة التي تحطم على صخورها الصلدة قوى الأمم الظالمة الطاغية التي حبست معاني الحياة عن الأمم الضعيفة أو الآخذة في أسباب القوة.

إن القومية العربية هي التي ستوقف نشاط التسلح الذي تتسابق في ميادينه دول دأبها الاعتداء ودول تقوم على أكتاف دول الاعتداء، إنها تقف وراء كل دولة ضعيفة تناصرها وتشد أزرها وتذود عنها، وهي إلى ذلك تقيم الاقتصاد العربي على دعائم قوية.

فقد أتى على الاقتصاد العربي حين من الدهر غط في نوم عميق واعتدى بغاة كل زمن عليه، وكنا في هذه الحقبة من الزمن نكاد نتسلخ عن مقوماتنا في حياتنا العربية القومية الأصيلة، إذ تدفقت عليه تيارات جارفة وأمم مستعمرة محطمة، فسارع كثير منا إليها وارتموا في أحضانها ناسين أصلهم العريق ومجدهم التالد، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة.

وإذا كانت هذه التيارات التي تدفقت علينا شاءت أن تحطم كياننا وإذا كان الرائد الأول جمال عبد الناصر، قد جعله الله منقذا لقوميتنا. فقد وقف الأزهر في هذه الحقبة من الزمن وقفة الصامد الذي لا تزعزعه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الخطوب ولا تهده الأحداث ، وكان من بين المراكز التى قامت على خدمة الشخصية العربية بل كان هو المركز الوحيد الذى يعد الآن مركزا عاما هاما للدراسات الإسلامية وما يتصل بها من دراسات عربية لجميع الشعوب الإسلامية والعربية .

فرسالة هذه الجامعة من يوم أن أنشئت هى المعارف الإلهية التى رسمت بها السماء شخصية الأمة الإسلامية ، وإذا قلنا الإسلامية دخلت فيها العربية بكل معانيها ، كما بيناها ووفينا الكلام فيها .

إن الأزهر فى الواقع هو الجامعة التى ألقى على كاهلها منذ أنشئت الاحتفاظ بهذه الشخصية المعنوية لهذه الأمة .

إنه المعهد الذى سلمت إليه أمانة الاحتفاظ بالقومية العربية .

هذا الأزهر بالرغم من وجوده وحيائه فى قلب الجمهورية العربية المتحدة له طابع دولى وعربى هام ، إذ هو المنارة العالية التى تتوجه إليها أبصار طلاب المعرفة من كل مكان ، والباحثين عن الحقائق العربية والإسلامية فى كل زمان .

إن الجامعة الأزهرية تعتبر فى كل نواحيها مصدر الإشعاع الدائم والتوجيه المتواصل لخدمة شعوب العربية .

فكل دول العربية وكل دول المسلمين ارتشفت من منهل هذه الجامعة واستقت من ماء الحياة فيها . وهو ماء لا يعرف الفرقة وإنما يتجه إلى الوحدة الشاملة والغايات المتحدة والقوى المترابطة ، فالأزهر يبنى هذه المعانى فى كل هذه الدول .

فمهمة الأزهر ليست مهمة محلية من حيث الدراسات فى بعض نواحى الإنسانية العامة التى يتناولها الناس جميعا ، وإنما هى مهمة تجاوزت ظاهر الحياة إلى باطنها فى كل نواحيها ، تجاوزت توصيل المعرفة إلى الأفراد والجماعات إلى تنمية العلاقات بين الشعوب والأمم عن طريق القلب والإيمان والشعور القوى بمهام الأمور ودقائقها .

إن رسالة هذه الجامعة الكبرى هى القوة المتينة والحبل الممدود من السماء إلى الأرض المعهد للسياسة العربية والمعهد للمجال الحيوى لشعوب تلكم السياسة .

هذا هو دور الأزهر فى مجال القومية العربية ، وإنه اليوم لأصلب عودا وأقوى شخصية بمقدار ما يبذله رجال ثورتنا الخالدة ويمنحه له قلب هذا الرجل القوى فى إيمانه وفكرته : جمال ، الذى يحرص على أن تكون جامعة الشعوب (الأزهر) فى أبهى ثيابها وأجل معانيها وأقوى أهدافها لتواصل السير بالأمم العربية والإسلامية إلى الأمام ، إلى القمة والذروة العليا .

محمود شلتوت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مقارنة لغوية
في ضمائر الجنس والعدد

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أقدم ألفاظ اللغة الضمائر وما إليها من الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة لأنها وجدت مع أقدم الأسماء في وقت واحد ، لتنوب عن اسم الشخص المخاطب والغائب ومن هو في حكمه . فيقول المتكلم لمن يخاطبه (أنت) ويقول عن الغائب أو الحاضر الذي لا يتجه إليه الخطاب (هو) ويستغني بذلك عن إعادة الأسماء في كل خطاب أو إشارة .

ولا يخفى أن الأسماء لا توجد في القدم دفعة واحدة ولا تزال في ازدياد وتغيير مع تطور اللغة واتساعها ، فهي - لهذا - لا تصلح كلها للمقارنة بين اللغات المختلفة ، وبخاصة مقارنة اللغات التي يراد بها الدلالة على القدم أو على أحوال اللغات في مادتها الأولى .

أما الضمائر فهي محدودة معدودة لا يصعب إحصاؤها أو تتبع أدوارها في تطوراتها وتبديلاتها ، فهي - لهذا - موضوع من موضوعات المقارنة بين أقدم اللغات وأحداثها وهي أدل من الأسماء على عراقة اللغة وتطور استعمالها على حسب الحاجة إليها .

وبهذا القياس من مقاييس المقارنة يمكن أن يقال إن اللغة العربية أقدم اللغات الحية بلا استثناء ، وإنها من أقدم اللغات جميعا إذا شملنا بها اللغات المندثرة التي تعرف بالتعليم ولا يجري بها الخطاب اليوم بين الأمم الحية .

وبهذا القياس أيضا يمكن أن يقال إن اللغة العربية أعرقها تطورا وتدرجا في الاستعمال على حسب الحاجة ، فليست مزيتها الكبرى أنها قديمة معرقة وحسب ، ولكنها تضيف إلى ذلك مزية أخرى وهي تمام التطور في استعمال الضمائر حيث تظل اللغات الحية ناقصة أو جامدة لا تقبل النمو على جذورها الحية من جديد .

أما إنها أقدم اللغات الحية بدلالة الضمائر والأسماء الموصولة فهو ظاهر من احتوائها عليها جميعا وبقاء أصولها جميعا فيها إلى اليوم مستعملة لأغراضها التي تناسبها .

فالضمائر في اللغات الجرمانية واللاتينية هائية أو ذالية أو لامية . ونعني بالهائية ما يظهر فيها حرف الهاء . وبالذالية ما يظهر فيها حرف الذال ومقابلاته في اللغات الأخرى ، وباللامية ما يظهر فيها حرف اللام كما يظهر في الألف واللام الموصولة عندنا .

ففي اللغة الإنجليزية تستعمل he (هي) لضمير المذكر الغائب (هو) باللغة العربية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكانت (هيو) تستعمل لضمير المؤنث الغائب heo إلى القرن الثاني عشر ، مقابلة (هى) باللغة العربية .

ومن أسمائهم الموصولة what (هوات) بضم الهاء ، و whose (هوز) وهى تستعمل عندهم كثيرا فى مواضع الذى والتى والإضافة للملكية .

وفى اللهجات الجرمانية والتيوتونية تستعمل (زى) Zij فى الدنمركية و (زيو) فى السكسونية القديمة و (زو) فى الايسلاندية بمعنى (هى) العربية .

وفى اللغات اللاتينية تستعمل (ال) IL بمعنى (هو) وتدخل (ال) التعريف بلفظها ومعناها على بعض الأسماء الأسبانية .

ولا يجوز أن ننسى حرف (التاء) فى هذا المقام ، فإنها ـ وإن لم تثبت مع كلمات الضمائر كحروف الهاء والدال واللام ـ إلا أنها تعم فى اللغة العربية للدلالة على التأنيث وتأتى عرضا فى بعض اللغات للدلالة على التأنيث والتذكير معا كما جاءت فى (توا) toi الفرنسية و thou الانجليزية ، وغيرها .

ويدل هذا على أنها أصيلة فى اللغة العربية مستعارة ـ أو عرضية ـ فيما وردت فيه من اللغات الأخرى .

وعلامة التطور أظهر من علامة القدم فى استعمال الضمائر وتحديد مواضعها ، كما هو ظاهر فى الدلالة على الجنس والدلالة على العدد ولا مثيل للغة العربية فى كلتا الدلالتين .

فالجنس فى الأغلب الأعم من اللغات الهندية الأوربية ينقسم إلى ثلاثة أقسام : مذكر ومؤنث ومحايد . أى ليس بالمذكر ولا بالمؤنث .

وهذا وضع عقلى مخطئ ، لأن التقسيم الصحيح فى الجنس المتميز أنه مذكر ومؤنث وليس هناك جنس ثالث متميز يسمى بالمحايد بل هناك أشياء لاجنس لها أصلا يستعار لها الجنس على سبيل المجاز ، فتلحق بالمذكر أو بالمؤنث على حسب المناسبة عند وضعها ، وليس هناك جنس ثالث ولو على الشذوذ كما يعرض للذكر المشكل أو للأنثى المشكل ، فإنهما فى حقيقة التقسيم ذكر غير متميز أو أنثى غير متميزة ، ولا ثالث للجنسين يسمى بالجنس المحايد بينهما .

وفى اللغة العربية تمييز بين الضمائر فى حالات الإفراد والجمع لا يعرف لغيرها بعمومه ودقته وتنوع تصريفاته ، فـ (هم) لجمع المذكر و(هن) لجمع المؤنث ، و (أنت) بفتح التاء للمخاطب المفرد و (أنت) بكسرها للمخاطبة المفردة و (أنتم) و (أنتن) للمخاطبين والمخاطبات ، وهذا عدا التمييز بين علامات جمع الأسماء كالمؤمنين والمؤمنات والمتكلمين والمتكلمات ، وعدا التمييز بين الضمائر فى حالات الفعل النحوية والصرفية بالنسبة للجنسين .

ولا توجد لغة حية تلتزم التفرقة على قواعدها المطردة كما تلتزمها اللغة العربية .

ومن أدق الفوارق العقلية الملحوظة فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مسألة الجنس أن اللغة العربية لا تفرق بين الدلالات الجنسية بتقسيمها إلى مذكر ومؤنث أو محايد بين الجنسين ، ولكنها تفرق بينها بتقسيمها إلى ما يدل على العاقل وما يدل على غير العاقل ، وهذا هو التقسيم العقلي المنطقي الصحيح مستقرا فى تكوين اللغة لأنها لغة متطورة بالاستعمال إلى ما يناسب الكلام والتفكير ، فالفرق بين (من وما) فى اللغة العربية هو فرق بين عاقل وغير عاقل وليس فرقا بين جنس مذكر أو مؤنث وجنس محايد بينهما لا هو بالمذكر ولا بالمؤنث ولا بالمشكل الذي يحسب مذكرا تارة ومؤنثا تارة أخرى.

ولولا أننا نتكلم هنا عن الضمائر لاستطردنا إلى الكلمات التى تطلق على الجنسين ويجعلون لها عندهم جنسا نحويا يسمى بالجنس المشترك Common ولكنه بحث آخر نرجئه إلى غير هذا المقال لأنه يحتاج إلى تفصيل يستوفيه مقال خاص .

* * *

ومن علامات التطور فى ضمائر اللغة العربية دلالتها الصحيحة على العدد كدلالتها الصحيحة على الجنسين أصلا واستعارة .

فالضمائر فى اللغات الهنـــدية الجرمانية لا تعرف غير حالتين لضمير العـدد هما حالة الإفراد وحالة الجمع .

ولكن اللغة العربية تعرف لها حالة ثالثة هى حالة المثنى وهو من وجهة التفكير المنطقي ليس بالمفرد ولا بالجمع ، فإن اثنين لا يكونان جماعة من الناس أو غيرهم ، والواحد لا يقابل حالة الجمع وحدها بل يقابل أيضا حالة الواحد مع واحد آخر لا أكثر . وليس واحد وواحد بالكثرة الجماعية ، ولكنهما واحدان غير منفردين .

والدقة البالغة فى اللغة العربية أنها لا ترى لزوما عقليا لتنويع ضمائر الثلاثة وما فوقها ، لأن الفرق بين الثلاثة والأربعة كالفرق بين الثلاثة والعشرة والعشرين ، ليس فرقا فى كنه (الجمعية) أو فى الخاصة الجمعية ، ولكنه فرق فى صغر الجماعة وكبرها ، فالثلاثة جماعة صغيرة والألف جماعة كبيرة ، وقد تكون الألف جماعة صغيرة بالقياس إلى عشرات الملايين ، وكلها (جماعة) من وجهة الحد العقلي أو الحد المنطقي . وإن كانت من وجهة الحساب جماعة صغيرة وجماعة كبيرة وجماعة أصغر أو جماعة أكبر ، على حسب المقدار الحسابي الذى لا يحصر فى تحديد معنى الجمع والتثنية والإفراد .

وتتم الدقة حين نلاحظ أن اللغة العربية تستدرك التفرقة بين الضمائر بالتفرقة بين جموع القلة وجموع الكثرة ، فإن التفرقة بين الثلاثة والألف بضمير خاص غير معقولة فى باب التفرقة بين الجماعة وغير الجماعة . ولكن التفرقة بين جمع للقلة وجمع للكثرة هو المعقول

(البقية على صفحة ٦٦٤)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله إليه فأنار قلبه وليس تلك الصورة القائمة للإله أو ابن الإله ، الشخص الثانى فى عقيدة (التثليث) كما يعلم الكاثوليكيون وكما يريدون .

إن الصلاة الإسلامية التى هى عامل خضوعى عظيم ترضى روحى تماما وتسكنها بجعلها على اتصال مباشر بالله ، وفى صلاة الجماعة بالمسجد راحة لى وطمأنينة فهى تجعلنى أشعر بتضامن الأخوة الإسلامية .

وهكذا أخيرا أسبغت على وجودى صفاء ووضوحا إلهيين . ونظرا لعدم استطاعتى التسليم بأن للإنسان (إرادة حرة) — اعتنقت الدين العظيم ، الدين الحق دين الإسلام والخضوع لأوامر الله العالم بكل شىء المقرر لكل شىء والمقدر له ،

ومع كل المرارة التى عانيتها والإهانات التى كابدتها فى الصومال وفعل مواطنى القدامى فإن هذه السنوات التى أمضيتها فى هذا البلد المضياف بين إخوتى المسلمين كانت أجمل وأصفى وأهدأ سنى حياتى .

٤ — ماذا وجدت فى الإسلام ؟

لقد وجدت فى الإسلام أخيرا سلام نفسى وسكينة روحى وأشكر الله القوى الرحيم .

الدكتور أندريه روماني

ترجم المقال الأستاذ محمد على ناصر المدرس بالمدرسة الوسطى (بمقديشيو)

(بقية المنشور على صفحة ٦٦٠)

فى حساب الفكر وفى حساب الأرقام على السواء ، وإن السامع ليدرك من مجرد السماع أى الجمعين يدل على القلة وأيها يدل على الكثرة مع اختلاف الأوزان بين بعض الكلمات ، فلا التباس بين دلالة أبسطة وبسط ولا بين دلالة أرغفة ورغفان ، ولا بين دلالة أقفل وقفول ، لأن السامع العربى يفهم على الأثر أن أبسطة وأرغفة وأقفلة للقلة وأن (بسط ورغفان وقفول) للكثرة مع اختلاف أوزان فعول وفعلان وفعل بضم الفاء والعين .

ولابد لهذا الاطراد فى الاستعداد لفهم هذه الفروق من أصل صوتى أو اصطلاحى متشابه يرجع إليه ارتباط كل وزن من هذه الأوزان بمعنى القلة أو بمعنى الكثرة . وقد يكون للأصل الصوتى ارتباط بالإشارة المصاحبة لإظهار الحيز أو الصورة المقللة ، والمكثرة على حسب المشاهدة بالنظر ، وكل ذلك مما يصعب تحقيقه الآن ونحاول أن نحقق بعضه على التقريب جهد المستطاع . ولكنه يشير على جميع الحالات إلى القوانين العريقة التى عملت فى هذه اللغة الجميلة الوافية عملها العميق ، فبلغت مبالغها الذى لا مثيل له بين اللغات من التطور الوافى والتمييز المفيد ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كيف دخلت في الإسلام

للدكتور أندريه رومانى

مقدمة :

كاتب هذا المقال لم يولد من أبوين مسلمين حتى يقال « إنه ورث الإسلام عنهما بدون نظر أو تفكير » . . ولم ينشأ فى بيئة إسلامية حتى يقال . . « إن عوامل البيئة قد أثرت فى عقيدته الدينية » ، لكنه ولد لأبوين مسيحيين ومكان ميلاده : (كازولا آن لونيجيانا — توسكانا — إيطاليا) .

وزمن الميلاد هو عام ١٩٠٤ ، وقد تلقى فى إيطاليا تعليمه الابتدائى والثانوى والجامعى ونال شهادة الدكتوراه فى الطب . . وكذلك فى علم النفس .

وقد بدأ قراءته الواعية اليقظة لكتب القديس توما الإكوينى الكاثوليكى الأكبر لعقيدة التثليث ولم يستطع عقله أن يقبل هذه العقيدة فاتجه إلى التفكير فى عقيدة التوحيد وأعلن إسلامه وابتدأ يعلن رأيه فى عقيدة التثليث . ولقى ألوانا من الأذى والاضطهاد من بنى جنسه حتى أنه سجن زمنا طويلا أيام الفاشست . مما دفعه إلى أن يسافر إلى فرنسا ، ثم يتجه إلى إفريقيا فيزور السنغال والكونغو وتنجانيقا ومنها رحل إلى آسيا بحثا وراء المعرفة ليقيم باليابان زمنا ثم ينتقل إلى أندونيسيا وينتهى به المطاف إلى الصومال ، هذا البلد الذى يعتنق أبناؤه جميعا عقيدة الإسلام عن إيمان وتدبر فأنس إلى أبناء البلاد ، وأقام بينهم وتزوج إحدى فتياتهم وهو الآن يعمل مدرسا للغة الإيطالية بمعهد الدراسات الإسلامية بمقديشيو ابتداء من العام الدراسى الحالى .

وإننى أعرفه ويعرفنى منذ سنوات لكننا لم نشترك فى عمل واحد إلا فى هذا العام وأذكر أنه لما لقينى فى المعهد أول يوم عمل فيه ، أقبل على معانقا وشد على يدى وقال : الآن وجدت الطريق لأتعلم اللغة العربية وأتزود من ثقافة الإسلام على أيديكم .

إن أمنيته أن يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة حتى يستطيع كما يقول أن يقرأ كتاب الله الكريم باللغة التى أنزل بها على محمد بن عبد الله وها هى ذى ترجمة مقالته التى كتبها بالإيطالية . . .

(عبد الرحمن النجار)

١ — الطريق إلى الإسلام :

لقد كان طريقاً طويلا ذلك الذى أدى بى إلى الإسلام ، وأستطيع أن أؤكد أن لتحولى جذوراً دينية عميقة وأسبابا ثابتة سواء أكان ذلك لمزاجى وطبيعتى الخاصة التى تميل إلى نوع من البحث الفلسفى أم لميل فطرى إلى التوحيد ذى الفكرة الدينية النقية الصافية . فمنذ شبابى الباكر أحسست دائما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باهتمام « بالأعمال » الدينية للإنسانية ، وقد كنت أستند بوجه خاص إلى تاريخ مختلف الأديان، ولأنني ولدت في أسرة شديدة المحافظة على التعاليم الكاثوليكية فقد أرغمت منذ طفولتي على القيام « بالواجبات » الطقسية الكاثوليكية ، وأعترف بأنني شعرت دائماً بنفور شديد وكراهية عميقة لبعض الطقوس القائمة أساساً على الاعتقاد في الصور ... والتماثيل . لقد كانت مظاهر تترك في نفسي فراغا روحيا حادا وعدم رضاء متواصلا دائما ، وفي أثناء تلك « الواجبات » كان عقلي يسرح غريزياً في الطقوس الوثنية ويميل إلى أن يرى الدين الكاثوليكي للوثنية الفعلية تحت شعار المسيحية .

وأمضى قدما في دراسة الآباء الكبار الكنيسة روما : الأمر الذي كان يقوي في نفسي - أكثر فأكثر - يقيني بوحدانية الله ! ! !

إن الله واحد وليس له ولد ! ! !

وليس هنا مجال مناقشة فكرة « تثليث الإلـــه الكاثوليكية » التي هي في بعض أجزائها ... بروتستانية أيضا .

وقد دفعتني القراءة الواعية اليقظة الكتب القديس توما الإكويني العالم اللاهوتي الكاثوليكي الأكبر لعقيدة التثليث ، دفعتني - أكثر دائما - نحو فكرة « وحدانية الله » القوية الثابتة .

إنها طريق قطعتها بمشقة وتعب ، أبعدتني عن الكاثوليكية وقربتني ، بدون انتباه ، إلى الإسلام ، دين الوحدانية الرائع الذي هو أكثر الأديان صفاء وانطلاقا .

وكان الدليل الروحي لي في هذا السير كتابات كبار الموحدين زمن النهضة الأوربية أمثال سوشينودا سيينا ، والأسباني سيرفيتو أكبر المفكرين لفكرة تثليث الإله . وقد عملت رسائل بيتشي ديلا ميراندولا التي كتبها ضد مذهب الصور والتماثيل الوثني - ذلك الذي طالما أثار في الاشمئزاز - عملت هذه الرسائل على إقناعي بصحة تفكيري ، ولقد أحسست دائما نحو الإسلام - وبصورة تكاد تكون طبيعية ومقدرة من السابق - بميل شديد وانجذاب قوي فعال ، وكنت أرى في إيطاليا أن عددا قليلا جداً من الناس يعرف هذا الدين الشريف العظيم ، الذي تعتبره الأغلبية هناك دينا المتعصبين وقتلة المسيحيين .

وعندما وصلت في دراستي إلى الجامعة كان من حظي متابعة دروس « الدوبراندينو مال ثازي » أستاذ الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي الذي ربما يمكن اعتباره حتى اليوم أكبر دارس للإسلام في أوربا كلها ، إنه لإيطالي عظيم ولكنه غير معروف في الصومال .

٢ — هكذا عرفت الإسلام :

وهكذا عرفت الإسلام بعمق في تاريخه وشريعته وأحكامه ، وفي مبادئه الإلهية السامية وعرفت أن الإسلام ليس مجرد مظاهر زائفة كما روج المسيحيون قرونا ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكنه كان وما زال مظهرا لفكرة دينية صافية خالصة تشكل من نفسها حضارة كاملة . وإنه لمن الغريب أن يعرف الأوربيون القليل عن الإسلام والحضارة الإسلامية ، وهم الذين عاشوا قرونا على اتصال بالمسلمين ! ! .

وفى أوربا يتحدث الناس عما يسمى بالتعصب الإسلامى ، ولكنهم ينسون أن يقولوا إن المسيحيين استطاعوا أن يواصلوا الحياة بين المسلمين بينما لم يقدر المسلمون أبدا على أن ينالوا حظا من ذلك . ولنفكر فقط فيما حدث للمسلمين فى أسبانيا وصقلية لنصمت عما بقى كله ، هذه هى الحقيقة .

وبالرغم من أننى أجبرت على أن « أظهر » كاثوليكيا (وفى إيطاليا من الضرورى أن « تظهر » فقط لا أن « تكون ») بالرغم من ذلك يمكننى أن أعلن وأنا واعى الضمير أننى لم أكن أبدا كاثوليكيا لنفور طبيعى أشعر به نحو المبادئ الأساسية لهذا الدين ونحو الفكرة اللاهوتية للتثليث ونحو مذهب الصور والتماثيل الداعى إلى الوثنية .

إن ثقافتى الواسعة وتجاربى الأليمة فى الحياة ، والاضطهاد الخاص الذى عانيت منه فى البيئة الكاثوليكية الإيطالية ـ هذه كلها دفعتنى ـ أكثر فأكثر ـ وبلا انتباه تقريبا فى طريق الإسلام بسبب حاجتى إلى دين يدعو إلى التوحيد فى قوة ، ويسمح بالقرب المباشر ، دون وسطاء بين الإنسان والخالق ، دين ذى روح عالمى وشعور عال بالتضامن بين المؤمنين المخلصين .

وواضح أن الإسلام فقط هو الذى كان بإمكانه أن يقدم إلى ما طلبت من تهدئة روحى المعذبة .

ومن قبل أن أترك البلد الذى نشأت فيه كنت أحس بنفسى مسلما . وكان القرآن يمثل قراءتى المفضلة المتروية ، بإنسانيتى وبوثباتى وانطلاقاتى الروحية الصافية الخالصة العظيمة نحو الله ، الرحيم القوى .

لقد كان على منضدتى الصغيرة بالقرب من السرير وفى متناول اليد .

وليعلم جيدا أننى جئت إلى الصومال كمسلم لأمارس بحرية عقيدتى بين إخوانى ولم آت لمنصب أو لجاه أو نفوذ . إننى مسلم باقتناعى العميق وليس من أجل استجداء شىء من أحد وقد توصلت إلى الإسلام عن طريق دراساتى وتجاربى القاسية فى البيئة الكاثوليكية وعن طريق مختلف الاضطهادات التى لاقيتها والتى استمرت أيضا فى الصومال البلد الإسلامى .

٣ — أنا مؤمن بإله واحد :

أنا مؤمن بإله واحد لم يلد ولم يولد . مؤمن بأنبيائه مؤمن بمحمد خاتم رسله العظام وإن رسول الله عيسى ليظهر لى الآن إنسانا عظيما أوحى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله إليه فأنار قلبه وليس تلك الصورة القائمة للإله أو ابن الإله ، الشخص الثانى فى عقيدة (التثليث) كما يعلم الكاثوليكيون وكما يريدون .

إن الصلاة الإسلامية التى هى عامل خضوعى عظيم ترضى روحى تماما وتسكنها بجعلها على اتصال مباشر بالله ، وفى صلاة الجماعة بالمسجد راحة لى وطمأنينة فهى تجعلنى أشعر بتضامن الأخوة الإسلامية .

وهكذا أخيرا أسبغت على وجودى صفاء ووضوحا إلهيين . ونظرا لعدم استطاعتى التسليم بأن للإنسان (إرادة حرة) — اعتنقت الدين العظيم ، الدين الحق دين الإسلام والخضوع لأوامر الله العالم بكل شىء المقرر لكل شىء والمقدر له ،

ومع كل المرارة التى عانيتها والإهانات التى كابدتها فى الصومال وفعل مواطنى القدامى فإن هذه السنوات التى أمضيتها فى هذا البلد المضياف بين إخوتى المسلمين كانت أجمل وأصفى وأهدأ سنى حياتى .

٤ — ماذا وجدت فى الإسلام ؟

لقد وجدت فى الإسلام أخيرا سلام نفسى وسكينة روحى وأشكر الله القوى الرحيم .

الدكتور أندريه روماني

ترجم المقال الأستاذ محمد على ناصر المدرس بالمدرسة الوسطى (بمقديشيو)

(بقية المنشور على صفحة ٦٦٠)

فى حساب الفكر وفى حساب الأرقام على السواء ، وإن السامع ليدرك من مجرد السماع أى الجمعين يدل على القلة وأيها يدل على الكثرة مع اختلاف الأوزان بين بعض الكلمات ، فلا التباس بين دلالة أبسطة وبسط ولا بين دلالة أرغفة ورغفان ، ولا بين دلالة أقفل وقفول ، لأن السامع العربى يفهم على الأثر أن أبسطة وأرغفة وأقفلة للقلة وأن (بسط ورغفان وقفول) للكثرة مع اختلاف أوزان فعول وفعلان وفعل بضم الفاء والعين .

ولابد لهذا الاطراد فى الاستعداد لفهم هذه الفروق من أصل صوتى أو اصطلاحى متشابه يرجع إليه ارتباط كل وزن من هذه الأوزان بمعنى القلة أو بمعنى الكثرة . وقد يكون للأصل الصوتى ارتباط بالإشارة المصاحبة لإظهار الحيز أو الصورة المقللة ، والمكثرة على حسب المشاهدة بالنظر ، وكل ذلك مما يصعب تحقيقه الآن ونحاول أن نحقق بعضه على التقريب جهد المستطاع . ولكنه يشير على جميع الحالات إلى القوانين العريقة التى عملت فى هذه اللغة الجميلة الوافية عملها العميق ، فبلغت مبالغها الذى لا مثيل له بين اللغات من التطور الوافى والتمييز المفيد ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأزهر فى نظامه الجديد

للأستاذ الدكتور محمد البهى

---

١ ـ لكى يحكم أى إنسان على نظام الأزهر الجديد الذى حدد إطاره القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وكذلك لائحته التنفيذية التى تطبق ابتداء من اليوم الرابع من شهر نوفمبر الجارى يجب أن يقف على أهداف رسالة الأزهر أولا.

ورسالة الأزهر ـ من تاريخه ومن أطوار هذا التاريخ التى مرت عليه ـ هى : العمل على فهم الإسلام ومبادئه وتعاليمه ، ثم نقل هذا الفهم إلى المستويات المختلفة بين المسلمين . وهذا الفهم ونقله معا للمستويات المختلفة هو : عبارة عن الملاءمة بين تعاليم الإسلام وبين الحياة التى يعيشها الإنسان المسلم فى أى جيل . على معنى ألا تكون هناك فجوة ـ فضلا عن أن تكون هناك نفرة ـ بين الإسلام وبين حياة الإنسان المسلم . وبذلك يبقى إيمان المسلم بالإسلام فى مستوى بعيد عن التردد أو الاهتزاز .

وهذا الفهم للإسلام وتعاليمه مع ملاءمته لحياة المسلم ، كلما بعد الزمن الذى يعيش فيه المسلمون عن عهد القرآن والسنة كلما اتسع نطاق مراجعة التراث الفكرى والثقافى الذى كان للمسلمين والذى كونه المسلمون ـ عربا وأعاجم على السواء ـ منذ ابتدأوا يتفقهون ومنذ ابتدأ أن تكون لهم ثقافة إسلامية .

وكذلك كلما تعددت جوانب حياة الإنسان المعاصر ـ عن طريق تقدم العلم وكثرة مشاكل الحضارة الحديثة ـ كلما اشتدت دواعى الفهم للإسلام ولتعاليمه ، وكلما برزت الحاجة إلى الملاءمة بين هذه التعاليم وبين الحياة التى يعيشها المسلم فى زمن العلم ومشاكل الحضارة .

وترتيبا على ما للمسلمين من ماض فى التراث الثقافى والفكرى يجب أن تتوفر الدراسة عليه ، وتحدد مناهج الباحثين ، المفكرين المسلمين فيما مضى ، وتوزن نتائج بحوثهم وتفكيرهم فى ضوء الإسلام نفسه وفى نطاق الأحداث التى مرت بالمسلمين فى ماضيهم ، كما يجب أن يدخل فى الاعتبار ما للعلم الحديث من قوانين أو نتائج وما للحضارة الإنسانية من مشاكل .

وهنا يجب على الذى يحاول فهم الإسلام ويحاول تطبيقه فى الحياة أن يعيش فى الماضى والحاضر على السواء ، لا يقف عند الماضى ، ولا يتركه ليقيم فى الحاضر وحده .

* * *

٢ ـ وماضى المسلمين فى التراث الثقافى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والفكرى كان متنوع الجوانب وكان مختلفا فى مستوياته : منه مذاهب الفقه فى المعاملات وفروض العبادات ، ومنه مدارس المتكلمين فى أصول العقيدة ، ومنه معرفة العلماء فى الرياضة ، واتجاهات المفكرين فى شرح الكون وعلله ، وفى تحليل الطبيعة وعناصرها ، ومنه المحاولات والتجارب الإنسانية لتحديد طبيعة الإنسان المادية والمعنوية ، ومنه تحديد منهج البحث والتفكير ... إلى غير ذلك من المعارف اللغوية والاتجاهات الأدبية التى كانت تبحث ، لخدمة فهم القرآن وشرح تعاليمه ككتاب أنزل بلسان عربى مبين .

أما حاضر المسلمين فهو ذلك الحاضر الذى يزهو فيه العلم على الدين بمنهج بحثه ونتائجه التجريبية ، وهو ذلك الحاضر أيضا الذى تتقدم فيه الآلة وتكاد تستعبد بتقدمها الإنسان فى منطقه وفى سلوكه معا ، وهو كذلك الحاضر الذى تتصارع فيه الاتجاهات التوجيهية وتتغالب فيه وسائل الإعلام المختلفة كى تميز اتجاها توجيهيا على اتجاه آخر ، أو كى تحاول الإقناع بمذهب معين أو بعقيدة معينة . ذلك كله فى حاضر المسلمين مضاف إلى قوى الاستعمار المختلفة فى الأسلوب والصورة ، وإن اتحدت فى الأهداف والغايات .

وماضى المسلمين وحاضرهم معا يدفع من يحاول أن يكون صاحب معرفة إسلامية من بين المسلمين المعاصرين إلى المزاوجة فى الدراسة وفى تحصيل المعرفة . كما يدفعه إلى أن يقف موقف صاحب الحكم على ما مضى وعلى ما يجرى فى حاضره . لا يكون مقلدا لماضيه ولا تابعا ليومه أو غده . وإنما يكون صاحب ملكة وصاحب بصر : صاحب ملكة فى فهم الإسلام . وصاحب بصر فيما يدفع إليه من نتائج وقوانين باسم العلم ، أو فيما يقع فيه من مشاكل باسم الحضارة والمدنية .

* * *

٣ — وإذا حددت رسالة الأزهر بفهم الإسلام ، وملاءمته مع أحداث الحياة ومشاكلها ، وإذا ارتبط ذلك الفهم وهذه الملاءمة بما مضى من تراث ، وبما يجد من علم أو أحداث — فالنظام الجديد للأزهر الذى قام على أساس من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ إذ أعان الأزهر على تحقيق هذه الرسالة كان نظاما صالحا فى نفسه ، وكان الخير من ورائه فى اجتماع كل القوى على تنفيذه :

(ا) تناول النظام الجديد الوضع التعليمى فيما سماه من مراحل التعليم المختلفة من التعليم الابتدائى إلى التعليم الجامعى . وفى هذا الوضع التعليمى فى جميع المراحل زاوج بين الماضى والحاضر : حرص على المستوى الثقافى الذى يؤهل الطالب ليكون ذا صلة وثيقة بالإسلام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومبادئه ، وذا إدراك لأساليب اللغة العربية فى فهم نصوص القرآن والسنة النبوية ، ونصوص كتب السابقين فيما دونوه عن تراثنا الفكرى الإسلامى . وبهذا عمل على إعداده ليكون رائدا فى فهم الإسلام ، وفى طريقة هذا الفهم .

كما حرص هذا النظام فى الوضع التعليمى فى جميع المراحل أيضا على أن يفتح الطالب عينيه على ما يجرى من أحداث أمامه فى حياته اليومية ، وما يواجهه من مشاكل فى هذه الحياة ، وما يلتقى به من توجيهات يدفعها الأثير ، وتدفع بها المطابع ودور النشر ، وما يطلع عليه من نتائج علمية ترصدها التجارب ، ومعامل الاختبارات .

لم يغفل هذا النظام الجديد القرآن وحفظه ، بل أكده فيما خطط من منهج . ولم يضعف من شأن العلوم الإسلامية بل خلصها مما يعوق الطالب عن فهمها ، كما زاد فى مادتها وموضوعاتها . ولم يهمل شأن علوم اللغة وآدابها وتاريخ المسلمين ومجتمعهم الإسلامى والعربى ، بل فى ذلك كله عنى بالتجلية والتوضيح والزيادة .

وأضاف فى منهاج الطالب علوم الرياضة والطبيعة ـ وهى علوم اليوم والغد ـ وجغرافية العالم البشرية والاقتصادية والتاريخية ومذاهبه الفلسفية ومناهجه فى البحث ، كى يصل بالطالب إلى أن يكون ذا صلة بالمجتمع الحاضر ، وذا صلة بمواطنيه وبجيرانه فى الوطن القريب أو البعيد . وبذلك يكون هذا الطالب ذا استطاعة خاصة لا لفهم الإسلام وحده ، وإنما كذلك الوقوف على الطريق الأقوم فى الريادة ، التى هى رسالته كطالب تخرج فى الأزهر .

فإذا أنشأ هذا القانون كليات عملية ، أو كليات علمية بجانب الكليات الإسلامية والعربية فإنه لا يكون ـ بناء على ماضى ـ متجنيا على المستوى الثقافى والعربى ، أو محاولا الانتقاص منه . بل على العكس فى إنشائه لهذه الكليات ساعد على توسيع نطاق المستوى الإسلامى والعربى فى التعليم ، كما ساعد على توسيع نطاق الريادة للطالب الأزهرى . فكليات الطب والهندسة والزراعة ، وكلية المعاملات والإدارة ستقوم بتزويد طلابها بالمعرفة الإسلامية والعربية فوق ما تقدمه لهم من معرفة رياضية وطبيعية وطبية واقتصادية وتجارية .

والطالب بالأزهر الذى ستزيد سنو الدراسة بالنسبة له سنة فى المرحلة الإعدادية وسنتين فى المرحلة الثانوية سيكون طالبا فريدا فى الجمهورية العربية وفى البلاد الإسلامية . أو بعبارة أخرى سيكون الطالب الذى تقتضيه ظروف حياتنا هنا وحياة المسلمين فيما وراء وطننا العزيز . وربما بتميزه بذلك يصبح التعليم فى الأزهر تعليما نموذجيا يحتذى هنا وهناك .

ومن الخطأ أن يظن أن الطالب الأزهرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سيتحمل عبئا زمنيا فى حياته الدراسية أكثر مما يتحمله الطالب الآخر فى نظام تعليمى آخر.

فليس نظام التعليم فى العالم نظاما واحدا، وليس نظام الإعداد ذى السنوات الثلاث والنظام الثانوى ذى السنوات الثلاث أيضا هو الأوحد أو الأمثل فى نظم التعليم المدرسية فى إدارة التربية والتعليم فى الأمم والشعوب المختلفة.

على أنه من جانب آخر كان التعليم فى الأزهر على أساس النظام الماضى قبل هذا القانون هو التعليم المتميز بزيادة السنوات الثلاث فى مرحلتين من مراحله عن نظام التعليم الجارى فى الجمهورية العربية المتحدة، ومع ذلك لم يقل أحد أن الطالب الأزهرى رغم ذلك يتحمل عبئا زمنيا أكثر مما يتحمله غيره.

ب — وتناول هذا النظام الجديد أيضا وضع اتصال الأزهر بالمسلمين فى مستوياتهم المختلفة، ومعاونتهم على فهم الإسلام فى مبادئه ونظامه فى الحياة فأنشأ مجمع البحوث الإسلامية، وحدد جهازه التنفيذى فيما سماه بإدارة الثقافة والبعوث. والمجمع فى تخطيطه فى ظل هذا النظام أكاديمية للبحوث الإسلامية تعكس صورة الأروقة التى تجمع المتفرغين للبحث لذات البحث، ولخدمة المبادئ والمثل التى يمثلها الإسلام فى نظامه للفرد والجماعة، وعلى جهازه التنفيذى أن يدفع بمستويات البحوث المختلفة التى تؤدى فيه إلى مستويات العقول والأفهام فى مختلف المجتمعات فى صورة طالب وافد يعد، أو مبعوث أزهرى يرسل، أو كتاب ينشر، أو مجلة تطلع على الناس فى فترات معينة برأى الإسلام فى مشاكل المسلمين ومشاكل العالم.

* * *

٤ — وبهذا الوضع الجديد للأزهر فى النظام التعليمى، وفى دائرة البحث يستطيع الأزهر أن يدفع إشعاعه فى قوة أكثر، وأن يصل برسالته إلى أعماق المجتمعات الإسلامية والعربية على السواء، كما يستطيع الطالب المتخرج فيه أن يكون أخا ورائداً لا خصما يخاصم الآخرين ويخاصمونه، وينازعونه الرأى وينازعهم. فوق أنه يصبح ذا صلاحية لأن يعيش فى الحياة عن غير الاحتراف برسالة الإسلام.

وذلك كان شأن المسلمين الأول أيام عزتهم وفهمهم للإسلام فهما صحيحا، وبتطبيقه فى حياتهم اليومية: فلم يكونوا أصحاب حرفة بالدعوة، وإنما كانوا أصحاب رسالة يؤدونها فى سبيله. ولم يكونوا ذا عزلة عن أفراد المجتمع الآخرين، وإنما كانوا منهم وذوى ريادة لهم.

هذا هو هدف النظام الجديد للأزهر نرجو الخير العميم من ورائه، وندعو الذين صنعوه، ودفعوا به إلى الوجود بتسديد الخطى، والثواب الكبير عند الله ؟

الدكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اشتراكية الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

---

١ — العالم والنظام الطبقي :

لقد جعلت عنوان هذا البحث « اشتراكية الإسلام » لأني أومن بأن للإسلام منهجا خاصا بمثل ما لا يمكن أن يرقى إليه الفكر الإنساني من تصور اشتراكية عادلة منصفة ملائمة للطبيعة ، لاهي مصنوعة ولا موضوعة. فإنه إذا قام مجتمع ما على أساس إنكار طبائع الأشياء أو وجد فيه من أحكام التعامل والسلوك ما ينافرها ويغالبها ، فذلك هو المجتمع المصطنع الذي لا يلبث أن تأباه الطبيعة وتقاومه ، فلا يستطيع أن يثبت أمام مقاومتها .

ومن مزايا التشريع الإسلامي أنه يدرك هذا الأمر حق الإدراك ، وأنه يجري على مقتضاه جريانا كليا ، لا يختلف أسلوبه فيه مهما تعددت الأحكام ، وليس ذلك بعجيب فهو تنزيل الحكيم الحميد ، الذي يعلم السر في السموات والأرض .

إن أول أساس من أسس هذه الاشتراكية الإسلامية هو المساواة بين الناس .

ولكي نعرف المدى الذي وصل إليه الإسلام في شأن المساواة ، يحسن بنا أن نعرض الصورة التي كان عليها العالم قبل الإسلام بما هو ثابت في تاريخ الأمم والشعوب قبل الإسلام : إن الناس كانوا منقسمين إلى طبقات ، كما كانوا يعتقدون أن الدماء الآدمية تختلف ، ويعتبرون أن الحقوق تبعا لذلك تتفاوت ، فلهذه الطبقة من الحقوق ما ليس لتلك ، ولهذا الدم أن يحكم وأن يورث الحكم.

وبهذا فترت الهمم ، وانحلت العزائم ، لأن الناس أصبحوا يدورون في فلك ضيق ، فالطبقة المستعلية لا تشعر أنها في حاجة إلى أن تسلك في الحياة سبيلا قويما لأن أحداً منها لا يخاف أن يضيع مجده أو ينزل إلى مرتبة العامة ، والطبقات العامة لا تسمو نفوسهم إلى حياة أرفع لأنهم يائسون من ذلك في ظل هذا المجتمع الطبقي ، ومن ثم استرخى هؤلاء وهؤلاء ، وصار العز والرفعة ميراثا يصل إلى الأبناء ، عن طريق الآباء ، كما صار الفقر والشقاء ميراثا لقوم آخرين .

هذا النظام الطبقي هو النظام الذي كان يعرفه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العالم ، ويرضخ له ، وكانت الشعوب تسير على مقتضاه مسخرة ، ولا تعرف الأكثرية فى ظله حقا ، ولا تستطيع من طول ما أصابها من الذل أن تفكر فى التخلص منه .

وكانت هذه الطبقية تظهر آثارها متمثلة فى المناصب ومن تسند إليهم ، وفى الأرض ومن يمتلكها ، وفى العقوبات واختلافها بحسب مراكز المستحقين لها إلى غير ذلك .

وكذلك كان العرب فى جاهليتهم على نحو من هذا النظام الطبقى : فيهم قبائل رفيعة ، وفيهم قبائل أقل شأنا ، فترى الفرزدق الشاعر يفاخر بقبيلته جريرا فيقول :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ونرى غيره يوازن بين قبيلة (نمير) وقبيلتى (كعب وكلاب) فيقول :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وبلغ من أمرهم أنهم كانوا يعتقدون أن دماء الأشراف تشفى من داء الكلب ، وفى ذلك يقول شاعر منهم .

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب

هكذا كان شأن العالم قبل الإسلام ، يستوى فى ذلك العرب وغير العرب : عالم تسوده الطبقية وتفرق بين أفراده وقبائله وأجناسه هذا التفريق العجيب ، وبذلك انهدم ركن المساواة الذى هو أهم ركن من أركان المجتمعات المثالية .

فماذا فعل الإسلام بإزاء هذا النظام الطبقى الظالم الذى ساد العالم كله شرقيه وغربيه ؟ .

٢ — المساواة فى الإسلام :

بيّن الله تعالى للناس أنهم جميعا متساوون فى أمرين أساسيين :

أحدهما : أنهم مخلوقون لإله واحد هو الله ربهم الذى وهبهم الحياة وهيأهم لها ومنحهم جميع أسبابها ، وإذا فنسبتهم إليه جل جلاله واحدة لا تفاوت فيها بين أفرادهم وطبقاتهم فليس لأحد أن يزعم أن له امتيازا فى هذه الناحية على أحد ، ومن ثم لا يوجد فى الإسلام كهنوت ، وليس رجال الدين فيه إلا كغيرهم فالكل مربوبون لله وليس بينه وبين عباده أية واسطة فهو أقرب إلى كل منهم من حبل الوريد ويمكن لكل إنسان أن يدعوه دون توسيط أحد فى هذا الدعاء فيسمع دعاءه ويستجيب له « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » . « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » .

الأمر الآخر : أنهم جميعا ناشئون من أصل واحد . « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(كلكم لآدم وآدم من تراب) بهذين الأصلين استقر فى النفس أن إنسانيتهم واحدة وربهم واحد فلا يمكن أن يمتاز فرد من أفرادهم أو طبقة من طبقاتهم أو جنس من أجناسهم أو لون من ألوانهم أو سكان إقليم من أقاليمهم أو سلالة شعب من شعوبهم امتيازا مرجعه إلى الدين أو السلالة والدم .

والقرآن الكريم يقرر مبدأ الكرامة الإنسانية ويجعلها حقا من حقوق بنى آدم التى فاض بها الجود الإلهى عليه كما فاض بتقويمهم فى الخلق وتمييزهم بالعقل وتسخير كل شىء فى السموات والأرض لهم . يقول الله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » فهذا تكريم شامل مستغرق لجميع هذا النوع من الخلق ، ولذلك اتخذ لهم فيه أعم عنوان ، وهو كونهم (بنى آدم) فلا تمييز فيه بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين آرى وسامى ، ولا بين شرقى وغربى ، ولا بين ذكر وأنثى ، ولا بين قوى وضعيف ، ولا بين غنى وفقير .

هذا هو مبدأ الكرامة الإنسانية تقرره الجملة الأولى فى هذه الآية واضحا حاسما ، أما الجمل الثلاث بعدها فتذكر المظاهر الرئيسية لهذا التكريم الإلهى ، فقوله تعالى : « وحملناهم فى البر والبحر » تصوير لمظهر العلو وأن الإنسان مخدوم محمول حيثما حل : سخر الله له فى البر ما يحمله وسخر له فى البحر ما يحمله .

وقوله تعالى : « ورزقناهم من الطيبات » تصوير للمستوى الرفيع الذى عليه الإنسان فى مطعمه ومشربه ومسكنه وملبسه وهو ما يمتاز به على ما سواه من الأجناس الحية .

وقوله تعالى « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » إجمال للمزايا الإنسانية والمواهب التى فطر الله عليها هذا النوع ، مواهب العقل والقدرة على متابعة التفكير وإدراك الروابط الحسية والمعنوية والاستعداد للانتفاع بما فى هذا الكون ، وغير ذلك من ملكات انفرد بها أو امتاز فيها فكان من أجل هذا مفضلا على غيره من أصناف المخلوقات الحية ، هذه هى الأسس الثلاثة العظمى التى أقام الإسلام عليها صرح المساواة.

الناس جميعا متساوون أمام الخالق — الناس جميعا ناشئون من أصل واحد — الناس جميعا مشتركون بالكرامة الإنسانية ومظاهرها التى فاض عليهم بها الجود الإلهى.

ولكن هل تركت هذه الاشتراكية فى المساواة دون أن يرد عليها أى قيد وبعبارة أخرى هل تقتضى المساواة أن يترك الناس أحراراً ولو انتهت بهم حريتهم إلى لون أو ألوان من الفوضى ؟ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣ — اشتراكية العلم والمعرفة :

إن عقيدة الإسلام وجميع معارفه النظرية والعملية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وهى من أجل ذلك كلا مباح لكل ذى عقل مفكر ، فليس هناك سر مقصور على رجال يعرفون بأنهم رجال الدين ، بل ليس هناك رجال بهذا الاسم ، فكل عالم بصير منصف هو رجل دين كما هو رجل دنيا ، ورجل علم.

ومن هنا نستطيع أن نقول : ليس فى علم الإسلام كدين أى احتكار ، أو أية طبقية أو إقطاعية ، إذا صحت هذه التعابير .

بل إن الإسلام على العكس من ذلك يوجب على كل رجل أن يعلم ، وعلى كل امرأة أن تعلم وينكر التسوية بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ويرفع أولى العلم إلى أسمى مكانة حين يجمع بينهم وبين الله وملائكته فى الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو قائما بالقسط ، أى أنهم عدول فى أعظم قضية ، وأكبر شهادة . يقول جل شأنه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، ويقول « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

ويصل الأمر بالإسلام فى تكريم العلم ، والإقرار بشأن البرهان العقلى إلى أن يقول القرآن الكريم : « ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ، فإنما حسابه عند ربه » ، فمن المعلوم أنه لا برهان أبدا على شريك مع الله ، وأن واقع الأمر هو الوحدانية . ولكن القرآن مع ذلك يفرض المحال - تعظيما لشأن البرهان وإقرارا بسلطان العقل - ويقرر أن الأمر حتى فى هذا أمر برهان وحجة : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » إلى هذا الحد يحكم الدليل وما يؤثر من علم وحجة وما ذلك إلا تعظيما لشأن العقل والعلم .

والقرآن الكريم يقرر أن الله لا يرضى باحتكار العلم وكتمانه وأنه سبحانه قد أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه ، كما يقرر لعنة الله والناس على كاتمى العلم إلا أن يتوبوا ويبينوا فيقول : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » .

والفقه الإسلامى يقرر أحكاما كثيرة على أساس أن العلم حق لكل إنسان لا يجوز صده عنه :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالابن له أن يخرج لطلب العلم المفروض ولو بدون إذن والديه ، وللزوجة هذا الحق ولو بدون إذن زوجها إذا أبى أن يعلمها ما افترض الشارع عليها من علم .

ونفقة طالب العلم واجبة على أبيه الموسر ولو كان الطالب قادراً على الكسب .

وكتب العلم لأصحابها من طلاب وعلماء هى من الحوائج الضرورية كالدار والطعام واللباس فلا تدخل قيمتها فى نصاب الزكاة .

ولا يلزم أصحابها أن يبيعوها لأداء فريضة الحج وإذا أفلس مدين بيع عليه كل شىء إلا كتب العلم للعالم أو الطالب فلا تباع عليه .

والسر فى ذلك كله أمران : أحدهما أن الإسلام واثق من حقائقه وقضاياه ، فهو يعرضها على العقول مطمئنا إلى أنها ستؤيدها .

والأمر الثانى : أنه يدرك تمام الإدراك أن عظمة الإنسان ، بالقياس إلى غيره - حتى الملائكة - إنما ترجع إلى علمه واستعداده لمتابعة التفكير ، واستنباط المجهول من المعلوم .

هذا قليل من كثير فى بيان (اشتراكية العلم) فى الإسلام ، وحسبنا أن الله تعالى علم نبيه وصفوة خلقه أن يدعوه بقوله : « وقل رب زدنى علما » وأنه يقول لخلقه من لدن خلقهم إلى أن تقوم الساعة « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

وسبحان ربنا الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم .

٤ — الحرية :

إن المساواة والكرامة يتولد منهما أعز شىء فى هذا الوجود ، وهو « الحرية » ، ذلك بأن الاستعباد إنما يكون حيث يعترف بفارق بين سيد ومسود ، فى الأصل والمنشأ ، أو فى الصلة بالرب الذى خلق وأنعم ، أو فى الكرامة والاعتزاز بالنفس .

ولذلك كان الإسلام منطقيا حين قرر الحرية ، بعد أن قرر المساواة والكرامة الإنسانية .

فالإنسان حر منذ ولدته أمه ، وفى ذلك يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) والإنسان حر فى عقيدته « لا إكراه فى الدين » . حر فى إبداء رأيه « وأمرهم شورى بينهم » حر فى تأييد الخير والصلاح وإنكار الشر والفساد « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » حر فى اختيار الأسلوب الذى يريده فى العمل « قل كل يعمل على شاكلته » إلى غير ذلك من مظاهر الحرية التى كفلها الإسلام للناس .

ولكن هذه الحرية إنما هى الحرية التى تعطى لصاحب الشخصية المسئولة ، وليست هى حرية الفوضى من التكاليف المتحللة والضوابط .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يقول القرآن الكريم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » ، « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وفى هذا الختام يتجلى المعنى الذى يريد به الإسلام أن يوجه الحرية إلى العمل الصالح والسلوك القويم ، وذلك يقتضى أموراً أساسية.

منها أن يستمتع الفرد بحريته إلى الحد الذى لايخرج به من إنسانيته ، إلى الحيوانية المندفعة فى مراتع الشهوات ، أو مزالق الغضب والانتقام ، وفى هذا ضمان دون الانفلات باسم الحرية ، إلى ما يعرف بالوجودية ، تلك التى تريد أن تجعل من الإنسان . بهيما لا صلة له بالمعانى الروحية .

ومنها أن يلتزم الإنسان فى حريته عدم التعدى على حقوق الآخرين فى حريتهم وإلا كان بانيا نفسه على أنقاض غيره ، وقد عنى الإسلام بتهذيب النفوس من هذا الخلق حيث اعتبر من دعائم الإيمان . أن يحب المرء لأخيه مايحب لنفسه ، وأن يكره له مايكره لها ، وبذلك أعطى كل إنسان ميزانا خاصا يعدل به حريته بالنسبة لغيره .

ومنها أن يعرف الإنسان أن مبدأ المساواة والكرامة مجال يتحقق فيه تكافؤ الفرص أمام العاملين ، وبذلك يسعى إلى اكتساب الميزات ودرجات الفضل ، ويؤمن بالقيم ويستهدف المثل .

ومنها أن يعرف الإنسان أن هناك رقيبا عليه ، يعلم سره ونجواه ، ويتقاضاه حقوق التقوى ، وحقوق الأرحام التى بين بنى الإنسان ، ولذلك يختم القرآن الكريم بعض آيات المساواة بقوله « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

والناحية التوجيهية فى هذا الختام ذات شعبتين :

إحداهما راجعة إلى العقل ، وهى الأمر بتقوى الله ، الذى خلقهم ورباهم بنعمته ، والذى له بحكم الفطرة فى نفوس خلقه كل مهابة وإجلال .

والشعبة الأخرى راجعة إلى العاطفة ، فإن الإنسان إذا عرف أن بينه وبين إخوانه فى الإنسانية أرحاما ، تتحرك عاطفته ، فتكون الرحمة ، ويكون الحنان ، ويكون التعاون .

والأرحام دائرة متسعة :

فالزملاء فى علم بينهم رحم من هذه الزمالة يجب أن ترعى ، والزملاء فى زراعة كذلك ، وفى تجارة كذلك ، وفى وطن كذلك ، وفى جوار كذلك ، وهكذا تتعدد الأرحام بتعدد الصلات والزمالات ، فتكون منها روابط عاطفية من شأنها أن تيسر أمر المجتمع ، وتعينه على أن يشق طريقه فى الحياة ، قويا عادلا متعاونا متراحما .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

المطامع مثار الفرقة بين الناس

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

١ - «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول . ٢ - فاتقوا الله
٣ - وأصلحوا ذات بينكم . ٤ - وأطيعوا الله
ورسوله إن كنتم مؤمنين» .

تكاد لا تجد ثغرة من خلاف ، ولا تصدعا بين قوم : إلا وجدت المطامع ، والمزاحم على إشباع الرغبة سببا أول فى المشادة ، والالتواء ، والتدابر والقطيعة ... وهؤلاء : هم أصحاب الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - وطليعة المجاهدين معه ممن آثروا التضحية بالروح فى سبيل العقيدة والوطن ، لم يتجردوا من التعلق بالمال ، ولم يتحرروا أول أمرهم من النزوع إلى النفعية ، والجنوح إلى حطام الدنيا إلا بعد أن صقلهم الإسلام ، وتعاهدهم الرسول بالتهذيب حتى تبدلت فيهم النزعة ، وأصبح لبعضهم عزوف عن متع الحياة المشروعة ، وخيل إليهم أن التفرغ من الدنيا لأجل العبادة هو الدين كله .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم - يعلمهم أن الإسلام دين ودنيا ، وأن للطبيعة البشرية حظها من الزاد ، والتبسط ، والنوم والراحة ، كما أن للروح نصيبها الحتمى من التزود بالعلم ، والتدين ، وتوثيق الصلة بالله والتعلق بمتاع الآخرة .

وبين الدين والدنيا وسط منشود والوسط هو طابع الإسلام ، ومنهجه الصحيح وانظر - معى - فى موقف المسلمين الأولين من تطلعهم إلى عرض الدنيا : فأهل بدر وهم أهل السبق إلى ساحات الجهاد . وأصحاب الحظ الأوفر من رضوان الله : حينما فرغوا من جهاد عدوهم ، وأطاحوا بكثرة من جيش الكافرين تطلعوا إلى الغنيمة التى وقعت فى أيديهم من أموال العدو المهزوم .

وبدأ الشيوخ والشبان ممن كانوا فى مواجهة الكافرين بالملحمة ، أو كانوا فى الحراسة ، يتفاضلون فى استحقاق الغنيمة ، ويختلفون على قسمتها : مساواة . أو تمييزا !!

ولولا دين يحكمهم ، واطمئنان إلى هدى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرسول فيهم لكان للأنانيـــة ، وغلبة المطامع شأنهما فى تفرق المسلمين ، وتمزيق وحدتهم الجـــديدة التى يتناولها الرسـول بالتكوين والتقوية .

ولكن رجعتهم إلى الرسول فى بيان تقسيم الغنيمة جنبتهم تصدع وحدتهم ، من فتنة المال وهم جماعة حديثو عهد بالإسلام لم تتأصل فيهم زهادة المتدين المتعفف المحب لغيره ما يحب لنفسه ، تداركهم الله ، فأوحى إلى رسوله « يسألونك عن الأنفال » « قل : الأنفال لله والرسول » .

يعنى تقسيم الأنفال ـ وهى الغنائم ـ موكول إلى حكم الله الذى يبلغه الرسول إلى الناس ، وليس منوطا برأيهم ، ولا متروكا لتقديراتهم حتى لا يختلفوا فى استحقاق ، ولا فى مقدار عطاء .

عندئذ خشعت أصوات الجدل ، واطمأنت نفوس الجميع ، مع أن هذا أول موقف يغنم المسلمون فيه مالا فى حرب عدوهم ، ومع أن نزعتهم إلى المال كانت نزعة مشبوبة متحكمة ، ولكنها كلمة الله نزلت بين قوم عاهدوا الله ، وأوفوا بعهده على الطاعة والسمع .

غير أن القرآن فى هذا المقام أرجأ تفصيل الحكم فى استحقاق الغنيمة ، وبيان سهامها ، وسارع بالدخول فى أمور جوهرية ذات شأن فى حياة الجماعة ـ تلك الأمور : ثلاثة :

(١) اتقوا الله .

(٢) وأصلحوا ذات بينكم .

(٣) وأطيعوا الله ورسوله .

فتقوى الله بتجنب ما يغضبه ، وعمـــل ما يرضيه ، وحينما يعمر القلب بالتقوى يكون تعلقه بأعراض الحياة معتدلا ، ولا تجرفه فتنة المال ، ولا شىء سواه من زخرف الدنيا ويكون دائما على نور من ربه فلا يستهويه شيطان ، ولا يدافع الناس عن خير مشترك .

(٢) والأمر الثانى ـ إصلاح ذات البين ـ إصلاح العلاقة التى تربط بين الناس ، وصيانتها من شوائب الخلف ، والتلطف مع الغير لتظل الأنفس قريبة إلى بعضها ، فلا تتسع بينهم فجوة الغضب ولا يزداد الأمر سوءا بالتقاطع فإن دين الله يدعو الناس إلى الجماعة ، ويعلمهم الرسول أن من شذ عن الجماعة شذ إلى النار .

وكم علمتنا الحياة أن الشقاق لا يعود بخير أبدا ، إن لم يجلب الشر حتما .

فتوجيه القرآن إلى إصلاح ما بيننا ، وتوثيق الإخاء فينا توجيه إلى ما تقتضيه الحياة التى ننشدها لأنفسنا إن كنا بأنفسنا رحماء .

(٣) الأمر الثالث ـ إطاعة الله ورسوله فى ناحية الأموال والروابط وسواهما من كل ما نصرف عن الدين . والاستئناس بهدى الدين ينير لنا سبيل السعى فى دنيانا ، فنسير فى حياتنا آمنين الانحراف ، والعثرات التى يتردى فيها من يتخبط فى ظلمات الضلال وراء شهواته وشيطانه .

هذه الدعائم الثلاث ـ التقوى والإصلاح ـ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وملازمة الطاعة هى المبادئ الجامعة لعناصر الدعوة الإسلامية كلها ، وهى المسالك التى تتمثل فيها الإنسانية بالنسبة لموقف العبد من ربه وحسن سيره فى مناكب الحياة مع الناس.

وقديما درج عليها أسلافنا ، ودرج عليها صالحو المؤمنين . فكانوا خير مثل يحتذى ، وكانت محامدهم أنشودة التاريخ .

وعجيب : أن تكون هذه المبادئ هينة فى ذاتها ، وأن تكون من وحى الواقع الذى نلمسه ، ثم نرى أنفسنا فى صدود عنها كأنها ظنون مشكوكة ، أو فكرة مرجوحة ، وهى لا تكون واهنة كذلك إلا عند من لا يفطن إلى ما يلامسه ، وعند من يستقبل دعوة الدين بغير ثقة ، ولا اطمئنان .

وكان من تنبيه القرآن على خطر الأمر فى ذلك التوجيه أن يختم الله نصحه هذا بقوله: « إن كنتم مؤمنين » .

يعنى : هذا نصح واجب الاتباع ، إن كان إيمانكم صادقا ، فإن أثر الإيمان الحق هو السمع والطاعة . وإلا كان إيمانا واهنا غير وثيق .

ثم انظر : موقف من المواقف بين المسلمين يغريهم حب المال فيه بالتسابق فى الاستحقاق يكون خطراً على مجتمعهم إلى أمد بعيد ، حتى إن القرآن ينزل بتفصيل البيان فى شأن الغنيمة التى كانت سببا ، ويبادر إلى تثقيفهم بما هو ألزم لهم ، وأضمن لاستقامة الأمر فيهم وهو الخيط الذى ينتظم فيه عقدهم .

ثم يعود القرآن فى مقام آخر ويبين لهم تفصيلا تقسيم الغنائم ، واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ، الآية .

وحينما خوطب النبى وأصحابه فى هذا الشأن كان ملحوظا بالضرورة أنه خطاب لجميع المسلمين على اختلاف أزمنتهم ، وجنسياتهم .

ولئن كان إيمان الصحابة ومذاك إيمانا حقا - ولا ريب - فمقام التعليم يتناول حاضرى المسلمين ، وغائبهم ، واقتضى ذلك تذكير الناس بالحث ، والاستنهاض بقوله سبحانه : « إن كنتم مؤمنين » .

وليس فى هذا الشرط تشكيك فيهم ، ولا ريبة فى إيمانهم ، وإنما القصد أن الإيمان الحق يستلزم الرجوع إلى حكم الله ، والأخذ بدينه ، والحفاظ على سلامة الجماعة من التفرق ، ولن يستطيع أحد أن يرتاب فى حقية تعاليم القرآن ، ولكنها مطامع الدنيا تغلبهم ، وتفرق بين جماعتهم .

وقديما كان الطمع مشأمة على أبيهم آدم وزوجه ، حينما بوأهما الله الجنة يعيشان فى نعيمها ، ويهنئان فى ظلالها ، آمنين من مذلة الحاجة ، وشقوة الحياة الدنيا ، واثقين من كفالة الله لهما ألا يمسهما سوء ما دام على عهد الله : « يا آدم ، اسكن أنت وزوجك الجنة ... إن لك ألا تجوع فيها ، ولا تعرى ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأنك لا تظمأ فيها ، ولا تضحى . . ، وليس بعد ذلك من عهد أكيد يعطيه الله على نفسه ـ سبحانه ـ لآدم وزوجه ألا ينقصهما تعالى من طعام وشراب ، وكساء وراحة من المجهود ، والتعرض للشمس فى سبيل الكد كما هو شأن الكادحين فى العيش ، كلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

لم يكلف الله آدم ولا زوجه بشيء غير تحذير من الأكل من شجرة خاصة لا يريد الله أن يأكلا منها ، ولكن نزعة الطمع ، والرغبة فى المزيد إلى غير حد لم تدع للقناعة أثرا عند آدم ، وما كفاه أن تتسع له ولزوجه جنة فسيحة حافلة بخير لا يحصيه غير خالقه القادر الكريم البديع الصنع .

ومن هذه الثغرة النفسية ـ ثغرة الطمع ـ استطاع إبليس أن يفتن آدم وزوجه ، ونصحهما أن يأكلا من هذه الشجرة ليضمنا الخلود في هذا النعيم الفضفاض وأقسم إبليس كاذبا على صدقه فى نصحه ، فخدعهما حتى نسيا عهد الله عليهما ألا يأكلا من هذه الشجرة ، ونسى آدم كذلك أن هذا الشيطان عدوهما الذى حذرهما الله من كيده ، وأنه هو الشيطان الذى تمرد على أمر الله بتعظيم آدم ، وطرده الله من رحمته ، وسجل عليه لعنته إلى يوم القيامة بسبب احتقاره لآدم .

نسى آدم كل هـذا ، واندفع طامعا إلى الأكل من الشجرة فكانت حرمانا له من كل ما يغمره من خير ومتاع ، وراحة وأمان ، ونزلا مع الشيطان إلى الأرض يلاقيان فيها ما قدر عليهما ولهما ، فى الأرض استقرار بين عداوات ، وبين شقاء ، أو متاع إلى حين .

ذلك هو الطمع الذى يساورنا دائما ، والذى يجعل الكثير قليلا فى أعيننا ، وينسينا ما وراءه من شغب ، ومن أكدار ، وخصومات ، ونغص فى هذه الدنيا .

ومن هذا الحديث يتضح لنا الوجه فى عناية الله بتركيز الروح الدينى فى نفوس المسلمين ، ليتخذوا من دينهم مقاومة للأنانية بينهم ، وليحاولوا أن يجتمعوا دائما على السمع والطاعة فى ظل النظام الإسلامى الكفيل ببقائهم كالبنيان المرصوص .

وبهذا البيان من جانب الله يعرف المسلمون لو تجمعوا أن يكونوا أمة مريرة الطعم فى أفواه خصومها ، وأن لا يكونوا طعاما مستساغا تتداعى عليه الأكلة من وحوش الإنسانية .

أو لا يظل المسلمون مخادعين لأنفسهم بحسن الظن فيمن علمنا الله أنهم لا يريدون بنا إلا خبالا ، وذلة ، وضياعا ، يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ـ أصدقاء من أعدائكم ـ لا يألونكم خبالا ـ لا يترددون فى الإضرار بكم ،

والهداية من الله .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دراسة تاريخ العلم وبخاصة عند المسلمين
واجب الكليات العلمية بجامعة الأزهر
للأستاذ فتحي عثمان

في نهاية عام ١٩٤١ م ، كتب علامة العرب المعاصر الدكتور علي مصطفى مشرفة - تغمده الله برحمته - يقدم كتاب الأستاذ قدري حافظ طوقان « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » فقال : « في يونية من عام ١٩٣٥ م كتبت في جريدة (الجهاد) تحت عنوان (ثقافتنا العلمية) ، فذكرت أننا في مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا ، ثم نتركها عائمة لا تمت بصلة إلى تاريخنا ، ولا تتصل بتربيتنا . وقلت : إن شجرة المعرفة يجب أن تطعم على أسس من ماضينا فتتصل اتصالا طبيعيا بمنابع ثقافتنا ، ودعوت إلى نشر المؤلفات العربية المخزونة في بطون المكاتب وبين جدران المعاهد الأثرية ، وإلى إحياء ذكرى علماء العرب بين ظهرانينا . فعندئذ يمكن وضع ثقافتنا العلمية على أسس متينة ، وعندئذ يمكن أن تطور هذه الثقافة تطوراً طبيعياً من شأنه أن يعيد إليها مجدها وقوتها ومهابتها ... » .

إن هذا الكلام النفيس من العلامة الكبير يجب أن يكون دستور نهضتنا العلمية .

ولو عقله الناس لما استغربوا في شيء أن يتطور الأزهر فيضم كليات الزراعة والهندسة والطب ، لأنهم يعلمون أن الأزهر يعود إلى ماضيه الزاهر يوم كان منار العلم بكل فروعه وألوانه .

ولو عقل الناس كلام علامتنا الكبير لما استغربوا كيف يجمع الأزهر في كلياته التجريبية الجديدة بين العلم التجريبي والدراسة الإسلامية ، لأن عصرنا قد عرف الحاجة إلى (الثقافة) بجانب الحاجة إلى (العلم) ، ولأن عصرنا قد بات يشكو متاعب التخصص المحدود . ولأن عصرنا يشاهد تطعيم العلم (بالإيديولوجيات) المذهبية في جامعات الشرق والغرب على السواء .

وأذكر أن قراراً قد اتخذ بشأن تدريس (تاريخ العلم عند العرب) في جامعات الجمهورية العربية المتحدة ، وهو قرار يجد مجالا طيبا لتنفيذه في جامعة الأزهر العتيدة ، بحكم تاريخها العريق .

ونحن نجد في القرآن فاتحة مباركة لتأريخ العلم عند المسلمين . . .

لقد فتح القرآن العيون على الكون العظيم ، فكانت عقيدته هي (العلم بالكون) ، وعبادته هي (العمل في الكون) . تقرأ في سورة واحدة من القرآن - سورة فاطر - هذه الآيات :

« والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا ، فسقناه إلى بلد ميت ، فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » .

« والله خلقكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم جعلكم أزواجا . وما تحمل من أنثى ولا تضع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلا بعلمه ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير » . وما يستوى البحران . هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون . يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك » .

« ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها . ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور » .

وهكذا كان الإسلام إعلانا لنضوج العقل البشرى ، ودعوة لالتماس الدليل فى الكون الفسيح ، بالمنهج الرشيد ...

لقد أورد القرآن ملامح قصة الكون ... ومضات مشرقة تثير الرغبة فى البحث والكشف عن المستور ، لكنها لا تعج بالتفاصيل التى تزحم العقل وتسد عليه السبيل . ومن هنا كان أسلوب القرآن فى قصة الكون غير أسلوب التوراة مثلا فى سفر التكوين ، كان أسلوب القرآن مسايرا خطته فى فتح الأبصار والبصائر على الكون ، وترك المجال فسيحا للعقل البشرى ، إذ الناس أعلم بأمور دنياهم . وقد بحث الكثيرون فى إعجاز القرآن فيما أتى به من حقائق علمية ... وأسرف كثيرون فى اعتساف التأويل حقا ، ولكن هناك قدرا أساسيا من الحقيقة تنطق به آيات القرآن نفسه ، ولا تحتاج إلا إلى الإشارة اللماحة والعرض الواعى من راسخ فى العلم .

يقول الأستاذ محمد محمود إبراهيم أستاذ الجيولوجيا وهندسة التعدين بجامعة القاهرة فى الجزء الثانى من كتاب « إعجاز القرآن فى علم طبقات الأرض » .

« ... نرجع بتاريخ الأرض وقت أن انفصلت عن الشمس ، وكانت على هيئة سديم ودخان ملتهب فى سماء ملكوته ، فأوحى بالانفصال ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين » . « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى » . انفصل من الشمس الأولى الكواكب ومنها الأرض . « أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها » — أى بردت الأرض من الغاز إلى السائل بعد انفصالها من الدخان ، وقد كانت وهى فى حالة السيولة تدور حول نفسها وتدور حول الشمس فأصبحت بيضاوية الشكل كما فى قوله تعالى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« والأرض بعد ذلك دحاها » ... وإن تلك الأجرام السماوية وهي ملتهبة عند انفصالها لا تشعر بليل أو بنهار رغم أنها تدور حول محورها أمام الشمس . فهي نفسها مضيئة ، ولكنها إذا بردت تتجلى حكمة الخالق في قوله « وأغطش ليلها وأخرج ضحاها » — أي أصبحت تشعر بالليل وبالنهار وهي تدور حول محورها أمام الشمس . ولما وصل قوامها إلى السيولة أصبحت تشبه الدحية أو البيضة ، ثم فقدت حرارتها تباعا حتى أصبحت ملائمة لاستقبال الماء . فالترتيب وحده الوارد في الآيات الكريمة له دلالته .. بل إذا نظرنا بعين العرفان نجد أن الآية الكريمة « أخرج منها ماءها ومرعاها » أي أن الماء أخرج منها لما بردت وأصبح لها قشرة صلبة ، وكون الماء منها نتيجة لازمة للتفاعلات الكيمائية التي حدثت أثناء تصلب القشرة الأرضية ، وهذا ما يحدث في تكوين الكتل النارية التي تعطي الصخور النارية . والمياه النارية المتخلفة من الصخور النارية ، أو جدت الثروة المعدنية القاطعة الصخور ... وفي البداية كانت المياه على هيئة أبخرة عالقة في جو الأرض أو غلاف ملازم لها حتى بردت القشرة ، وسمحت لأبخرة الماء أن تتكاثف وتسقط من السماء على الأرض ، فالماء منها وإليها . « وأنزلنا من السماء ماء بقدر ، فأسكناه في الأرض ، وإنا على ذهاب به لقادرون » ... يضم الغلاف الجوي على الكواكب : فمنها ما فقد الماء . ومنها ما لا يزال الماء فيه بخارا لم ينزل على سطحه حتى الآن ، وفيها ما ضاع منه جزء من الماء ، وفيها ما احتفظ بالماء جميعه ... وقد فقد كوكب المريخ الكثير من بخار الماء » .

وبهذا التوجيه العلمي للحواس والعقول ، وجد المسلمون أنفسهم أمام دعوة ربانية للعلم . ولم يجدوا أنفسهم أمام طائفة متناهية من المعلومات تعطى إليهم كحقائق نهائية كاملة لا سبيل إلى العلم بغيرها . ومن هنا أقبل المسلمون على البحث التجريبي ، وأدركوا أن العلوم لا تتقدم بمجرد النظر والتخمين بل لا بد من امتحان الطبيعة بالتجارب العملية ، وابتكروا آلات للرصد الفلكي والتجربة المعملية . وحسبنا شهادة الفيلسوف الرياضي العظيم برتراند رسل في كتابه (النظرة العلمية) « كان العرب أميل إلى التجريب من الإغريق — وبخاصة في الكيمياء ... وقد حمل العرب تقاليد المدنية طوال عصور الظلام ، وإليهم مرجع كثير من الفضل في أن بعض المسيحيين مثل روجر بيكون قد حصلوا كل المعارف العلمية التي تهيئت للشطر الأخير من العصور الوسطى » .

ومن هنا كانت مدائن المسلمين منارات للعلم في كل مكان . يقول لين-بول : « كانت عقول أهل قرطبة كقصورها في الحسن والروعة فإن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

علماءها وأساتذتها جعلوا منها مركزاً للثقافة الأوربية. فكان الطلبة يفدون إليها من جميع أنحاء أوربا ليتلقوا العلم عن جهابذتها الأعلام. وكان يدرّس بقرطبة كل فرع للعلوم البحتة، ونال الطب بكشف أطباء الأندلس وجراحيها من النمو والازدهار نصيباً أعظم مما ناله من قبلهم منذ أيام جالينوس وكان أبو القاسم خلف جراحا ذائع الصيت في القرن الحادي عشر (الميلادي)، وبعض عملياته الجراحيـــة يطابق اليوم العمليات الحديثة. وجاء ابن زهر بعده بقليل فكشف عن أساليب كثيرة في العلاج والجراحة، أما ابن البيطار العالم النباتي فإنه سافر إلى كل بقاع الشرق للبحث عن العقاقير الطبية، وألف في ذلك كتاباً جامعاً، ويقول هرنشو: «لقد انتقل أثر هذه الثقافة العربية إلى أوربا النصرانية من طريق مدارس الأندلس وجنوب إيطاليا، فكان من العوامل القوية في انتهاء العصور الوسطى وانبثاق فجر العصور الحديثة».

وقد ضمت المكتبة الإسلامية مراجع متخصصة في تاريخ العلم، منها المراجع (البيليوجرافية) التي تسجل أسماء الكتب: مثل الفهرست لابن النديم وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، والمراجع التي تتعرض للعلوم: مثل مدينة العلوم وأبجد العلوم وكشاف اصطلاحات الفنون ومفتاح السعادة. ومن مراجع تاريخ العلم عند المسلمين المراجع (البيوجرافية) أي كتب التراجم: مثل أخبار الحكماء للقفطي وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وطبقات صاعد الأندلسي وما إلى ذلك. أما الكتابات الحديثة في هذا الباب فقد برز فيها سارتون على وجه الخصوص. وهناك كتابات عربية لقدري طوقان (الرياضيات والفلك) ومصطفى نظيف (الطبيعيات) والخالدي (الكيمياء) وعبد العزيز إسماعيل وكثير من الأطباء (الطب) وقنواتي (الصيدلة) وقد عرض كاتب هذه السطور لمن عالجوا موضوع (الجغرافيا) عند المسلمين في تقديمه المسهب لكتاب الأستاذ نفيس أحمد «جهود المسلمين في الجغرافيا» الذي ترجمه الكاتب إلى العربية ونشرته وزارة التربية والتعليم ضمن سلسلة الألف كتاب.

إن في تطوير الأزهر تصحيحاً لمفهوم الإسلام نفسه....

إنه رجوع بالأزهر إلى مجده كجامعة، ورجوع بالإسلام والعلم الإسلامي إلى معناه الشامل وأفقه الواسع. إنه رجوع إلى الحق.... وهو النور المبين.

فتحي عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوي

— ٣ —

ملاحظات وماخذ :

مع ما نعرف ونشهد به من سعة العلم ، وغزارة المعرفة عند علي مبارك . وما نجده من أثر هذه السعة في كتبه . وخاصة « الخطط التوفيقية » و « علم الدين » ، فنحن نقع له على مآخذ أو أخطاء يعجب الإنسان لوقوعه فيها .

وليس من اليسير ، ولا من المستساغ ، أن نصف هذه المآخذ بأنها أخطاء . وأن نجهّل أو نخطّئ من كان في منزلة علي مبارك ومكانته من العلم والمعرفة والدرس . لذلك آثرت أن أسميها « ملاحظات على علي مبارك » . وهي ملاحظات يسيرة عينة ، إذا ذكر بجانبها ذلك الفيض الغزير من العلم الصادق والمعارف الحقة المفيدة . والمباحث التاريخية الغزيرة الهامة التي جمعها بين دفتي كتابيه هذين .

وقد أشرنا في المقال السابق ، لما ذكره بعض مؤرخيه من أنه كان يطلب إلى بعض أصدقائه من القادرين أن يجمعوا له ، أو يعينوه ، على جمع شيء من المواد التي ضمنها كتبه وإلى تلك الإشارات في كتبه ، التي تدل على صحة ذلك ، أو ترجيحه على الأقل ، فلعل هذه المآخذ أو بعضها مما وقع فيه هؤلاء المعاونون ، ضمها علي مبارك لما كتب أو جمع ، من غير مراجعة ولا تمحيص .

من هذه المآخذ أنه يقول عن الفيلسوف العظيم المشهور ، ابن رشد ، أنه من الموصل[1] والذي نعرفه ويعرفه المؤرخون جميعا ، أن ابن رشد ، وأباه ، وجده ، كانوا في الأندلس . وأن فيلسوفنا الذي يقصده ، ولد في قرطبة . وتولى قضاءها ، مثل جده ، وقضاء أشبيلية . وأنه عاش في الأندلس . ثم زار المغرب وأقام فيه بعضا من الزمن . ولقي ، في مراكش ، سلطانها الفيلسوف أبا يعقوب الموحدي . فهو إذن لم يولد بالموصل ، ولم يعش فيه ، ولم يزره ، ولم يعرفه ولم يعرف غير الأندلس ، وطنه ، ومراكش التي زارها ، كما قلنا ومات فيها .

---

[1] ص ٣٣٥ من كتاب علم الدين . الجزء الأول . ونص عبارته هو : وكان في القرن الثالث عشر من الميلاد بالموصل العالم الكبير ، والعلامة الشهير ابن رشد شارح مؤلفات أرسطو .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على أن على مبارك يجعل ابن رشد أيضا من رجال القرن الثالث عشر الميلادى . وهو لم يكن من رجاله ، بل من رجال القرن الثانى عشر . فقد ولد فى سنة ١١٢٦ ومات فى سنة ١١٩٨ قبل أن يبدأ القرن الثالث عشر .

ومن هذه الملاحظات أنا نجده يقول ، على لسان الشيخ علم الدين : إنه عند ماهاجر من بلده إلى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر ، كان كلما سمع شيئا من حوادث الفرنسيين عند ماغزوا مصر ، قيده . حتى جمع فى ذلك كتابا . ثم نجده بعد سطور قليلة يذكر حوادث الفرنسيين فى مصر ، وأحداث حلتهم فيها ، وحربهم لأهل القاهرة ، وما فرضوه على أهلها من الضرائب . نجده يذكر ذلك كما سجله الجبرتى فى كتابه « عجائب الآثار » . بل ينقل بعض حديث الجبرتى عن ذلك بنصه وحرفه .

ومن هذه المآخذ أنه جعل الشيخ علم الدين فى حديثه عن نهر النيل ، يقول : إن من مزاياه أو من خواصه « أنه لا يعلم مبدؤه » [1] ويقول مرة أخرى : إنه يجىء من الجنة .

ونحن نعلم أن منابع النيل قد كشفت قبل تحريره هذا الكتاب ، وعرفت ، فى عهد إسماعيل ، البحيرات التى يتجمع منها ماؤه ، ويسيل نهرا جاريا . ولست أدرى كيف يغيب ذلك عن المهندس العظيم على مبارك ، وهو الذى خصص جزءا من خططه للحديث عن النيل وما أقيم عليه من القنوات والترع والجسور والقناطر . والذى أقام بنفسه ، أو اشترك ، فى عدد كبير من هذه المشاريع الهندسية على النيل ، بل تحدث هو نفسه عن منابع النيل وأسباب فيضانه حديثا علميا [2] .

ومن هذه المآخذ أنه ، وهو يتحدث عن العرب . ويجعل هذه الكلمة عنوانا على المسامرة التى خصصها لهذا الحديث ، يذكر أسماء غير عربية ، ويتحدث عن رجال ليسوا منهم مثل تيمور لنك .

ومع تلك الدعوة التقدمية التى رأيناها فى حديث على مبارك ودعوته لأن تتعلم المرأة وتعمل وترج وتنتج . نراه فى مكان آخر [1] يدافع دفاعا قويا عن تعدد الزوجات وعن التسرى . ويزعم أن الشيخ بهاء الدين تحدث فى ذلك إلى حسان باريس وحاجهن فى ذلك حتى ألجمهن وأصبحن من رأيه فى أنه لاضرر على الحياة العامة ولا مهانة للمرأة فى تعدد الزوجات والتسرى .

ولست أدرى كيف يمكن ، أن يدعو مفكر إلى أن تتعلم المرأة وتعمل . ويكون لها بذلك

[1] ص ١٣٨٦ من الجزء الرابع .

[1] ص ٣٥ — ٣٨ من كتابه نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر .

[2] المسامرة السادسة والثمانون . ص٩٧٣ — ٩٨٢ ج ٣ من علم الدين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

استقلال فـــردى واقتصادى . ثم ترضى بالضرة والسرية ... [١] .

ولا أستطيع أن أفهم كيف يؤمن الأوربيون ، على أى وجه من الوجوه ، بأنه لا بأس على حياتهم من تعدد الزوجات، وأنه لا ضرر منه ولا مهانة للمرأة فيه ... أو فى التسرى .

ولو أن على مبارك قال: إن بهاء الدين أقنع بهذا رجالا من الأوربيين ، لكان الخطب أيسر . على بعده أو استحالته . ولكن العجيب أن يزعم أن الشيخ الشاب تحدث حديثه هذا عن تعدد الزوجات . إلى وجهان باريس ، وأنه أقنعهن . حتى أصبحن من رأيه . وحتى آمن بألا ضرر على الحياة العامة . ولا مهانة للمرأة فى تعدد الزوجات، ولا فى التسرى .

وهذا هو الأمر المستحيل الذى لا يمكن تصوره .

ومن هذه الملاحظات أنه يقول - فى ثنائه على محمد على — ولم يعلم قبله ، أى قبل محمد على ، أن أحدا من المصريين سافر إلى بلاد أوربا .

ولكننا نعلم ، ولابد أن على مبارك يعلم أيضا ، أن كبيرا من أمراء المماليك ، عاصر محمدا عليا وكان أكبر خصومه وأشدهم عليه خطرا ، سافر إلى انجلترا ، وصحب معه عددا من قومه . وأقام فى تلك البلاد أكثر من سنة ثم عاد ، وهذا الأمير هو محمد بك الألفى .

ولعل مجاملة على مبارك لأبناء محمد على وحرصه على أن يسند له أولهم كل فكرة جديدة أو عمل مبتكر ، هو الذى حمله على أن يهمل أمر الألفى .

إهمال ترجمة عمر مكرم :

على أن هناك إهمالا تعجبت منه عند ما أدركت أمره عند على مبارك . وتحيرت فى أن أجد له سببا مقبولا لا يسىء إلى مكانة على مبارك وأمانته كعالم مؤرخ منصف ، ذلك هو إهماله ذكر السيد عمر مكرم والترجمة له . والسيد عمر مكرم كان زعيما جليل المكانة عظيم المنزلة فى تاريخ مصر الحديث ، هو الذى مكن لمحمد على من الاستقلال بحكم مصر، وهو الذى أعانه بسعيه ومكانته وإخلاصه على أن يغلب كيد خصومه الكثيرين الأقوياء . كان محمد على يكثر من زيارته فى بيته ، وينادية « بيا والدى » ، وعرض عليه ، فى السنين الأولى من حكمه ، أن يقيمه نائبا عنه فى ولاية مصر فأبى السيد عمر . وبمعونة عمر مكرم وتدبيره استطاع المجاهدون فى رشيد أن يصدوا الحملة الانجليزية الأولى على مصر ، وكان محمد على عند ما علم نبأها خارج

[١] السرية الأمة التى جعل لها سيدها بيتا خاصا عن القاموس المحيط .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القاهرة يوشك أن يترك مصر كلها إلى الشام. وبمعونة السيد عمر ومكانته لدى الشعب. استطاع محمد على أن يقهر كيد الألفى ويفل من عزمه وعزم جيوشه الكثيرة التى جمعها وكاد أن يخرج بها محمد على من مصر. كما استطاع أن يرجح كفة محمد على على كفة منافسيه جميعا من المماليك، وأعـــدائه من العثمانيين.

فلما استقر الأمر لمحمد على، تنكر لوالده السيد عمر مكرم، وتصدى له بالشر والأذى وأخرجه من القاهرة منفيا إلى دمياط ثم إلى طنطا. ولم يأذن له بالعـــودة إلى القاهرة إلا وقد أصبح شيخا كبيراً فانيا لا يخشى خطره. وبعد أن صارت مصر كلها فى قبضة محمد على القوية.

السيد عمر مكرم. وله هذه المكانة والمنزلة فى تاريخ مصر، ولتصرفاته ومواقفه هـذا الأثر البين البارز فى أحداثها الجسام. لا نجد له ترجمة فيما كتب على مبارك، وبين تراجم هؤلاء المئات الكثيرة التى تحدث عن حياتها وسيرها فى خططه. والتى نجد عشرات كثيرة منهم لا تدانى منزلتها منزلة عمر مكرم ولا تطاولها، بل تقع منها موقعاً صغيراً جدا.

لا نجد فى خطط على مبارك غير إشارة عابرة ذكر فيها السيد عمر مكرم فى حديثه عن مدينة «طنطا». وعندما تحدث عن مدينة أسيوط[1] التى كان ينتسب لها مكرم. لم يتحدث عنه بشىء. وقد ذكرت منذ قريب. أنه من العسير أن نجد سببا لهذا الإهمال لا يسىء إلى على مبارك. إذ لا يمكن أن يقال أبدا: إنه يجهل مكانة السيد عمر وسيرته، وضرورة الترجمة له فى كتاب يؤرخ لمصر ويتضمن سير رجالها. وليس هناك سبب مقبول لهذا الإهمال سوى الحرص على ألا يتعرض لسيرة محمد على بما يشينها، والحرص على إرضاء توفيق بألا يذكر من كان جده كارها له وخصما، وعليه حاقدا[2].

ومن ملاحظاتنا على على مبارك أنه عندما جعل السائح الانجليزى يطلب إلى الشيخ علم الدين أن يرافقه إلى أوربا. فرض له على نفسه عشرين جنيها فى كل شهر. فوق مؤنته ومؤنة ولده بهاء الدين. وقال إنه سيؤدى له هذه الأجر كله مدة رحلته معه جميعها[3].

وغريب أن يفرض هذا السائح. أو يفرض على مبارك. هذا الأجر الفاحش للشيخ وولده فقد ذكر هو نفسه ما يشعرنا بقيمة النقد ومستوى الحياة المادية التى كان الناس يحيونها فى عصره.

---

(١) ص ١٠٣ ـ ١٠١ ج ٢.

(٢) انظر ترجمة السيد عمر مكرم فى كتابنا: [دراسات فى تاريخ الجبرتى، مصر فى القرن الثامن عشر] الجزء ٣.

(٣) ص ٢٢٦ من الجزء الأول من علم الدين.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ألم يقل إن أهله عندما هاجروا من قريتهم باعوا كل ما يملكون بأربعة جنيهات ؟ .

ألم يفرض له ولإخوانه من أعضاء البعثة التى سافرت إلى باريس ، مع أنجال محمد على جنيهان ونصف فى كل شهر ؟ .

بل نجد من أحاديث على مبارك نفسه ، أن بعض موظفى الحكومة كان مرتبه أربعين قرشا . وبعضهم كان مرتبه مائة وخمسين . وأن بعض أصحاب الرتب العسكرية الكبيرة كان مرتبهم ثلاثمائة وستين قرشا . وكان مرتب « الصاغ » عشرة جنيهات .

فكيف أوقع السائح الانجليزى فى هذا الشطط . وجعله يفرض على نفسه لصديقه الشيخ هذا القدر الجسيم من المال فى كل شهر ؟.

الحضارة والموقع الجغرافى :

وعلى مبارك داعية جهير الصوت لتطوير الحياة الشرقية ، وإلى أن ينهج أهل الشرق منهج الغربيين فى العلم والتقدم الصناعى بل فى الحياة الاجتماعية نفسها . ولكننا نجده فى فصل من فصول كتابه «علم الدين» يتحدث عن البيئة الجغرافية وأثرها فى سكان البلاد ، فيقول إن البلاد الحارة يقضى مناخها وتقضى بيئتها الجغرافية على سكانها بأن يقفوا عند حدود خاصة من التقدم والدراية والمعرفة . كما تحكم هذه البيئة الجغرافية وهذا المناخ الإقليمى على سكان البلاد بأن تكون لهم أخلاق خاصة ، تغاير أو تناقض تلك الأخلاق التى يتصف بها أهل البلاد الباردة . فسكان البلاد الباردة « بعيدون عن الظنون والأوهام ، عالون عن الكذب والنفاق والخداع والمكر ونحوها » [1] وسكان البلاد الحارة أخلاقهم تغاير ذلك . وكلما بعدت البلاد عن هذا المناخ البارد ، كلما بعدت أخلاق أهلها عن هذه الصفات الطيبة . وكذلك العكس . أما النشاط البدنى والعقلى فهما يدوران حيث تدور البرودة والحرارة . فأهل « البقاع المعتدلة لا تبات لهم على حال » . فطورا فى الفضائل وطورا فى الرذائل . يغشون كل ناد ، ويهيمون فى كل واد . وكلما زادت درجة الحرارة ضعفت القوى البدنية ويتعدى ذلك إلى القوى العقلية . فتتساوى لديهم الأمور ، فلا تنبعث خواطرهم إلى شىء ، ولا يهتمون بشىء . ويغلب عليهم الكسل . ويتحملون العذاب فى الدنيا بلا ملل ، ولا يجتهدون فى الدنيا بعقولهم فى سياسة أنفسهم فيكون فى ذلك استرقاقهم . ويرون الرق أهون عليهم من العمل » [2] ومن الأدلة التى ساقها على صدق رأيه هذا أن « سكان جزيرة سيام يقولون : إن النعيم الأبدى هو كون الإنسان لا يجبر على الحركة وإتعاب الجسم .

---

[1] ص ١٢٠٧ من الجزء الرابع من «علم الدين».

[2] ص ١٢٠٢ من الجزء الرابع من «علم الدين».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلذلك كان السكون وعدم الاشتغال عندهم أمرا مرغوبا فيه فى تلك البلاد الحارة المضعفة لجميع القوى . ولأن الراحة عندهم أمر طبيعى هو المقصود بالذات »[1] وهو يجعل أيضا أهل البلاد الباردة أقوى أجساما ، وأسلم أعصابا من الشرقيين .

وهنا نلاحظ أمرين . الأول أن على مبارك يردد ويؤكد تلك الدعوى التى كان يروج لها المستعمرون من الأوربيين : من أن البلاد الشرقية بوضعها الجغرافى والمناخى مقضى عليها إلى الأبد بالجهالة والذل ؛ لأن أخلاقها وطبائع أهلها لا تجعلهم أهلا لغير ذلك . وأنه لاحيلة لهم فى ذلك لأن أجواءهم ومناخاتهم لن تتغير . وهى التى حكمت عليهم بهذا الوضع . وليس يخاف ما فى هذه الدعوى من العنصرية الطاغية . وأنها لم تقم ، ولم يروج لها حتى تصبح قاعدة من قواعد العلم المقررة ، إلا لأن أهل الغرب يريدون أن يثبتوا سلطانهم على بلاد الشرق وأن يجعلوه دائما قائما على حكم الله أو على حكم الطبيعة التى لا فكاك منه ولا مخرج . ولأنهم يريدون أن ييئسوا أهل الشرق حتى يقبلوا هذا الوضع ولا يحاولو أن يخرجوا عليه أو يغيروا منه شيئا . وقد رأينا فى أول هذا القرن . وفى السنوات العشرين الأخيرة منه خاصة .

ما ينقض هذا الرأى - أو هذه الدعوى - نقضا باتا . والأمر الثانى : أن على مبارك بتقريره هذه النظرية او هذه الدعوى الفاسدة - قد ناقض نفسه ، ونقض رأيه الذى دعا إليه بالصوت الجهير . وهو تطوير الحياة الشرقية ودفعها إلى أن تسير حيث سارت الحياة الأوربية . وكيف يكون ذلك وبين أهل الغرب وأهل الشرق هذا التناقض البين فى الصفات والكفاية الذاتية والأخلاق والنشاط والرغبة فى العمل والحرص على الحرية ... ؟ .

لقد سلب على مبارك من أهل البلاد المعتدلة والحارة كل سبب للحياة الحرة ، والرغبة فى العمل ، والإقدام عليه ، بله النشاط ، وجعل الجنة التى يحلمون بها هى ألا يجبروا على حركة ولا إتعاب جسم ، وجردهم من كل خلق كريم . وجعل هذا كله قاصرا على أهل البلاد الباردة . فماذا يجدى أهل الشرق أن يدعوهم على مبارك لحياة القوة والحرية والعلم والنشاط ، مادام هذا حالهم الذى لاحيلة لهم فى الخروج منه مهما فعلوا .. ؟

ومما يلاحظ أيضا أن كثيرا من الآراء والنظريات يعرضها على مبارك بلسان الشيخ أو السائح الانجليزى أو أحد رفقائهما . ويجعل بعضا منهم يعارضها ويردها . ولكنه فى هذا الرأى الذى قرره عن الأمم ، وعن

[1] ص ١٢٥٩ من الجزء الرابع من «علم الدين» .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشرق والغرب ، جعله مما اتفق عليه الشيخ وابنه والسائح الانجليزي . ومما أيد كل واحد منهم تأييدا قويا جازما .

على أنا نجد بعد ذلك بقليل رأيا له ، يدحض هذا الرأي الشعوبي وينقضه . ولا يجعل العامل الجغرافي سببا للتخلف والتأخر . نجد هذا الرأي المناقض في مسامرته العاشرة بعد المائة [1] .

ونجده في كتاب « نخبة الفكر » يقول رأيا آخر يغاير هذا الرأي ، بل يناقضه ، فهو يتحدث عن « أصل سكان مصر وأخلاقهم » فيقول : (إن البقعة المصرية لا تقتضي بطبعها شيئاً من الأخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية أصلا ، ولا يقوم لأحد على ذلك دليل ، وإنما هي الحوادث الدهرية قد وجهت سهامها نحو هذه الديار السيئة الحظ ، فتوالت عليها غارات المتغلبين) [2] .

وقد روى علي مبارك في تلك الوصية التي وصى بها الشيخ علم الدين ابنه عند ما نزح لطلب العلم في الأزهر ، روى أن بعض المشايخ « لقي أول طلبة العلم في الأزهر عناء شديدا وجانبه فتوح الله وتوفيقه حتى يئس من الفلاح وفترت همته في الطلب وعزم على أن يعود إلى قريته ، فلما هم بأن يرحل من الأزهر يائسا حزينا ، شاهد حشرة من حشرات الأرض تحاول الصعود إلى مرتقى صعب عسير فوقعت . ولكنها عادت تصعد مرة أخرى ، فوقف الشيخ يرقبها وهي كلما وقعت عاودت الصعود ، حتى تمكنت آخر الأمر مما تريد . « فقال في نفسه والله لا أكون أعجز من هذه الحشرة » .

وهذه قصة النملة القديمة المعروفة ، التي رواها الرواة من قديم ، ولعلهم نسبوها إلى تيمورلنك .

هذه ملاحظات لنا على كتابي علي مبارك الخطط ، وعلم الدين . وهما ، كما قلنا ، أعظم أعماله الأدبية وأجلها شأنا ، وهي ملاحظات أبعد من العسير ومن غير المستساغ ، كما سبق القول ، أن نقول إنها أخطاء ، ولا أن نجهل بها على مبارك أو ننقص من مكانته السامية وقدره الشامخ في تاريخنا الحديث .

على أن هذه أخطاء أو ملاحظات أدركتها في بدوات القراءة . فإني لم أتقصى له الأخطاء ولم أتعقب الأغلاط والمآخذ والهنوات .

* * *

البر بالفلاح :

ومن العواطف الكريمة والدعوات البارة التي نجدها عند علي مبارك ، عطفه على الفلاح والتنبيه إلى رعايته والبر به ودعوته « ولي الأمر » إلى أن يخص [1] أهل الفلاحة بمزيد

[1] « مسامرة الخلف والخلف في الإسلام » ص ١٣٤٧ - ١٣٥٩ من الجزء الرابع من « علم الدين » .
[2] ص ١٧٤ من الكتاب .

[1] ص ٤٠ من الخطط الجزء التاسع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للعناية والالتفات . لأنهم الحاملون لأثقاله القائمون بمصالحه وأعماله إذ لولاهم لما كان للملك قوام ، ولا تم له نظام . ويجب على كل حاكم احترام المشتغلين بها والالتفات إليهم كل الالتفات ومساعدتهم بأنواع المساعدات وتطييب قلوبهم والرأفة بهم . وإلا كان كمن هدم أساس بيته بفأسه [١] .

ومن الكلمات التي يقف القارئ عندها ليتأمل ما وراءها هذه الكلمات : « إن أقوى الأسباب لتأخر الزراعة — على الرغم من أنها قوام حياة الأمة — احتقار الفلاحين وعدم الالتفات إليهم ، وترك التبصر في أحوالهم . وارتكاب ما تضيع به ثمرات الفلاحة من تسخير أهلها بالعسف والقهر والتعدي عليهم بما يقهقر حالهم ويفسد عليهم أعمالهم . وكالتغالي في الزينة والزهو والإكباب على اللعب واللهو . خلافا لما يزعمه أخساء العقول من أن ذلك من لوازم الثروة » [٢] .

وإذا ذكرنا كيف كان حال الفلاحين يوم كتب على مبارك هذا الكلام . وكيف السادة والحكام ينظرون إليهم . ثم ذكرنا كذلك سرف إسماعيل وكيف كان ينفق مال الفلاحين في اللهو والزينة . والانكباب على اللعب واللهو إذا ذكرنا هذا وذاك ، أدركنا شرف هذه العاطفة التي دفعت على مبارك لأن يكتب هذا الذي كتب كأنه يقصد به إسماعيل وشيعته . وأدركنا أيضا ما كان عند على مبارك من شجاعة استطاع بها أن يكتب هذا . وما كان عنده من حيلة ولطف مدخل ، حين وضع هذا الحديث على لسان عالم فرنسي يتحدث إلى الشيخ علم الدين وأصدقائه .

ولم يكن عطف على مبارك على الفلاح وبره به دعوة مجردة . بل كان له مع هذه الدعوة عمل دائب مثابر نحدثنا عن كثير منه من قبل . ونذكر فوق ذلك أن إحساسه بالكرامة الإنسانية التي يجب أن تصان للفلاح وللمواطن المصري على العموم . هذا الإحساس جعله يحزن ويبتئس لما رأى من حال السجون المصرية ويعمل على تحسينها يقول إن هذه « الحبوس » كانت « حواصل » مظلمة لا يدخلها النور إلا قليلا . وكان المحكوم عليهم . اختلاف جرائمهم ، يخزنون فيها كالأمتعة . وداخلها يختنق بمجرد استنشاق هوائها . فرضع على مبارك نماذج لسجون صحية نظيفة وأقرت الحكومة مشروعه . وبنى منها في عهده سجن في الشرقية وآخر في المنوفية .

وكذلك كانت المستشفيات في الأقاليم تقام كما يقول في « ورشة ونحوها وأكثرها متهدم والسليم منها كمرابط البهائم » فوضع كذلك مشروعا لبناء كثير منها بالتدريج وتم منها في عهده واحد في الدقهلية وآخر في الغربية .

محمود الشرقاوي

[١] ص ١٠٣٦ - ١٠٣٧ جزء ٣ من علم الدين .
[٢] ص ١٠٣٣ جزء ٣ من علم الدين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدينة كانو

أكبر مراكز الإسلام في إفريقية الغربية

للأستاذ محمد جلال عباس

مقدمة :

أخذ الإسلام ينتشر في إفريقية الغربية منذ القرن التاسع الميلادي بعد أن أقام الكثير من التجار العرب والمهاجرين من قبائل البربر في مدن الإقليم ومراكزه التي نشأت عند نهايات الطرق التي تعبر الصحراء الكبرى وتسير فيها القوافل إلى بلاد السودان آتية من الشمال الإفريقي ، وقد ترتب على ذلك أن تحولت بعض هذه المدن إلى مراكز للثقافة الإسلامية ، ونقط ارتكاز للدعوة ، وكعبة يحج إليها الراغبون في التزود من علوم الدين والتفقه فيه من أبناء القبائل التي تسكن إفريقية الغربية والتي اعتنقت الإسلام .

وأول تلك المدن التي برزت كمراكز إشعاع الثقافة الإسلامية في غرب إفريقية هي مدينة «تمبكتو» أو «تنبكت» على نهر النيجر ، ثم مدينة جاو وجني المجاورتين على النهر أيضا ، إلى الجنوب قليلا من «تنبكت» ، ومنذ القرن الخامس عشر اضمحلت مدن النيجر نتيجة لتعرضها للفتن والحروب والغزوات وتحول مركز إشعاع الثقافة الإسلامية إلى مدينة كانو التي ظلت محتفظة بمركزها الأول حتى وقتنا الحاضر .

وسوف نتناول في هذا المقال دراسة موجزة لنشأة المدينة وتطورها ثم تحولها إلى مركز إشعاع إسلامي في نيجيريا ، واعتلائها مركز الصدارة بين المدن الإسلامية في إفريقية الغربية لما مر بتاريخها من حركات تجديد وإحياء للثقافة الإسلامية والدعوة إلى الإسلام فضلا عن مركز المدينة في وقتنا الحاضر .

نشأة المدينة وتطورها :

كانت هناك قمتان ترتفعان عن الأرض المحيطة بهما بضع مئات من الأمتار على خط العرض الثاني عشر شمال خط الاستواء وإلى الشرق قليلا من تقاطع هذا الخط بخط الطول الثامن شرقي جرينتش وتطل هاتان القمتان على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى إلى شمالها ، وعلى الأطراف الشمالية من نطاق حشائش السفانا — الذي يعرف باسم النطاق السوداني — إلى جنوبهما ، وفي وقت مبكر من القرون الأولى الميلادية اكتشفت الجماعات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المشتغلة بصهر وصناعة الحديد أن تربة هذين التلين — دالا وجوورون — غنية برواسب الحديد، فأخذت تتجمع عندهما أسر الحدادين التي تزعمها فيما بعد رجل يسمى كانو حول هذه التجمعات العارضة إلى محلة صغيرة عند سفوح تل دالا أو دارا، وأخذت هذه المحلة تنمو تدريجا إلى أن أصبحت مدينة واشتهر سكانها باسم أباجازاوا [1] وهو الاسم الذي ما زال يطلق على طبقة الحدادين حتى وقتنا الحاضر.

ولقد ظلت مناطق شمال نيجيريا تسكنها عشائر متفرقة إلى أن أتت إليها هجرات القبائل الشهيرة المعروفة باسم الهاوسا والتي تكون الغالبية العظمى من سكان الإقليم الشمالي في نيجيريا، وفي عهد هذه القبائل أخذت مدينة كانو تنمو وتتطور تطورا سريعا حتى أصبحت مدينة لها مركزها الهام بين مدن الإقليم.

وتحكي أسطورة الهاوسا أنهم أبناء بايزيد جفيد أحد خلفاء بغداد، وقد تزوج من ابنة ملك برنو فأنجب منها سبعة أبناء توزعوا في البلاد وكون كل منهم إمارة من إمارات الهاوسا السبع: هاوسا وبوكوي وهي جوبير، وكانو، ودانو، وكانسينا، وداورا، وزاريا [2].

وأول من عرف من ملوك كانو هو الملك يوجودا حفيد بايزيد وقد عاش في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وتتابع بعده ثمان وأربعون ملكا، وقد ظلت كانو صغيرة إلى أن تكونت بها منطقة السوق (جاكارا) وأخذت تنمو حولها المساكن وأصبح سوق كانو أحد الأسواق الرئيسية التي تنتهي عندها طرق قوافل الصحراء، حيث كانت «تل» و«الأوجوورون» تعتبران دليلا لهذه القوافل.

وفي القرن الثاني عشر بنيت أسوار المدينة القديمة لحمايتها من الغزوات التي كانت تأتي إليها من الجنوب والشمال واستطاعت المدينة بذلك أن تؤمن داخل أسوارها تجار القوافل القادمين من الشمال الإفريقي.

وظلت السلطة في المدينة يتنازعها زعماء الحدادين وهم السكان الأصليون والهاوسا السكان الوافدون إلى أن اعتنق ملوك الهاوسا الإسلام واستطاعوا في ظل هذا الدين الجديد ونظامه الدقيق أن يوجهوا الحكم في المنطقة الوجهة التي أكسبتهم كل نفوذ وسلطان، وقد تطورت المدينة في عهدها الإسلامي تطورا تدريجا حتى احتلت مكان الصدارة بين مدن غرب إفريقية.

فجر الإسلام في كانو:

علمنا أن أساطير الهاوسا تجمع على أنهم

---

[1] سير آلان بيرنز ص ٤٨.

[2] نيفي ص ٣٦.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يرجعون أصلا إلى أحد أحفاد ملوك بغداد المسمى بايازيد الذى وفد إلى البلاد فى أواخر القرن العاشر الميلادى ، ويدل ذلك على أن الهاوسا كانوا منذ بداية عهدهم مسلمين ، غير أن الرواية التاريخية تدلنا على خلاف ذلك ، فإن الهاوسا فى شمال نيجيريا ظلوا حتى القرن الثانى عشر يدينون بديانة قبلية وأن الإسلام بدأ ينتشر بين شعب الهاوسا تدريجا منذ ذلك القرن ، وأن أول ملوك الهاوسا الذين اعتنقوا الإسلام هو الملك باجى .

وفى معرض هـــذا الخلاف ، وفى ضوء الظروف التى كانت تحيط بمدينة كانو خاصة وببلاد الهاوسا بصفة عامة يمكننا القول إن الإسلام أخذ ينتشر بين قبائل الهاوسا نتيجة لاحتكاكه مع شعب البرنو فى الشرق وشعوب مالى فى الغرب والمهاجرين من الطوارق والتجار العرب الوافدين من الشمال ، وكانت كل هذه الشعوب قد اعتنقت الإسلام منذ وقت سابق فى القرنين التاسع والعاشر الميلادى .

أما فيما يتعلق بملوك كانو فالمرجح أن بعضهم كان يعتنق الإسلام على يد رجال الحاشية ، وكان أغلبهم من المسلمين ، واستعان بهم ملوك كانو لتنظيم الملك وإرساء الحكم فى بلادهم على أساس النظم التى أتى بها الإسلام .

وواقع الأمر أن بعض الهاوسا كانوا قد اعتنقوا الإسلام ولكن بأعداد قليلة نتيجة الاختلاط بالمسلمين ولكنهم أقبلوا على الإسلام منذ أن اعتنقه ملكهم باجى وأخذ يبنى المساجد ، ويحكم البلاد وينظم العلاقات والمعاملات ، على أساس النظم الإسلامية ، فلما شاهد الهاوسا حسنات الإسلام أقبلوا عليه بل تحولوا بعد ذلك بقليل إلى دعاة لهذا الدين بين القبائل البدائية التى كانت تسكن إلى جنوب كانو فى حوض نهر النيجر ، وقد سبق شعب كانو بذلك سائر إمارات الهاوسا بقرن ونصف من الزمان فى اعتناقه للإسلام [1] .

ازدهار كانو فى ظل الإسلام :

وفى عهد الأمير يعقوب (١٤٥٢/١٤٦٣م) وهو الملك التاسع عشر ، حدثت هجرة كبيرة انتقل فيها إلى كانو الكثير من جماعات الوانجارا ، وهم من العناصر الرئيسية التى كونت امبراطورية مالى . وذلك بعد أن زاد ضغط الغزوات الخارجية على هـــذه الامبراطورية الإسلامية العظيمة من الموسى فى الجنوب ومن المغاربة والطوارق فى الشمال وكان لهؤلاء المهاجرين الجدد بعد أن اختلطوا بسكان مدينة كانو أثرهم الكبير فى تعميق جذور العقيدة الإسلامية عند الهاوسا .

---

[١] يوفيل ص ١٢١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى عهد محمد رومفا ، الملك العشرون لكانو ، (من ١٤٦٣ إلى ١٤٩٣) وأشهر ملوكها المسلمين . بلغت المدينة ذروة مجدها وبدأ فيها عهد إسلامى جديد سادت فيه كل مظاهر الحياة الإسلامية فكان إحياء رمضان بالصوم والتعبد وكانت الاحتفالات بالأعياد الإسلامية المختلفة ، كما أقامت حركة لتنقية عقيدة الهاوسا مما شابها من أفكار وعقائد الحياة القبلية السابقة .

جهود الأزهر :

وقد ساعد على ازدهار الإسلام فى عهد محمد رومفا أن استوفد عددا من علماء الأزهر من مصر ليعلموا وينشروا مبادئ الإسلام الصحيح فى المدارس العديدة التى افتتحها والمساجد العظيمة التى أقامها ، وفى مجلس بلاطه العلمى الذى كان يعقد فى قصره العظيم الذى شيده فى جبل والا ، ومما يذكر بالفضل للملك محمد رومفا أنه أعاد تنظيم الحكم فى كانو وتوابعها على أساس إسلامى مقتبسا النظم التى كانت متبعة فى ذلك العهد فى مصر .

واستمر ازدهار الحياة العلمية الإسلامية فى كانو فى عهد الملك محمد كيسوكى (من سنة ١٥٠٩ إلى ١٥٦٥ ، وذلك رغم غزوات السنغاى وتعرض البلاد لغزوات أخرى من قبائل الكوارافا البدائية فى الجنوب . والغريب فى الأمر أن هذه الغزوات كانت مما ساعد على تقوية مركز كانو وتحولها إلى مركز إشعاع إسلامى فى الغرب الأوسط من إفريقية ، ويرجع ذلك إلى عاملين :

الأول : أن غزوات أسكيا محمد امبراطور السنغاى واشتداد مقاومة شعب كانو قد أكسبا هذه المدينة وشعبها احتراما لدى أسكيا محمد مما ، جعله يوقف هذه الغزوات ويعقد مع كانو هدنة يقر بمقتضاها إمارة كانو ويزوج أميرها بإحدى بناته مما أعطاها قوة واستقرارا .

الثانى : أن هزيمة قبائل الكورارافا أمام قوة الهاوسا فى كانو ، ومشاهدة هذه القبائل الغازية المهزومة للنظم الدقيقة والحياة الرفيعة التى يحياها سكان هذه المدينة جعلتهم يقبلون على الإسلام ويستوفدون المسلمين من الهاوسا لنشر تعاليم هذا الدين القيم ثم أوقفوا بعد ذلك غزواتهم .

كانو تصبح ملجأ العلماء :

ومما ساعد على ازدهار الحياة العلمية الإسلامية فى كانو أن تعرضت تمبكتو وجاو وجنى للضعف نتيجة لغزوات البربر والمغاربة التى شغلت بها زمنا ، فاضطر الكثير من علمائهما إلى الهجرة إلى كانو التى

كان الإسلام قد استقر فيها وازدهر فى عهد محمد رومفا ، ومن هؤلاء العلماء الذين نزلوا بكانو وأقاموا فيها يعلمون الدين والفقه الحاج أحمد التنبكتى ومخلوف بن على ومحمد ابن أحمد ، ولكن أشهرهم جميعا محمد بن عبد الكريم المغيلى الشهير باسم البغدادى أيضا .

اشتهر المغيلى بين قبائل الطوارق كداعية للإسلام ولا يزال اسمه يلقى بينهم احتراما وتقديسا . ولكن الفتنة التى أحدثها اليهود وأدت إلى قتل الكثير منهم فى طوات وغيرها من واحات الصحراء الكبرى واستغلال اليهود لها باتهامه بتدبيرها جعله يؤثر الهجرة إلى بلاد الهاوسا[1] حيث أسلم على يديه ملوك كاتسينا ثم انتقل إلى كانو بعد أن كتب لأميرها خطابا يقول فيه .

إن الكفار ببلادكم ما زالوا بين المسلمين فى الأسواق والمنازل فان لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر فى رمضان كان ذلك ذريعة لأن يفعل كفعلهم ضعفة العقول من عامة شعبكم ونسائه [2] .

فدعاه ملك كانو لينقى البلاد من الشرك والكفر وأقام زمنا يعلم الفقه وأصول الدين وكتب لأمير كانو كتابا بعنوان « واجبات الأمير » ويدل كتابه هذا على إلمامه الكبير بشئون الحكم ومشكلاته ومتاعبه، وقد كتب كتابه هذا بالعربية مما يدل على أنها كانت لغة منتشرة فى تلك البلاد فى ذلك العهد.

ومما يذكر أيضا أن جلال الدين السيوطى العالم المصرى المشهور قد زار كانو وأقام فيها بضع سنين يعلم القرآن ويفقه فى الدين وعاد منها إلى مصر عام ٨٧٦ هـ .

العهد الفولانى فى كانو :

ظلت مدينة كانو تعيش فى ظل أمراء الهاوسا كمدينة إسلامية ، وكسوق للتجارة ، وكمحطة للقوافل الآتية من الشمال عبر الصحراء الكبرى ، وقد كانت بلاد الهاوسا كلها ابتداء من القرن الخامس عشر تتعرض لهجرات سلمية آتية من الغرب تحمل جماعات مسلمة بعضها يشتغل بالرعى وبعضها يحترف التجارة . فنزل الرعاة من هؤلاء المهاجرين فى مهامه السافانا يرعون أبقارهم جنبا إلى جنب مع الهاوسا الذين كانت غالبية أهل القرى منهم تشتغل بالزراعة وقد عرف المهاجرون الرعاة باسم بورورو جى أى الفولانى البقارة أو أهل البقر ، وعرف التجار الذين نزلوا المدن الكبيرة ومنها مدينة كانو باسم فولانى جيدا أى فولانى

---

[1] ! وارد هوين ص ٧ و ٨ .

[2] عن حسن محمود فى كتابه تاريخ انتشار الإسلام والثقافة العربية فى إفريقية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحضر [١] ، وقد كان هذا التوزيع للسكان محققا لنوع من التكامل الاقتصادى فى حياة الهاوسا وبخاصة كانو والمنطقة المحيطة بها الخاضعة لها ، ذلك أن الهاوسا الزراع والبورورجى أو الفولانى البقارة تعاونوا فى مناطق الريف ، كما أن فولانى جيدا أو فولانى الحضر قد ساعدوا على زيادة ازدهار الصناعات القائمة فى مدينة كانو واستطاعوا أن يتاجروا بها لمسافات بعيدة عبر الصحراء فى الشمال أو على طول امتداد نطاق السفانا إلى ساحل الأطلسى فى الغرب .

إلى جانب التعاون الاقتصادى الذى قام بين الهاوسا والفولانى نجد أن الوئام والاختلاط بل الاندماج الكامل قد ظهرت بوادره منذ أن بدأ المهاجرون الجدد من الفولانى يفدون إلى بلاد الهاوسا ، ولم يجد الهاوسا والفولانى أى نوع من الصعوبات تحول دون اختلاطهم فكلهم مسلمون ينتمون إلى دين واحد ويتبعون شريعة القرآن وقد ساعد ذلك على ظهور اتجاه جديد نحو دراسة الدين والتفقه فيه والتعاون من أجل إحياء سننه وشرائعه والعمل على نشره بين القبائل التى لم تكن قد استظلت بظله أو تفتحت أعينها على نوره .

وفى مطلع القرن التاسع عشر ظهر على مسرح الحياة فى نيجريا الشمالية رجل يدعى عثمان دن فديو تفقه فى الدين ، وتعمق فى علوم القرآن والحديث والشرائع والأصول على يد علماء تعلموا فى الأزهر أو فى المدينة المنورة أو فى الزيتونة بتونس أو فى مسجد القرويين بالمغرب ، وقد بدأ حياته معلما ثم جمع حوله الأتباع وبث فيهم روح الكفاح من أجل تخليص البلاد من كل شوائب الحياة القبلية ، ونشر الإسلام بين من لم يسلم منهم ، والعمل على توحيد البلاد فى ملك إسلامى يقيم شرائع القرآن ويحيى أمجاد الإسلام ، ومن ثم أعلن الجهاد على ما كان هناك من بدع ، وعلى التفرق وعلى القبلية القديمة .

وهكذا بدأ الجهاد لتوحيد الإمارات فى مملكة واحدة قوية تكون مصدر إشعاع لهذا الدين القويم ، وبدأت الدعوة من سوكوتو ، ولكن كانو سرعان ما انضمت إلى اللواء الذى عقده لها أمير المؤمنين أو سارا كين مسلمانى كما يسمى بلغة الهاوسا وكانت هى المدينة النيجيرية الوحيدة التى قبلت اللواء دون صراع بين الزعماء ودون حاجة إلى غزو أو حرب أو معارك وذلك لإدراك أهلها أن الوحدة هى سبيل تحقيق الأهداف العظمى من نشر الإسلام وتنقية العقيدة [١] .

وعاشت كانو فى اتحاد إمارات الفولا قرنا

---

[١] سير آلان بيرنز ص ٤٧ .

[١] نيفين ص ١٢٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كاملا حفل بالاستقرار والازدهار في ظل نظام إسلامي دقيق تعاون أمراء الفولا مع شعب الهاوسا على إقامته والمحافظة عليه ، وقد زادت شهرتها كمركز تجاري ، واستقر بها الكثير من تجار الشمال الإفريقي من المغرب والمغاربة ، كما زارها كل الرحالة الذين ارتادوا مناطق غرب إفريقية خلال القرن التاسع عشر وكتب عنها الرحالة الألماني بارث يقول : « إنها مدينة صناعية تجارية تأتيها القوافل من الشمال من ساحل البحر المتوسط ، ومن الغرب من ساحل المحيط الأطلسي ، وتمتد شهرتها في آفاق بعيدة »[1] .

ومن أهم الصناعات التي ازدهرت في كانو صناعة المنسوجات القطنية وصباغة الأقمشة ، وكان تجار غدامس يحملون إليها المنسوجات الخام من المغرب لتصبغ في كانو ، ويعودون بها في ذلك الطريق الطويل ويتكبدون هذه المشقة والتكاليف الباهظة ليحصلوا على نسيج مصبوغ صباغة جيدة بألوان جميلة ثابتة ، وإلى جانب صناعة المنسوجات والصباغة اشتهرت كذلك بدبغ الجلود وذاع صيت جلود كانو في بلاد المغرب وكانت تستورد للاستخدام في صنع الأحذية في مراكش .

[1] يوفيل ص ٢ : ٢ .

ثم أتاها الاستعمار :

ومنذ منتصف القرن التاسع بدأت كانو تشهد طلائع الاستعمار البريطاني ، ممثلة في الشركات التجارية التي أخذت تعقد الاتفاقات التجارية مع الأمراء ، ولكن هذه الشركات لم تستطع أن تتغلغل بنفوذها في مدينة كانو على الرغم من أهمية موقع كانو التجاري ، إلا أن شركة النيجر الملكية لم تستطع إقامة مركزها هناك بل اتخذت من كادونا المدينة الناشئة مقرا لها وظلت تعمل في شمال نيجيريا إلى أن أعلنت الحماية البريطانية على هذا الإقليم الشمالي عام ١٩٠٠ ورفض أمراء الفولا في كانو وبعض مدن الشمال الأخرى الخضوع للنفوذ البريطاني فاضطر اللورد لوجارد أن يرسل حملات لإخضاع هذه المدن ولقيت هذه الحملات رغم قوتها وتسلحها بأسلحة حديثة مقاومة شديدة من شعب الهاوسا والفولا في كانو وغيرها من مدن الشمال . وقد استمرت هذه المقاومة حتى سنة ١٩٠٣ . ثم تغلبت القوة بمساعدة الخونة وقامت السلطات البريطانية بخلع أمير كانو وتنصيب آخر اضطر لتوقيع اتفاقية الحماية .

وبدأت السلطات الاستعمارية تعمل على خلق المشكلات وإثارة الفرقة بين الأهالي فشجعت هجرة الكثير من عناصر الإيبو وهيأت لهم السكن في كانو على وجه الخصوص وكانت تهدف من وراء ذلك إلى خلق خلاف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كبير بين السكان الأصليين المسلمين وبين هؤلاء المهاجرين من القبائل غير الإسلامية وقد نجحت فى ذلك حيث حدثت اصطدامات عنيفة بين الفريقين أدت إلى تدخل السلطات الاستعمارية ، واتخذ البريطانيون أيضا من وجود هؤلاء المهاجرين ذريعة لإدخال التبشير إلى هذه المناطق الإسلامية الصرفة بحجة تعليم هؤلاء السكان الذين لا يقبلون على التعليم الإسلامى وهى حجة واهية فى الواقع لأن الكثير منهم بعد أن اختلطوا بالمسلمين وشاهدوا محاسن الإسلام أقبلوا على الدخول فى هذا الدين القويم ولكن الاستعمار أوقف هذا التيار بمخططه الهادفة .

ومما يذكر أن مدينة كانو قد شاركت مشاركة فعلية فى الحركة التحررية بنيجيريا فكانت مقر حزب شعوب الشمال وكان زعماؤها يؤمنون بوحدة نيجيريا التى أراد الاستعمار تفتيتها وقد استقبلت كانو الرئيس الدكتور نامادى أزيكوى استقبالا رائعا من جانب الشعب والزعماء وتم فى هذا الاستقبال اتفاق بين حزب شعب الشمال وحزب وحدة نيجيريا على النضال المشترك من أجل استقلال نيجيريا ووحدتها .

مدرسة العلوم العربية فى كانو [1]

وكان معظم الذين قادوا الحركة التحررية فى نيجيريا الشمالية من أبناء المسلمين من الهاوسا والفولا الذين تخرجوا فى معهد عربى أنشأه السلطان محمد السنوسى أمير كانو السابق سنة ١٩٣٤ وقد ساعده فى إنشاء هذا المعهد تاجر من الإقليم المصرى كان يقيم هناك ويعلم إلى جانب تجارته علوم الدين وهو الحاج أحمد أحمد أبو السعود ، واستوفد الأمير السنوسى بعض العلماء من مصر والسودان للتدريس فى هذه المدرسة التى كانت تسمى فى أول الأمر باسم مدرسة الشريعة الإسلامية ثم تحولت فأصبحت تسمى مدرسة العلوم العربية ، وتخرج منها طليعة الزعماء الذين قادوا الحركة السياسية فى نيجيريا الشمالية وأكثرهم كانوا معلمين أو قضاة ، وما يزال هذا المعهد قائما حتى يومنا هذا يتطلع إلى التدعيم وإلى التخلص من آثار النفوذ الاستعمارى التى دخلت إليه ممثلة فى رجال إدارته الذين عينتهم وزارة التعليم فى المعهد الاستعمارى فى نيجيريا فما يزال وكيل المعهد انجليزيا . وهذه المدرسة تتطلع فى تدعيمها إلى عون البلاد العربية والإسلامية لتقوم على أقدامها كمركز للتعليم الإسلامى والدعوة الإسلامية فى غرب إفريقيا .

يوم كانو وغدها :

ولئن كانت مدينة كانو اليوم هى أكبر المدن الإسلامية فى غرب إفريقية إذ يبلغ عدد

[١] معلومات من بعض أبناء نيجيريا فى الأزهر الشريف .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سكانها نحو ١٣٠ ألف نسمة فإنها أيضا تعتبر أهم مركز إسلامى فى مستقبل الحياة الإفريقية للعوامل الآتية :

١ — الاستعداد الكبير لدى شعبها وأمرائها لمواصلة الكفاح من أجل نشر الإسلام وتعاليمه الصحيحة بين شعوب نيجيريا والبلاد المجاورة .

٢ — وجود أكبر معهد دينى إسلامى فى غرب إفريقيا بها وهو مدرسة العلوم العربية التى يمكن أن تكون فى المستقبل نواة لجامعة إسلامية تتعاون مع الأزهر الشريف وجامعات الشمال الإفريقى على إحياء التراث الإسلامى وإعداد الدعاة والرواد والمعلمين .

٣ — موقعها الجغرافى الذى يسهل اتصالها بجهات إفريقيا الأخرى .

٤ — وجود أقليات من أبناء نيجيريا وجهات إفريقية أخرى يشغلون بعض الوظائف ومختلف الأعمال فى مصانع وشركات مدينة كانو الأمر الذى يمكن أن يكون عاملا يساعد على انتخاب صفوة منهم يتعلمون أصول الإسلام ويتفقهون فى الدين ليعودوا إلى قبائلهم التى لم تنعم بعد بنور الإسلام دعاة صالحين لهذا الدين القويم .

وهكذا نجد فى قلب القارة الإفريقية مركزا من مراكز الإسلام ينتظر له مستقبل زاهر فى الدعوة إلى الإسلام وتنقية العقيدة وتثبيت شريعة القرآن ونظم الإسلام ومبادئه فى عقول الإفريقيين وحياتهم .

محمد جمول عباسى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فضل الاقتصاد

أتى قوم قيس بن سعد بن عبادة يسألونه فى دية فصادفوه فى حائط يتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيده عن رديئه ، ويجعل كل صنف منها على حدته فهموا أن يرجعوا عنه وقالوا : ما نظن عند هذا خيرا . فلما فرغ من حائطه كلموه فأعطاهم .

فقال رجل من القوم : لقد رأيناك تصنع شيئا لا يشبه فعالك وأخبروه .

فقال : إن الذى رأيتم من صنيعى قضيت به حاجتكم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشك قبل الإيمان

عبرة في حياة أديب

للأستاذ محمد رجب البيومي

في حياة كل إنسان ، جل أوهان ، موضع للعبرة ، ومجال للتأمل ، وحياة الأديب المفكر بنوع خاص ، أفسح مجالا ، وأدعى مناسبة للعظة والاعتبار ، فهو باطلاعه الثاقب ، وإحساسه الثائر يأتي من الآراء ويبدي من الأعمال ما يتسع للنقاش والتحليل ، وورب موقف صغير من مواقفه الحسية يستحيل في رأى الدارس المحلل فكرة معنوية ، لها مكانها البارز في دنيا التحليل والاستقراء ، حتى لتفرد لها الشروح المتنوعة وتوضع المبررات المحتملة ، وكأنها حدث خارق قلب وجه التاريخ .

وسنتعرض اليوم إلى مفكر معاصر ، تربى في المدارس المصرية في أظلم عهود الاستعمار تربية مدنية لا تمت إلى التربية الروحية بسبب ، ثم انتقل إلى باريس فدرس تعاليم الإسلام ممسوخة شائهة على أناس يضطغنون عليه ، ويحاولون أن يطفئوا نور الله بأيديهم حتى إذا فعلت مفترياتهم السامة فعلها في نفس الناشيء المتطلع ، كتب رسالة الدكتوراة عن (حال المرأة في الإسلام) كتابة لا تسير مع الحق في طريق ، ثم قدم إلى مصر فثارت عليه الثائرة ، وأتاح الله له من دعاه إلى سبيله ، بالحكمة الحسنة والموعظة الصالحة ، فعرف الحق من الضلال ، وتبرأ مما أسلف في غربته براءة يغمرها الندم ، وتوقظها النفس اللوامة ، ثم تغلغل الإيمان في قلبه فأصبح بحمد الله من أقوى المسلمين غيرة على محارم الإسلام ، وأشدهم دعاية إلى سننه وآدابه ، وهكذا جاء يقينه الثابت عن دراسة فاحصة ، وبحث متعقل ، فتمكن من نفسه تمكنا لا تزعزعه الشكوك ، ولا تعبث به الأراجيف ، وفي هذا كله عبرة بالغة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

يقول أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ هـ من مجلة الأزهر : « أذكر أن أحد الأساتذة الكبار عليه رحمة الله قدم رسالة بالفرنسية إلى السوربون عن حال المرأة في الإسلام نال فيها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من خلق الرسول وشرعه وسلوكه ، فلما أنكر عليه من أنكر استدل على كل ما ادّعى بأحاديث مروية فى (طبقات ابن سعد) وفى (الشفاء) للقاضى عياض ، ولما ردوا حجته بأن هذه الأحاديث موضوعة قال : وما يدريني أنها موضوعة ! والكتب التى نقلت عنها معتمدة متداولة » .

وأستاذنا الزيات - كما يعرفه تلاميذه - إنسان كمله الله بالأدب والذوق ، فلم يشأ أن يصرح باسم صديقه الكبير الدكتور منصور فهمى ، ولكن الرجل رحمه الله قد شاء لنفسه غير ما شاءه الأستاذ الزيات إذ تحدث كثيراً عن سابقته هذه حديث من لا يفوته اصطياد العبرة من حوادث الزمن وتصاريف الأيام ، فقال فى صراحة محببة نقلا عن مجلة « حياتك » ديسمبر سنة ١٩٥٨ :

« كانت رسالتى فى الدكتوراة عن المرأة فى الإسلام ، واندفعت أكتب بحرارة الشباب المندفع ، ويظهر أنى انحرفت قليلا حيث كانت معلوماتى عن الإسلام طفيفة ، وحين قوبلت فى مصر بضجة كبرى ازددت عناداً ، ولكن الله كتب لى أن أجلس طويلا مع بعض مشايخ العلماء من ذوى الأفق الواسع والصدر الرحيب من أمثال الشيخ حسونة النواوى والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ على الزنكلونى : هؤلاء الذين يمثلون رجل الدين الحقيق ، فى عقولهم وعلومهم ، فبدأت أتخلص من الزيغ لأعود إلى حظيرة الدين والحمد لله » .

ثم يفصل الدكتور منصور الطريقة التى شرح الله بها صدره للحق فيقول فى موضع آخر ، نقلا عن مجلة لواء الإسلام عدد شوال سنة ١٣٧٨ هـ مانصه :

« لقيت المرحوم الشيخ الأكبر حسونة النواوى حين زرته فى منزله ، فوجدت شيخا وقورا يملأ القلب بمهابته وتقواه وكنت أسمع الكثير عن شجاعته وهمته ، واستهانته بشئون الدنيا ، فلما قدمت إليه ، قال لى : أأنت الذى يقال عنك إنك ملحد ؟! فقلت : نعم يامولاى ! فربت على كتفى وقال لى : اقرأ القرآن واقرأ البخارى إن لم تكن قرأته ، فوعدت الشيخ الوقور بذلك ، ولما خرجت استحييت ألا أفى بعهدى ، فعكفت على قراءة البخارى ، وعجبت لغفلتى الأولى ، وجدت حكما ونظما ، وأخذت أقارن ذلك بما درست من فلسفة ، فوجدت ما جاء به محمد أعلى من كل فلسفة ، وأن الإلهام الصادق يبدو فى كل حديث ، فلم أجد إلا أن أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

هذا هو كلام الدكتور رحمه الله عن نفسه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولن نستخلص منه وجه العبرة النافعة إلا إذا استعرضنا ظروف رسالته الجامعية، وما أحاط بها من ملابسات مصرية وفرنسية، جعلته يشتط فى آرائه شططا يدفع به إلى الانحراف، حتى إذا ذهبت غشاوة الضلال عن عينيه أبصر الفجر الوضيء فخرج إلى النور من الظلمات.

لقد سافر الدكتور إلى باريس سنة ١٩٠٨م وهى السنة التى توفى فيها المصلح الاجتماعى قاسم أمين محرر المرأة بعد أن ترك وراءه دويا هائلا يتردد صداه فى كل مجتمع، وقد جذب إلى آرائه الاجتماعية فريقا كبيرا من جمهرة الشباب المندفع، وفيهم من درس آراء الرجل فى يقظة وانتباه فعرف ما لا يريد وما يريد، وفيهم من فهم عن قاسم فهما يعوزه التبصر والروية، فاعتقد - مخطئا - أنه يرجع تأخر المرأة وجهلها إلى مبادئ الإسلام وتعاليم الشريعة !! وما هكذا يقول قاسم، ولكنها فرية مزورة عزاها إليه المرجفون، وتناقلها متوسطو الثقافة وأصحاب القشور من الدراسات تناقلا أعان عليه أعداء الإسلام بما اختلقوا من مزاعم، وعللوا من أشياء، وقد رسخ هذا الوهم فى نفس الدكتور منصور عن قصور فى الاطلاع، وأخذت جذوره المريضة تمتد فى نفسه حتى اختار أن تكون رسالته الجامعية عن (حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها) فجاءت تنفيسا لما يختلج فى صدره من أوهام، ومن نكد للطالع أن الذى أشرف عليها من أساتذة السوربون هو الأستاذ (ليفى بريل) وهو معروف فى دوائر الاستشراق بتحامله المغرض على الإسلام، وقد وجد من الشاب المتحمس عجينة لينة فى يده، يفعل بها مايشاء فأخذ يمده بما يدخر الاستشراق من روايات موهومة وأراجيف مزعومة، وافتراضات متخيلة ونتائج مزورة، ليكون ذلك كله مادة شططه ومطية جموحه، حتى جاز له أن يقول مثلا ص ١٦ عن رسول الله مترجما عن النص الفرنسى (١).

« وهكذا نجد أنه - محمدا - بعد أن ينام نوما عميقا، يقوم ليؤدى صلواته دون أن يجدد طهوره ووضوءه على حين أن المؤمنين الآخرين كان عليهم الشروع فى وضوء وطهور جديدين، ومن أجل أن يبرر الاستثناء الذى عمل لصالحه اكتفى بأن قال: إن عينى تنام وأن قلبى لا ينام أبدا ».

ثم يقول فى ص ١٨ « وقد حد النبى من نظام تعدد الزوجات، إلا أنه تعدى بالنسبة لنفسه ما وضعه من حدود للآخرين، فمع أن بقية المؤمنين لم يكن فى مقدورهم

---

(١) ترجم هذه الفقرات الأستاذ محمد السيد كيلانى فى كتابه « فصول ممتعة » ص ٦، ٧.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يتزوجوا بأكثر من أربع نساء فإن محمدا أن جاز لنفسه أيتزوج بأكثر من ذلك ».

ثم تبالغ الرسالة السوربونية فى مثل هذا الشطط الأرعن لتنتهى إلى القول بأن الإسلام قد ساعد على تأخر المرأة وانحطاطها ، وأن اللائق بالأمم الإسلامية أن تأخذ من أوربا مثلا حيا لنهوض المرأة واختلاطها بالرجل فى المتجر والمصنع وأماكن النزهة والترويح ، ليسعد المجتمع الإسلامى فى الشرق سعادة المجتمع المسيحى فى الغرب ، وإلا فعلى المسلمين العفاء !!

هذه نماذج قليلة مما تورط فيه صاحب هذه الرسالة ، وبعضه اختلاق محض كالقول بصلاة الرسول دون وضوء والبعض جهل بدقائق التشريع فى حكمة التعدد من ناحية ، واهتمام الإسلام بتربية المرأة وتثقيفها من ناحية ثانية . وقد كانت جريدة المؤيد ما بين شهرى يناير ومارس سنة ١٩١٤ معرضا فسيحا للرد على هذه المزاعم بقوة وإفحام . ولسنا نحتاج اليوم إلى إيضاح الحقيقة فيها . فكل مسلم قارئ يعرف الآن حكمة التعدد ، ويطالع بحثها ميسرة بما خط فى هذا المضمار !! ولعل من الوفاء أن نذكر أن الأساتذة الأفذاذ محمد فريد وجدى ومحمد لطفى جمعة وطنطاوى جوهرى قد قاوموا هذه الأراجيف حين صدورها فى رسالة الدكتور مقاومة تتسلح بالمنطق والدليل ، فوضعوا الأمر فى نصابه وجعلوا أقلامهم منارة تهدى الطريق ، وقد انتقلوا جميعا إلى رحمة الله ، ولم يبق فى جيلنا من يذكر لهم غيرتهم فى الدفاع وسابقتهم فى الهداية ، وقد قرأ الدكتور منصور فهمى ما كتبه هؤلاء ، ثم اهتدى بمجالسة أصحابه من العلماء ، فتبين فى أسف لاذع خطورة ما ورطه فيه أستاذه السوربونى ، وانتدب نفسه للدفاع المخلص الحار عن نبى الإسلام ، وشريعة القرآن ، فانضم إلى الجمعيات الإسلامية محاضرا ومؤسسا ، ورفع صوت القرآن فى الجامعة المصرية مكافحا من ينزعون إلى الغواية والاعوجاج ، حتى جاز للمجلة الجديدة أن تنعته بالرجعية المتأخرة ، وأن نذكر فى بعض أعدادها أن الدكتورين منصور فهمى وعبد الوهاب عزام أصبحا رمز التخلف والجمود فى كلية الآداب ، وإذا هاجمت المجلة الجديدة أستاذا من أساتذة الفكر فتهمته الأولى فيها هى الوفاء للعروبة والإسلام !!

أجل ، لقد رجع الدكتور عن آرائه رجوع المقتنع الدارس ، فنزل اليقين من قلبه نزول الطود الراسخ فما يستطيع أن يلم به شك يزعزع استقراره ، وكأنى به وقد استشعر غيظا أليما لما كان ، فاندفع من أقصى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اليسار إلى أقصى اليمين فى حماس متأجج ، وانضم إلى نوادى الإيمان ومحافل العقيدة ليوضح للشباب ـ ما أمكنه الوقت ـ فى محاضراته وتعقيباته محاسن الإسلام ومبادئ الشريعة ، فكشف عن كثير من العيون ما ران عليها من غشاوة تطمس أمامها خداع المدنية الكاذبة ، وتمويه الحضارة الزائفة ، وتريها الباطل متشحا بوشى خلاب تغمره الزخارف والأضواء ، وقد كان ينتهز المناسبات الدينية فيفيض فى الحديث عن نبى الإسلام إفاضة مسهبة ثم يعدد ما يفترى عليه المغرضون فى ألم نفسى تنعكس سحابته على وجهه المنفعل المعبر ، والدكتور منصور إذا كتب ، فهو فى الكتابة فيلسوف متعقل يزن المعانى الدقيقة ويقدر لها ما يناسبها من اللفظ الموجز والتعبير الفاصل ، أما ارتجاله الخطابى فبحر عجاج متدفق ، وكنت أتخيله وأنا أسمعه فى جمعية الشبان المسلمين داعية دينيا من رجال الوعظ والإرشاد لا أستاذا فى الفلسفة من السوربون ! وكانت المجلات الإسلامية تتزاحم عليه فى مناسبات الهجرة والمولد والغزوات ـ وبعضها دون مستواه ـ فيجيبها عن سماحة وإقبال ، يميل بحديثه إلى جلاء موقف رائع من مواقف صاحب الرسالة ، ولو جمع ما سال به قلمه فى هذا المضمار لكان سفرا جليلا من أسفار النبوة ، والأعمال بخواتيمها كما يقال .

أما نظرته إلى المرأة فى ظل التقاليد الإسلامية فقد انقلبت بعد الدراسة الفاحصة من النقيض إلى النقيض ، فلم يعد الإسلام فى رأيه عامل تحجر وجمود ، بل أصبح تهافت المرأة فى أوربا على الأعمال الشاقة مهزلة أليمة تهدم بناء الأسرة ، وتحول أمنها المنتظر إلى اضطراب قلق لا بهجة معه ولا ارتياح ! وقد نشر الدكتور فى مجلة الرسالة الغراء بالعددين (٤٠٤ ، ٤٠٥) السنة التاسعة بحثا ضافيا عن وجهة نظره الأخيرة فى هذا الموضوع يقرؤه القارئ فيجد تأييداً حارا لنداء الإسلام ، وتأكيدا قويا لما ارتطمت فيه أوربا من انحلال ، وتوضيحا صريحا لموقف قاسم أمين من المرأة فهو كمصلح اجتماعى لم يرد لها التبذل والانحراف ، وإنما كان يعتقد ، أن المرأة قد تسمو إلى ما تنشده لها من المكانة لو كلت تربية النساء على مقتضى الدين ، وقواعد الأدب ، ووقف بالحجاب عند الحد المعروف فى أغلب المسائل الإسلامية (١) » .

ثم إنه ينتقد الحضارة الأوربية انتقاداً مريرا إذ دفعت بالمرأة إلى ميادين العمل

(١) مجلة الرسالة العدد [٤٠٤] تحت عنوان [نساؤنا بين التقاليد والتجديد] .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشاق فزاحمت الرجل فى ميدانه دون أن تتسلح بمواهبه وبأسه وقوة عضلاته واحتمال أعضائه ! ! يالله ! هذا الكلام عينه اعتراف صريح بتخطئة الأسس العلمية التى استندت إليها رسالة السوربون ! فقد كانت دعوة صاخبة إلى إنقاذ المرأة من هدوئها الساكن ، والزج بها فى أتون العمل والكفاح الشاق كأختها الأوربية سواء بسواء ، والدكتور يهاجم وضع المرأة الأخير فى أوربا مهاجمة من تبرأ من قول إلى قول فهو يقول بصدد ذلك : « فقد يغرر العصر الحاضر بالنساء حين يدفعهن إلى ميادين من الأعمال الشاقة كان من الخير أن يزاولها الرجال وأن يتحملوا أوصابها وتبعاتها دون النساء حرصا على أن تسلم وظيفة الأمومة التى هيئت لها المرأة ، ووقاية من الزج فى الجهود المضنية التى تعطل فيها صحة أنسجتها العضوية ، وتفسد عليها رقة الطبع وسلامة الأعصاب . فحاكاتنا للغرب تدفع نساءنا الحديثات إلى كل ميادين العمل الاجتماعى ، ليسرن فى هذا السبيل من غير قيد ولا حذر ، وقد توقع الكثير من علماء الاجتماع سوء عاقبة هذا التمادى فى التغرير بالمرأة ، وتوريط المجتمع فى كوارث اقتصادية وخلقية حتى إن « أوجست كومت » وهو رأس من رءوس فلاسفة الغربيين كان يرى من واجب الهيئة الاجتماعية أن تضمن للنساء حياة ناعمة مريحة إذا أعوزهن من يكفلهن من الأقارب والأزواج وذلك لكى تتجه النساء وجهتهن فيما خلقن له من إسعاد الأسرة ، ودعم اسسها ، ومن إفعاش جو المحبة ومن إشاعة نسمات السلام ، وذلك ما يوافق تعاليم الإسلام[1] » .

وقد أفاض الدكتور فى بحثه المركز بالرسالة فى الحديث عن مغريات العصر الزائف وسوء فهم الناس للحرية وانقلابها إلى فوضى عارمة تحفل بعوامل الهدم فى المجتمع ، وتحدث عن قيود الأسرة فى عهود الهمجية الأولى قبل الإسلام ، ومبررات من يزعمون الائتناس والبهجة فى اشتراك النوعين ، ثم ندد بالاختلاط تنديدا صارما حين قال[2] .

« فقد يزدحم النساء والرجال فى مجتمع من مجتمعات الشاى والخمر ، فلا يلبث هذا المجتمع أن يتحول إلى معارض للتزين والأناقة ، وإلى مضمار للتأنق بالأقوال الرخيصة ، وبذل التظرف المصنوع ، واتخاذ الابتسامات المنافقة ، وإذا كان لبعض النساء من وسائل الزينة ما ينحدر فى المرتبة عن زينة الأخريات ، فسرعان ما تنبض القلوب بالغيرة والحسد ، أو تدق دقات الزهو الأجوف ، وإذا كان فى هذه المجتمعات من تعوزه يقظة الفضيلة

---

(١) مجلة الرسالة العدد ٤٠٥ .

(٢) مجلة الرسالة العدد ٤٠٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وصلابة الخلق ، ثم النظرات المسمومة ، وثم الأحاديث المهيئة لنزغات الشيطان ، ومن ثم فضائح الغواية ، ومآسي الغيرة ، وما قد يجره ذلك من الكوارث في هدم سعادة الأسر . . . الخ » .

وفي اعتقادي أن هذا البحث المنصف على إيجازه الدقيق نقد شديد لاذع لرسالة السوربون ؟ ! وكأن الأقدار العادلة شاءت للرجل أن يتولى هدم مزاعمه بنفسه ليقيم على أنقاضها في كهولته العاقلة بناء أصيلا ينهض على الدعائم الراسخة والأركان الوطيدة ، ومما لاحظته على الدكتور أنه استشهد غير مرة في بحثه الأخير بآراء الأستاذ محمد فريد وجدي في كتابه « المرأة المسلمة » مع أن الأستاذ وجدي رحمه الله قد ألف كتابه هذا قبل أن يخط الدكتور رسالته الجامعية ، وربما لو قرأها إذ ذاك لصححت وجهة نظره ، أقول ربما فقط ، لأن كتاب قاسم أمين كان ذا سحر أخاذ في نفوس الشباب من امثال الدكتور ، فقارئه الشاب يغمض عينيه ليحلم بجنة مثالية للمجتمع الإسلامي تصبح بها المرأة حورية طاهرة قديسة ! ! ثم يفتح عينيه ليرى القيود والسدود فتندفع أشواقه إلى الجنة البعيدة ، والمجتمع المثالي ! ! وقد كان الدكتور كذلك ثم فتح عينيه - بعد التجربة المريرة والفحص المتعقل - على ما انحدرت إليه المرأة في مضمار العمل الشاق والاختلاط الدائب من أهوال ، فعرف الفرق بين الواقع الذي يعيشه الناس ، والمثال الذي يحلم به قاسم ! ! ورأى فيما كتبه الأستاذ وجدي منطقاً واقعياً يضع العلاج ويرسم الطريق فاستشهد به عن اقتناع ! !

إن من يعرف أن الدكتور منصور فهمي كان في حياته العلمية متأثرا أشد التأثر بفلسفة « كانت » الألماني التي تقوم على التفكير العميق في ترجيح الشيء وضده ، ليقدر تمام التقدير أي تفكير حاد عنيف بذله الرجل في سبيل المعرفة حتى اقتطف ثمرة إيمانه اقتطافاً حياً ، فوجد برد الراحة في يقينه ، وعاش بقية عمره مثلج الصدر قرير النفس ، ولماذا لا نشبهه بالإمام الغزالي حين تعرض لنوبة عارمة من الشك حبست لسانه في حلقه وألجأته إلى صومعته الموحشة حتى إذا سطع نور اليقين على فؤاده أصدر كتابه (المنقذ من الضلال) فكان آية الآيات في قوة اليقين وسلامة الاعتقاد ، والفرق بين الرجلين واضح بعيد ، ولكننا نرى شكا بشك ويقينا بيقين .

محمد رجب البيومي
المدرس الأول بمعهد المعلمات بالفيوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رائد الفضاء

للأستاذ محمد محمد خليفه

حدث يا رائد الفضاء لعل حديثك يهدى السادرين فى ظلمات الحيرة الغارقين بين متاهات الشكوك والظنون ، إلى الحقيقة التى هوتك معالمها فى الفضاء ، إلى الحقيقة التى أذهلتك حين شاهدت الأرض معلقة وليس هناك مايحملها وكل ما حولها فراغ ... فراغ .

إلى الحقيقة التى جعلتك تسأل نفسك فى دهشة ترى ما الذى يبقيها هكذا معلقة هناك .

إلى الحقيقة التى فوق طاقة الدنيا وما فى الدنيا ومن فى الدنيا . حقيقة القادر الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا .

حدث يا رائد الفضاء عن الكرة الأرضية : عن جبالها ووديانها وبحارها ، وعن ظلها الذى عشت فيه ساعة من الزمن وعن المحيطات الشاسعة التى تتخللها وتحيط بها ثم عنها جميعها وهى معلقة فى الفضاء كما نشاهدها على (الخريطة) ثم سل المنكرين معى ! قدرة من تلك التى جمعت اليابس والماء وجعلت منهما كرة معلقة تدور فى هذا الفضاء ؟ .

وأية قدرة هذه التى أمسكت الماء فلم يطغ على الأرض حين دورانها وصانت الأرض فلم يحطم الماء على الأحقاب صخرها ولا أذاب ترابها ؟ فإن طلبوا الجواب فقل لهم : إنها القدرة التى فوق كل قدرة . إنها قدرة الله .

لقد شاهدت الأرض بعد احتجاب أشعة الشمس وأحسست بالجمال : جمال المنظر وجمال الألوان وجمال المشهد نفسه ، فقل لمن يجحد الصانع الحكيم : إن هذا الجمال الذى يشاهد فى المنظر والألوان والمشهد أسمى وأعظم من أن يصنعه البشر وإن طبيعته تشير إلى صانع تولت قدرته إبراز المناظر فى صور تذهل اللب وتسحر الناظر . وكيف لا وذلك الجمال من صنع الله ؟ .

ورأيت الأرض تسبح فى مدارها مقيدة بفلكها لا تخرجها عنه غضبة الطبيعة ولا يؤرجحها ثوران الأنواء بل هى أبدا تبدو ساكنة لا تحس لها قلقاً ولا اهتزازاً . فقل لمن كفر بنعمة الخالق فى جعلها ساكنة وهى جياشة هادئة وهى دائرة لينعم البشر فوقها بالسكون والاستقرار . إنما دبّر ذلك المدبر : من بيده ملكوت كل شىء من له مقاليد السموات والأرض .

حدث يا رائد الفضاء عن ذلك الفضاء الواسع الذى تضل فى تحديده العقول بل تعيا فيه الأوهام والظنون وقد رأيت ما حول الأرض من فراغ . . فراغ يقصر عن بلوغ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مداه علم البشر ولا يصل إلى غايته ما يصنعه من سفن وغير سفن ، فقل للمتطلعين إلى ذلك الفضاء : لا أحد يعلم مداه ، إنما علم ذلك عند مَن مدّ الفضاء ، عند العزيز الجبار ، عند الله .

ثم لماذا كانت عوالم الفضاء تنتظر خيال الشعراء وأقلام الرسامين ولا تنتظر عقول العلماء والمفكرين ليلتقوا هنالك وليسرحوا أبصارهم وليرسلوا بصائرهم تجول فيما وراء هذا الكون تستقدف الحقيقة من العوالم البعيدة عن هذه الأرض التي غيرت المادة وظلماتها كل ما فيها وصرفت عن التفكير فيمن له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

لقد دارت بك سفينة الفضاء واقتربت بها من النجوم فرأيتها أكثر تألقاً وسطوعا ورأيتها معلقة كما رأيت القمر كذلك فقل للمرتابين والمشككين إن صاحب القدرة التي علقت النجوم والقمر والشمس وأدارتها في أفلاكها بإحكام فهي لا تصطدم أبداً وهي لا تتحطم أبداً حتى يحين انشقاق القمر وتكوير الشمس وكدرة النجوم وانتثار الكواكب وانفطار السماء وزلزلة الأرض ، صاحب هذه القدرة خليق بأن تعنو له الوجوه وتؤمن به النفوس هو الحي القيوم هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

يا رائد الفضاء :

لقد بلغت بسفينتك من السمو ما لم يبلغه أحد من البشر قبلك على مثل هذه السفينة المزودة بأجهزة الإرسال والاستقبال والتصوير والحساب وغير ذلك وعلوت بها إلى ما عجز عنه الطيران المختلف وقضيت في الفضاء خمسا وعشرين ساعة درت فيها حول الأرض دورات ، فحدثنا : هل رأيت تحت السماء عمداً تعتمد عليها وتصون فوقها عوالمها وهل صورت أجهزة السفينة شيئا من تلك العمد التي عساها قد خفيت على سكان الأرض ثم هل رأيت في تلك السماء التي عملت فيها يد القدرة البناءة شيئاً من الفطور أو التفاوت في أجزاء ذلك البناء ؟ فإن لم تكن شاهدت للسماء عمداً ولا رأيت في خلقها فطورا ولا تفاوتا فقل لمن وهبوا العلم حياتهم وكرسوا له جهودهم : إنكم أولى الناس بالإيمان بهذا القادر الذي رفع السموات بغير عمد ترونها . رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها .

وقد رأيت القمر في موضعه من الأرض والشمس ، ورأيت أشعة الشمس تنفذ إلى صفحته ثم تنعكس إلى الأرض فضية لامعة وفي ومضة تحدث حركة الاستقبال والانعكاس على البعد الذي بين الشمس والقمر ثم الذي بين القمر والأرض فمن ذا الذي جعل في أشعة الشمس ذلك النفاذ وفي صفحة القمر الاستقبال والانعكاس ؟ إنه الحكيم تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمراً منيراً

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولقد كنت تخشى فى رحلتك سيل النيازك ونشاط الإشعاع الشمسى ، فقد آمنتم بقوة النيازك وخطر الإشعاع الشمسى ، وآمنتم وراء ذلك بأن القوة الحرارية المودعة فى الشمس تخيف وتحرق وتدمر كل من يتطلع إلى طبقات الفضاء العليا . فسل أولئك الذين جنحوا عن رب الشمس والقمر والأرض والسماء : من الذى خلق النور والحرارة فى الشمس ؟ ومن الذى أمد القمر بنور الشمس ومن الذى أودع القوة الحرارية الجبارة فى الشمس وجعلها فى بعد بحيث ينتفع بالطاقة التى يحتاجها الإنسان والنبات والحيوان فإن أخرسهم طغيان الجحود فقل لهم : هو الله الذى سخر لكم الشمس والقمر والنجوم.

أيها الرائد :

كنت رائد قومك إلى الفضاء ، إلى الكشف عما غاب من عوالمه عن البشرية من الأجواء والأنواء والنيازك وحالة الشمس ونشاطها الإشعاعى ، فكن رائد قومك إلى خير الدنيا والآخرة ، إلى الإيمان بمن خلق السموات والأرض .

إن الأرض التى كانت معلقة فوق رأسك وأنت تدور آية من آيات الله .

وإن القمر والنجوم والشمس التى تعلقت كلها فى هذا الفضاء من آيات الله وإن الكون الذى لا ندرى مداه كله من آيات الله .

فقل لكل من نحاه العناد عن التفكير فى الحق : إنى ما رأيت الله ولكنى رأيت آياته البينات التى تشير إليه والتى تنطق بأن هنالك قوة أعظم من النجوم والقمر والشمس والسماء ، هى القوة الخالقة ، وأن هذه القوة تتحكم فى كل ذلك وتدير وتدبر كل ذلك .

وصاحب هذه القوة خليق بأن يدين له الكون ومن فيه ، وخليق بأن يؤمن به الناس لأنه رب الناس ملك الناس .

أيها الرائد الذى تجرد حينا من ظلمات الأرض حين رآها معلقة لا يحملها شىء فسأل ما الذى يبقيها هكذا ليمسك بأول خيط الحقيقة ، قل لقومك ما قاله أعظم رائد عرفته الأرض والسماء حين راد قومه إلى الله فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ... إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ... يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات .

أيها الرائد :

قل لرواد الفضاء الذين ستنطلق بهم السفن بعد : تتبعوا هنالك الآيات وأرسلوا عقولكم وراءها تستجلى الحقيقة التى تطل من كل آية على الألباب التى تخيم عليها ظلمات الجحود أو التقليد ثم عودوا إلى عالمنا فهزوا موجات الأثير بصيحات الحق : الله أكبر ، الله أكبر ؟

محمد محمد خليفة
المدرس فى الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوَحدة العَربيّة فى شعر الرّصافى

للأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم

شاء الله للرصافة الواقعة شرقى دجلة فى بغداد أن تسمو مكانتها بشاعر عربى حر يحمل اسمها وضاء يرف سناه فى كل مكان بنور الحرية والعروبة ، إذ بها شاعرنا العربى « معروف الرصافى » .

والشاعر الصادق إنسان شفاف الإحساس حاد الذكاء قوى الإدراك يحب لأمته الخير يرجو لها النهوض والتقدم ويدفعها إلى اعتناق المثل العالية وإلى العمل على تحقيق الغايات السامية . وشاعرنا فى طليعة فحول الشعراء الذين ضربوا بسهم وافر فى التحلى بهذه المفاخر جميعها .

وللشعر عين لو نظرت بنورها - إلى الغيب لاستشفت ما فى بطونه . والعبقريات الفذة والنفوس الطلعة تعرف مقدار ما للإنسانية من سمو واحترام ، وتعرف أن الله خلقها حرة طليقة فى هذا الوجود ومن حقها أن تتنسم عبير الحرية وتستظل بأدواحها الوارفة وتنتقل بين أفنانها النابضة بالحياة وتعبر عن وجودها فى قوة وثبات .

وبمقدار حب النفوس للحرية وتعطشها لرحيقها نرى قوة الدفاع عن حياضها والدعوة إلى رحابها . وقد أشرقت روح الحرية والقوة واضحة جلية أخاذة فى شعر الرصافى فقد حمل علم الثورة على أعداء الحرية والعروبة فثار على الحدود المصطنعة والخطوط الوهمية التى رسمها الاستعمار بدسائسه وفتنه وغدره ليجعل منها حاجزاً منيعاً وسوراً حديدياً بين أمم العروبة التى يجمعها لسان عربى مبين .

والمتصفح لديوان الرصافى يجد تحمسه القوى ودعوته الحارة للوحدة العربية فى كل مناسبة وأنه لم يمل العزف بهذه النغمة الحبيبة . وتحريك ذلك الوتر الحساس فى وقت كان فيه الاستعمار له سطوته وصولته يتحكم بها فى الشعوب ولغاتها وأرزاقها . وقد رأينا من جراء هذا الاستعباد الاستعمارى وتفرقته بين الشعوب كثيراً من الشعوب الإسلامية وزعماءها ، ولغتهم القرآن العربى المبين ، لا يستطيعون التحدث بالعربية لأن الاستعمار فرض عليهم لغته وعزلهم عن أبناء جلدتهم بالأعيبه وفتنه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وشاعرنا لا يرضى بهذه التفرقة بل يدعو إلى الاتحاد والتعاون والإخاء وإنكار الذات ونسيان الأحقاد والفوارق الدينية فى سبيل رفعة العروبة ووحدتها .

فيقول :

إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة
لسان ، وأوطان ، وباقة إيمان
فأى اعتقاد مانع من أخوة
بها قال إنجيل كما قال قرآن . ؟
تمتكم إلى المجد المؤثل تغلب
كما قد تمتكم للكارم غسان
فلا تنكروا عهد الإخاء وقد أتت
تصافحكم فيه نزار ـ وعدنان
أجب أيها الندب المسجى مسلما
صفا لك منه اليوم سر وإعلان
ألا فانهضا نحو العلا وكلاكما
لصاحبه فى المأزق الضنك معوان

والنهضة الحقيقية عند الشاعر هى التى تضرب خيامها البيضاء على مغانى العروبة جميعها وتشرق فى سمائها الصافية وحدة أساسها الإيمان والإخلاص والأخوة والتضامن لرفعة العروبة .

سننهض للمجد المؤثل نهضة
يقربها «حوران» عينا و«لبنان»
وتعتز فى أرض الشآم دمشقها
وتهتز من أرض العراقين بغداد
وتطرب فى البيت المقدس صخرة
وترتاح فى البيت المحرم أركان
وتحسن للعرب الكرام عواقب
فيحمدها شيخ ويشكر مطران

شاعر العراق يبايع مصر بالقيادة :

وشاعرنا مؤمن بالعروبة والوحدة الكبرى أمر طبيعى ، فلا بد أن تشرق شمسها وضاءة المحيا فى يوم من الأيام . وكأنه كان يستشف بذكائه وشاعريته أحداث المستقبل المشرق فهو يسلم لواء القيادة لمصر تاج العروبة

إذا العروبة حلت عرش دولتها
فمصر تاج لها قد صيغ من ذهب

والشاعر الرصافى يدين لمصر بالحب والولاء يزف لها التحايا متصلة ويترجم لغة الأمواج فى دجلة والفرات بأنها تحية للنيل رب الشعر والخطب ، ومصر تاج العروبة يصاغ لها من أندر المعادن وأكرمها ، قامت بها دولة السيف مثل دولة العلم منذ طلعت شمسها فى الشرق عند الفتح الإسلامى من أفق الفسطاط :

منى إلى مصر ذات المجد والحسب
تحية ذات ود غير مقتضب
تدلى بها دجلة اللسناء عن مقة
منها إلى النيل رب الشعر والخطب
إذا العروبة حلت عرش دولتها
فمصر تاج لها قد صيغ من ذهب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كم قام للمجد فى أرجائها علم
تهفو ذؤابته بالعلم والأدب
قامت بمعترك الأسياف دولتها
من قبل معترك الأقلام والكتب
من أفق فسطاطها فى الشرق قد طلعت
شمس إذا غاب قرص الشمس لم تغب
إنى أرى مصر والتاريخ يشهد لى
تحيا بعرف بها من ضئضئ العرب
يمت للعرب ماضيها وحاضرها
بنسبة غضة فى المجد والحسب

وشاعر الوحدة العربية يعيش بقلبه ونفسه وسط أحداث العروبة وبلدانها فتراه يصدح ويحلق فى أجوائها ، ونحن هنا نذكر طرفا من أشعاره كنماذج للثروة الضخمة التى حلى بها جيد بلدانها .

الجزيرة العربية :

يتحدث الشاعر عن الجزيرة العربية مشرق صاحب الرسالة وحامل لواء الوحدة الشاملة الذى غمر العالم بأضوائه الربانية ووحد بينهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا :

كفى الجزيرة فخرا من مفاخرها
قبر أناف بها قدرا على الشهب
قامت بصاحبهم للعرب نهضتهم
تذكو بعزم لهم كالنار ملتهب
قد وحدوا الله عن علم فوحدهم
روحا تخيلوا لأم كلهم وأب
إذ أصبحوا كبنى الأعيان تجمعهم
لله وحدتهم فى كل مطلب
ما كانت الناس فى أيام دولتهم
إلا سواسية فى الحكم والرتب
من أجل ذاك الرعايا فيهم اندمجوا
مستعربين وما كانوا من العرب

طرابلس الغرب :

وهى العاصمة الثانية للمملكة الليبية المتحدة التى تضم تحت لوائها ثلاث ولايات : برقة ، وطرابلس الغرب ، وفزان . وطرابلس مدينة جميلة مشيدة البناء بها كثير من الآثار التاريخية تقع على ساحل البحر الأبيض ولها تاريخ مجيد فى الكفاح والبطولة ولقد لمست فى أهلها الأخلاق الكريمة وحبهم العظيم لمصر وقائدها الزعيم جمال بطل العروبة ولقد شهدت هذه المدينة المعارك الدامية منذ سنة ١٩١٢ ضد الاستعمار الطليانى وشاعرنا يسهم فى المعركة بشعره فيقول :

لك الله يا قتلى طرابلس التى
بها حكم الطليان أسيافهم غدرا
أداموا بها قتل النفوس نكاية
إلى أن أحالوا كل بيت بها قبرا
ولما أحاط المسلمون بجيشهم
فعاد الفضاء الرحب فى عينهم شبرا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تقهقر يبغى فى البلاد تحصنا
فضربها من خشية الموت[1] واستذرى

تونس :

وشاعر العروبة يشعر بأواصر المحبة والصداقة بين بلدان العروبة ومغانيها التى تجمع بينها روابط قدسية توحد بين صفوفها رغم التيارات السياسية المفتعلة التى لا ثبات لها أمام قوة الحق :—

أتونس إن فى بغداد قوما
ترف قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم وإياك انتساب
إلى من خص منطقهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلا
نواصع آية سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قربى
وإن قضت السياسة بالبعاد
وإن المسلمين على التآخى
وإن أغرى الأجانب بالتعادى
يحييك العراق برافديه
تحية مخلص لك فى الوداد

وقفة أمام بطل الوحدة صلاح الدين الأيوبى

يدعو الشاعر العرب ليحيوا بطل العروبة صلاح الدين الأيوبى وهو بذلك إنما يدعوهم للوحدة والتكتل فى وجه الغرب .

خليلى قوما فى نطاطى رءوسنا
إلى جدث تعنو لمن ضم أجيال
لدى الجدث الفرد الذى فيه قد ثوى
من الملك الفرد ابن أيوب رئبال
حنانيك يا قبر ابن أيوب فانصدع
ليمض ثاو فى مطاويك مفضال

الوحدة العربية طريق الفلاح :

وعند الرصافى أن الطريق العملى لنجاح العرب وفلاحهم هو السير قدما فى ضوء الوحدة العربية وأن من العار الاستسلام للتفرقة التى فتيت بها بعض دول العرب مخالفة بذلك الطريق القويم والتعاليم السماوية :

لا تكتفوا بالتخاور فى أوائلكم
فنشوة الخمر لا تغنى عن الضب
بل فانهضوا للعالى مثل نهضتهم
واستعصموا باتحاد محكم السبب
كانت أوائلكم فى وحدة تركت
أعداءهم قددا فى قبضة الرهب
سلوا بذلكم اليرموك واديه
فإنه بسوى ما قلت لم يجب
عن خالد بطل الأبطال يخبرنا
إذ فل جيش العدا بالقتل والهرب
والقادسية عن سعد محدثة
بقتل رستم رب العسكر اللجب
إذا علمنا بأن النصر طالعهم
من أفق وحدتهم : لم يبق من عجب

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق الدينى

---

[1] استتر واختبأ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفقه فى الدين أمان من الزلل

للأستاذ على العمارى

من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، هذا حديث نبوى كريم ، وهو من أصدق الكلم وأنفعها ، وأحقها بأن يتمثله المؤمن فى كل صباح ومساء ، حتى يحقق لنفسه الخير ، ويضمن لعقيدته السلامة ، ولعمله القبول .

وإذا كان الدين ضرورة لازمة لحياة الفرد ، ولحياة المجتمع الإنسانى بأسره حياة سعيدة كريمة ، فإن فهم الدين على حقيقته أكثر لزوما . وما ابتلى العالم الإسلامى بشىء أشد من ابتلائه بفهم الاسلام فهما سطحيا ساذجا ، ولو أن بعض المسلمين ممن فاتتهم الدراسة العميقة وقفوا عند علمهم ، ورجعوا إلى أهل العلم فى المشاكل الدينية أو حاولوا أن يستكملوا ما نقصهم ، ثم تصرفوا وكتبوا على قدر ما يعرفون لأمنا كثيرا من الأخطاء .

والناس - إلا قليلا - أحرص على سلامة أبدانهم منهم على سلامة أديانهم ، ولو تعهد المؤمن دينه كما يتعهد أى شأن من شئون دنياه لمشى على الماء ، ولكن أمر الدين من الهوان عند بعض الناس إلى حد أنه يقول فيه بغير علم ، ويتقحم على الفتوى بغيرا كتراث .

ونحن لم نقل أبدا : إن دراسة الدين قصر على طائفة دون طائفة ، ولا إن فى الإسلام كهنوتا كما يحلو دائما لبعض الناس أن يتقولوا على رجال الدين ، وهى تهمة اعتاد العابثون بتعاليم الإسلام أن يلقوها فى وجه كل عالم يريد أن يردهم إلى الصواب ، أو يعاسرهم الحساب على ما يقترفون من نكر حين ينشرون فى كتبهم أو فى مقالاتهم ما لا يتفق ونصوص الدين .

قال مؤلف مرة فى أحد كتبه : إن ضرب الرجل زوجته من شريعة الغاب ، ولما قيل له وماذا تقول فى قول الله تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن » هل يكون تشريع الله وحشية وافتئاتا على حقوق الإنسان ؟ لما قيل له ذلك صاح : لا كهنوت فى الإسلام ، كأنه يريد أن يقول دون أن يجد من يقول له أخطأت ، ومن يدعو إلى رده إلى الصواب حتى لا يفسد عقائد الآخرين ، والناس فى كل عصر وفى كل مصر يقفون فى وجه كل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من يحاول أن يفسد على الناس شئون حياتهم، فكيف ينكر على العلماء أن يقفوا فى وجه من يحاول أن يفسد على الناس دينهم ؟!

ولا أدرى لماذا يلجأ الناس إلى كبار الأطباء ليعالجوا أمراضهم الجسمية ، ولا يلجأون إلى كبار العلماء ليعالجوا أمراضهم الروحية ؟ ولماذا يتحرج صغار الأطباء من إجراء عمليات جراحية خطيرة ، ويحيلونها على أساتذتهم ، ولا يتحرج أصحاب الدراسات الضحلة فى الدين من القول فيه بغير علم ؟ .

إننا نؤمن بأن دين الله للجميع ، وأن علوم الدين حرم مباح لكل من يريد أن يوسع دراسته الدينية ، ولكننا نقول مع ذلك إن القول فى الدين يحتاج إلى تخصص ، وإلى دراسة عميقة واعية متأنية ، وإنه ليس من حق كل من قرأ آيات من القرآن ، ونظر فى بعض كتب السنة أن يقول ما شاء .

إن بعض العلماء السابقين كانوا - مع طول دراستهم فى علوم الدين ، وصحة أفهامهم - يتورعون فى كثير من الأحيان عن الفتوى ، ويحجمون عن تولى القضاء ، وكان العالم منهم إذا أخطأ فى فتوى أعلم الناس بخطئه ، ولم تأخذه العزة والكبرياء أن يقول : إنى أخطأت ، وقد حدث أن أفتى العز بن عبدالسلام - وكان يلقب بسلطان العلماء . أفتى رجلا فى أمر من أمور الدين فلما رجع إلى كتبه تبين له خطأ فتواه ، فأمر من ينادى فى مصر والقاهرة ، من أفتاه العز بكذا فلا يعمل به ، فقد أخطأ .

أما نحن فكل إنسان يدعى لنفسه الحق فى الحديث عن الدين ، وعن أصول الشرع ، وإن لم يكن له باع قصير أو طويل فى الدراسات الإسلامية .

وسأضرب أمثلة من هذه (التورطات) لنرى إلى أى حد تجنى الجراءة على دين الله على أصحابها ، وعلى المجتمع .

مسألة الفقر والغنى مسألة عالجها الإسلام معالجة صريحة واضحة ، ولا يوجد إنسان فيه معنى الإنسانية ، ولا يوجد مؤمن صحيح الإيمان ينكر على الفقير حقه فى مال الغنى ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما آمن بالله من بات شبعان وجاره بجواره طاو » .

وقد شرع الإسلام وسائل كثيرة بعضها عن طريق الإلزام وبعضها عن طريق الاختيار تكفل للفقراء حقوقهم ، وتوفر لهم أقواتهم وأقوات من يعولون ، ولم يتوان أحد من رجال الإسلام المخلصين لدينهم فى تنفيذ هذه السياسية الإسلامية الرشيدة وقد شن أول خلفاء الإسلام حربا ضروسا كان سببها الأول منع الزكاة وقال فى ذلك قولته المشهورة : « والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجرى كبار الصحابة على هذه السنة ، وعمل فقهاء المسلمين على وضع الأسس السليمة فى هذا الشأن ، وخلاصتها : أن المسلمين لو عملوا بتعاليم دينهم على وجه مرض لما وجد فقير يشكو الحاجة .

كل هذا نحن نؤمن به ، وندين الله عليه ، ونود ـ دائما ـ أن تنفذ أحكام الإسلام حتى يتحقق للمجتمعات الإسلامية ما كفله لها الإسلام من عيشة راضية طيبة ، وحياة رغدة سعيدة .

ولكن للمسألة وجها آخر ، ذلك أمر يتصل بالعقيدة ، فنحن ـ المسلمين ـ نعتقد أن كل شيء من الله ، ونؤمن بما تضمنه هذا البيت ، وهو مشهور فى كتب العقائد .

وكل شيء بقضاء وقدر

وكل مقدور فما عنه مفر

نحن نؤمن بهذا ، فالصحة والمرض والغنى والفقر ، والذكاء والبلادة ، كلها مقدرات من عند الله وفى القرآن الكريم آيات كثيرة صريحة تدل على هذا المعنى ، ومنها قوله تعالى : (وأنه هو أغنى وأقنى) وقوله تعالى : « له مقاليد السموات والأرض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم » . وقوله تعالى : « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » وقوله : « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

فهل بعد هذا يحملنا التحمس لإعطاء الفقير حقه أن نقول : إن شيئا فى هذه الحياة ليس من الله ، وإنما هو أمر صنعه الناس ، ووضعوه فى أدهان الفقراء ، فننكر بذلك نصا صريحا فى كتاب الله .

إن الله الذى قال : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » أمر فى الوقت ذاته هؤلاء الأغنياء أن يعودوا بفضل ما لهم على الفقراء وأمر الحكام أن ينظروا فى مصلحة الرعية ، وأن يأخذوا من أغنيائها ليردوا على فقرائها فلا منافاة بين قضيتين ، الله هو المقدر للغنى والفقر ، وهو الذى جعل الناس طبقات ، وبين أن يأخذ كل إنسان حقه من مال الله الذى فى أيدى الأغنياء ، وإذا وجد من الناس من غفل عن إحدى هاتين القضيتين فينبغى رده إلى الصواب ، ولكن لا يكون ذلك بإنكار القضية التى يتبسط فى الحديث عنها ، وإنما يكون بوضع القضية الأخرى بجانبها ، وبذلك تسلم للمؤمن عقيدته ، ويؤدى حكم الله كما نزل ، فإذا وجد من أشباه العلماء فى القديم أو فى الحديث من ذل للطبقات المستعلية وأخذ بعينها على استعلائها وجبروتها ، ويخدر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الطبقات المستدنية ، ويفهمها أن حالها لن تتحول ، فالإسلام برىء من هؤلاء ، لأن الله الذى قدر المرض أوجد الدواء للشفاء منه فالمرض مقدر والبحث عن الدواء مطلوب .

ومثل آخر :

القضية المعروفة عندنا فى الإسلام أن الآخرة خير وأبقى ، وأن رحمة الله خير مما يجمع الناس من الأموال ، وأن الغاية من كل عمل يعمله المسلم الصادق الإسلام إنما هى طلب ما عند الله من الثواب ، وبذلك جاء الإسلام ، ونصوصه صريحة واضحة ولكن كاتبا ـ لا أسميه ـ أخذ يعيد ويزيد ليفهم القراء أن « الدنيويات مفضلة على الأخرويات » وإن قلنا بغير ذلك « تخلفنا عن ركب الحضارة وانحدرنا وانحدر الإسلام معنا إلى حيث لا يكون شيئا » و « أن الدنيويات المباحة المطابقة لروح الإسلام سابقة فى الأفضلية على الأخرويات » .

كل هذا كلام لا يتفق ونصوص الإسلام ، ولا يتوافق مع روحه ، فالله سبحانه يقول : « فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » ويقول مخاطبا رسوله الكريم : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير مما يجمعون » ونصوص أخرى كثيرة .

والعمل للدنيا واجب ، وهو فى طبيعة الإنسان ، والعمل للآخرة واجب كذلك ولكن الآخرة خير من الأولى ، والمسابقة يجب أن تكون إلى مغفرة الله ورحمته ولينظر من يشاء فى هذه الآيات : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها كعرض السما والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » . « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » وكيف يكون القول بأفضلية الآخرة على الدنيا انحدارا بنا وبالإسلام إلى أن يصبح لا شىء . هذا عجيب !

ونحن حين نلتمس لأعمالنا سندا من نصوص الإسلام أو من روحه إنما نريد أن يطمئن المسلم إلى هذه الأعمال ، ولا ينفر منها ، واطمئنان الناس إلى أى عمل هو الدعامة الأولى لنفعه وبقائه ، فلا ينبغى أن نلجأ إلى التخيلات لنؤيد بها أعمالنا ، وقد قلت : إن للإسلام وسائل كثيرة لإيصال حق الفقير إليه ، وهذه الوسائل بين أيدى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العلماء والدارسين ، ولكن كاتبا أراد أن يشرع لنا تشريعا جديدا، فأضر بذلك القضية أكثر مما نفعها لأنه بناها على كليات استنبطها هو . وهذه الكليات تحكم الفطرة فى حدود تتسع لما يمكن أن يبلغ الإنسان من تطور فى حالات حياته . وأول هذه الكليات أن الإسلام قد جعل من أجل الإنسان ، ولم يجعل الإنسان من أجل الإسلام ، وإذن فكل إصلاح اجتماعى أو تشريعى تقوم الدلالة المادية على أنه من صالح الإنسان يكون بذلك من روح الإسلام » .

أليس هذا كلاما غريبا ؟ مصادر التشريع عندنا هى: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولا نعرف أحدا أقر أن يفتى أحد دون أن يعرف هذه المصادر ، فضلا عن معرفته بوجوه المتشابه .

فمن أى مصدر من هذه المصادر أخذ الكاتب فتواه هذه ؟ مصلحة الإنسان شىء جميل ، ولكن من يقدر هذه المصلحة ، أظن أن المصلحة كانت مكفولة فى كثير من الأنظمة القديمة التى لا تمت إلى الإسلام بصلة . وإذا شاء قائل أن يقول : إن الدلالة المادية تقوم على أن مصلحة الإنسان فى الشيوعية كان معنى ذلك أن الشيوعية من روح الإسلام ، وإذا أراد آخر أن يقول: إن مصلحة الإنسان فى الرأسمالية ، ويقيم الدليل المادى على ذلك ، كانت الرأسمالية من روح الإسلام . وهكذا تجمع روح الإسلام بين نظامين اقتصاديين متناقضين .

* * *

ولا أدرى لماذا يتعرض الإسلام لحملات ظالمة من بعض الكتاب، إلا إذا كان الغرض من ذلك أن نترك هذا الدين ، أو نترك تعاليمه مع أنه ليس فى تعاليم الدين ما يحول دون أى إصلاح اجتماعى معقول ، ولكن يحلو لبعض الناس أن يرمى الإسلام بالجمود والتخلف ، ويرمى علماءه بالانحراف عن سواء السبيل ، فهذا كاتب يهذى ويقول : إن الشعور الدينى من أكبر الدعائم التى يعتمد عليها كل انتكاس وطنى واجتماعى خطير ، وطبيعى أن يقذف الأزهر ، وهو المربى لهذا الشعور الدينى ، بعوراء منكرة فيقول : والتعليم الأزهرى صورة منحرفة من صور استغلال الدين ، الاعتماد عليه كأداة لتعطيل التطور ، بل يرمى التراث الإسلامى بكلمة نكراء فيقول : إن التراث الإسلامى نشأ فى أحضان حكام ظالمين .

أى جهل هذا ؟ وأى تجن على الحقائق ؟ أنا لا أعرف خلطا وخبطا مثل هذا إن لعلماء الإسلام السابقين الذين وضعوا التراث الإسلامى مواقف جليلة فى خدمة البشرية ، والذى يقرأ كتبهم يوقن بأنهم وضعوا أدق

(البقية على صفحة ٧٣٢)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لهذا لم ينتفع الوطن بثروة أبنائه واجتمع الجهل والغنى والأنانية والحرية القانونية . . أما نتائج المعارف والمدارس فسيل من الشباب غير المؤهل للكفاح فى معركة الحياة شباب مذبذب الأخلاق ، جاهل لمعنى الدين بعيد عن العروبة وشيمها ، أناني أجوف ، يغمر القهاوى ، ويعمر البارات ، ولا يأنف عن الاستجداء ، ولا يتورع عن اللصوصية وتدهور فى الحضيض ! ! .

ناهيك بأربعين عاما نخرت فيها أمراض الانقسام على هذا الوضع جسم العرب ، الحضريين بأندونيسيا . والنتيجة الأخيرة هى : أأنت إرشادى أم علوى ؟ .

أما لو أن الإصلاح والإرشاد الحقيق هو الدافع ، والدين هو الوازع ، والإخلاص هو الباعث ، والحب هو السائد ، والإخاء هو الداعى ، ورضا الله هو الغاية ، لوحد أولئك المعلمون صفوف الأمة وأزالوا دواعى الفرقة ، وحطموا ما يعترض سبيلهم من عوارض الإنشقاق . ووحدوا المدارس وساروا بالناشئة إلى الغايات السامية . على أيدى رجال أكفاء وأساتذة صلحاء ومعلمين علماء ، فأصبحوا ولهم من الجامعات العلمية والشركات الاقتصادية ما يجعلهم فى نظر إخوانهم الأندونيسيين فى مستوى القادة والزعماء . فقد مهد الإسلام لهم فى هذا الشرق سبيل النجاح وسهل وسائل الإصلاح ولكن لو الصيف ضيعت اللبن .

عبد القادر عبد الله الجفرى

(البقية فى العدد القادم)

(بقية المنشور على صفحة ٨ (٧))

الأحكام ، وأحسن النظم التى يقوم عليها مجتمع فاضل سليم ، ولو أن الكاتب قرأ تاريخ أبى حنيفة وأحمد بن حنبل ، وأشباههما ، وعرف مواقفهم من الخلفاء والحكام لما قال : إن التراث الإسلامى وضع فى أحضان حكام ظالمين .

ولو تفقه فى الدين حق الفقه لعرف قيمة الشعور الدينى فى إيجاد مجتمع فاضل . فإذا وجد المصلح استطاع أن يستعين بهذا الشعور على كل إصلاح سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى ، ولكن الشعور الدينى حين يستغل للانتكاس لا يكون الذنب ذنب هذا الشعور ، وإنما هو ذنب الذين يستغلونه لمآربهم الشخصية .

والتعليم الأزهرى ليس صورة منحرفة من استغلال الدين ، بل هو الذى حفظ لهذا الدين جدته ، وهو الذى جعل من مصر زعيمة العالم الإسلامى بحق .

إننا لندعو مخلصين كل من يريد أن يكتب فى صميم التعاليم الإسلامية أو من يتحدث عن التعليم الدينى أن يتفقه فى الدين ، فإنه حينئذ سيأمن الزلل فى القول ، وفى العقيدة .

والله الهادى إلى سواء الصراط ؟

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فريضة الصلاة تطهير للنفس

للدكتور محمد غلاب

سنتحدث فى إلماعات عاجلة عن الحكمة والحقيقة والعدالة والسكينة والنبل الخلق الذى بلغ حد الكمال ، وقد يبدو غريبا - إن لم يكن داعيا إلى السخرية فى هذا العصر - أن يتحدث المرء عن هذه المبادئ الرفيعة وأن يدعو إلى السكينة الروحية فى وسط هذا القلق النفسى الذى يكتنف العالم ، وذلك الشقاء المعنوى الذى يحدق به إحداق السوار بالمعصم . أو أن يتحدث عن العدالة المثالية فى وسط ذلك الخضم الدولى المائج بالمظالم ، المفعم بالأنانية والوحشية والطغيان . ولكن رسالتنا فى هذه الحياة تحتم علينا ألا نغفل أى مبدأ من هذه المبادئ السامية لنحارب أضدادها بكل ما أوتينا من قوة ، وإلا جارينا غيرنا من أهل العصر فى الاستهتار ، أو فى الإغضاء عن الرذائل ، أو فى الاكتفاء بالسخط القلبى عليها ، وهو أضعف الإيمان ، قد يأخذ علينا البعض أننا نعنى بالمبادئ الرفيعة فى عصر بل فى عالم أصبحت الأكثرية الغالبة من أهله عملية بل مادية ، وأن نصائحنا ستذهب صرخة فى واد أو نفخة فى رماد ، وأن الناس فى وسط ضوضاء هذه المدنية الصاخبة ، لن يستجيبوا لنا ، وأن الحكمة تقضى علينا بأن نشغل بشئ مثمر بدلا من هذا العبث المحقق وأن نعنى بأمر منتج كمعالجة الآلام المادية للفقر والمرض مثلا فإن نتائج جهودها أسرع ، وثمار العمل فى حقولها أنفع ولكن هذا خطأ ، فاقتناص الثمرة العاجلة ليس من الحكمة دائما إذ أنه عندما يهدد النهر مثلا قرية من القرى فإن ارتقاب الثمرة العاجلة يقتضى من أهل تلك القرية سرعة إنقاذ أمتعتهم من طريق الفيضان . بينما أن الحكمة أو الإذعان للمبادئ العالية يتطلب منهم أن يتجهوا فورا إلى التعاون والتضافر على تقوية الحاجز العام الذى يقى قريتهم وغيرها من قرى الدولة ، من الغرق . وإذن يجب أن تتجه الآمال نحو المبادئ العاليـــة ، وصوب صالح الجماعة ينبغى أن تسير كل الجهود متكاتفة متعاونة مبتدئة من تعاليم السماء ، منتهية إلى تطهير المجتمع من أدوائه الخلقية . وذلك لعمرى أخلد المجهودات ، وأنفع الثمرات ، وقصوى الغايات وعليا السعادات .

ليس لهذه الكلمات هدف آخر غير دعوة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذوى الاستعدادات الصالحة ، والنيات الصادقة ، والمقاصد الخيرية إلى التنقيب عن أصول الفضائل النفسية العظمى التى نبعت من مبادئ الإسلام الفطرية ، والتى توجد عناصرها فى الكتاب الكريم والسنة الغراء ، والتى برزت للعيان فى تلك المبادئ الرائعة وهاتيك الشعائر الساطعة ، وإلى التأمل فى دلالاتها التى تنتهى حتما إلى مضاعفة القوى الأمينة التى لا تقبل الفساد ، ولا يلحقها الدنس ، والتى إذا غذيت بالتأمل تمت لها السيطرة على الحياتين الباطنية والظاهرية .

وبيان هذا أن النفوس البشرية فى أمس الحاجة إلى الهدوء والسكينة ؛ لأن ضجيج الحياة المادية وعجيج الرغبات الحسية وصاصلة أصوات الأثرة والأنانية ، تجفف النفوس ، وتجعلها أشبه الأشياء بالأرض الفاحلة المقفرة فى نهاية الصيف القائظ حيث تكون فى أشد حالات الافتقار إلى الماء الذى يعيد إليها حياتها وخصوبتها . ومن ثم فإن تلك النفوس قد أصبحت دائبة التطلع إلى المثل العليا التى تقدم إليها هذه المعونة اللازمة لسكينتها التى فقدتها فى وسط تلك الضوضاء الحيوانية . ومن ثم أيضا كان كل ما يعينها فى العثور على طريق هذا الملجأ الحنى ، ويقدم إليها مفاتيح سر الحياة الباطنية ، هو الذى يحقق لها تلك السكينة المنشودة ، وهناك فقط تستطيع أن تظفر بالاعتدال والانسجام والثراء الخلقى الذى هو وحده الوسيلة المثلى التى ترفع الإنسانية . لأن التقدم الحقيقى هو تقدم النفس لا تقدم الجوانب الدنيا فى الإنسان . ولا غرو فتلك المبادئ الإسلامية التى سنمر بها معك ، كانت كلها منابع طهر وسمو ونور ظهرت فيها عناصر الفضائل الخلقية والفوائد الاجتماعية على يدى ذلك النبى الجليل الذى كان بريد الرحمة السماوية التى أنقذت البشرية من أدوائها وأثقالها من عثراتها ورسمت لها طرق سعادتها وهنائها .

ومن الوسائل التى أراد الله بها السعادة للمسلمين تلك الفرائض التى أمرهم بها أمر المستغنى الذى لا يناله شىء من تلك العبادات وإنما أمرهم بها لتطهيرهم وتسييرهم نحو المثل الأعلى فى الكمال كالصلاة التى سنتحدث عنها اليوم والتى كان لها فى فجر الإسلام أثر رائع يتبينه الباحث فى تاريخ هذا الدين واضحا جليا .

فى ليلة المعراج التاريخية الساطعة فرضت الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ إنها هى التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والتى لو لم تنتج هذه النتيجة لم يزدد فاعلها « من الله إلا بعدا » والتى ليست مجرد حركات ظاهرية لا روح فيها ولا حياة إذ لو كانت كذلك لكانت عبثا رخيصا يترفع عنه أقل عقلاء البشر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فضلا عن أحكم الحاكمين ، الذى ليست قصوى حكمة الحكماء إلى جانب حكمته سوى قشور أو طفولة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وإنما مرماها الحقيقى هو ألا يهمل الإنسان نفسه تتيه فى ضلالات المادة ، وتغمس فى بحار الرغبات الدنيا غافلة عن ربها وضميرها متناسية مبدأها ومصيرها .

ومن هذا يبدو أن من أبسط التعريفات التى يمكن وضعها للصلاة هو إدامة التفكير فى النفس ، ووزن مقادير اقترابها من خالقها وابتعادها عنه بسبب مزاولتها للفضائل والرذائل ، والثقة بأنها تمثل خمس مرات فى اليوم بين يدى من : « يعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » .

ولا ريب أن هذا المثول المتكرر بين يدى الله يحفز أقسى القلوب ، وأجف النفوس إلى الشعور بسلوكها والخجل من آثامها ، والندم على ما فرط منها من ذنوب وسيئات ، والتصميم على عدم العودة إلى مخالفة هذا الإله الأعظم الذى سيمثل بين يديه فى الصلاة الآتية بعد قليل . وبهذا يظل نحو ربه على ذكر دائم لا يعتوره النسيان رغم تلك الفوضى النفسية الناشئة عن ضوضاء المادة ، وضجيج الرغبات وتلك أولى مراتب الطمأنينة والسلام.

وبعبارة أوضح موضع طريق الفوز والنجاة ، وعلى أثر وصول المؤمن إلى هذه المرتبة تبدأ درجات صعوده نحو الكمال . وفى الحق أن هذه الدرجات التى تحققها الصلاة الحقة للمصلين الذين يبتغون وجه الله وحده ، ليست بالشىء الهين إذا تأملنا فى أولئك الذين لا يراقبون أنفسهم ، ولا يعنون بتطهير أرواحهم من أدناس الرغبات المحظورة ، ولا يحاولون الاعتدال فى الأنانية ، أو فى حب الظفر بأكبر قدر ممكن من أعراض الحياة إذ نحن نعرف أولئك الذين لا يكادون يستيقظون فى الصباح الباكر حتى يقذفوا بأنفسهم بين زوابع الحياة العملية التى لا تكترث بالمعنويات ، ولا تعنى بأوامر السماء ، ولا تلتفت إلى أى جانب من جوانب الحياة الروحية التى هى أولى مميزات البشرية عن بقية الكائنات الأخرى ، بل هم ينتقلون من عمل إلى عمل ، ومن موضوع إلى آخر انتقالات سريعة بل مشوبة بالحدة والعنف كأنهم آلات ميكانيكية ليس للعقل فيها مجال إلا بالقدر الذى يحقق لهم النجاح والربح والامتلاك والاستيلاء بل الابتلاع الجشع الذى لا يعرف الوقوف عند حد من الحدود الفاصلة بين المباح والمحظور وعندما تتاح لأحدهم لحظة عزلة وهدوء يكون من الممكن أن يستعملها فى الاختلاء بنفسه أو فى التفكير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى روحه ، هو يستخدمها فى تقييد ما يحسه أو فى كتابة ما عسى أن يرجه لو أنه اتبع خطة أشد حرصا ، وأكثر مكرا وأبعد خداعا ، وأدخل فى باب المداهنة والمراوغة . وفيما بين ذلك هم يأكلون ويشربون ، ويمنون فى إشباع رغباتهم وإذا أقام بعضهم لبعض المآدبات . فإنما يرمون من ورائها إلى أهدف تدر عليهم ما يساوى عشرات أو مئات أضعاف قيمة نفقاتها . وإذا أرهقت الجهود المتواصلة قوى الواحد منهم أسلم نفسه إلى نوم عميق شاق يتعب ولا يريح ، ويغمس النفس فى الظلام بدلا من أن ينتقل بها إلى عالم الرؤى والأحلام التى تزيل الغواشى بينه وبين الملأ الأعلى .

وعندما يرى المتأمل فى الحياة المعنوية أولئك التعساء - وهم فى أكثر الأحايين من ذوى المكانات العالية - تبدو له نفوسهم كأنها عجوز فقيرة كسيحة سجينة فى حجرة حقيرة مظلمة من حجرات قصر الحياة المعنوية المغمورة فى النور والسعادة دون أن يعنى بها أحد من قاطنيه الهانئين .

وأكثر من ذلك أن فريقا من الشاعرين منهم بهذه الحياة البائسة ، يرد على ناقديه من المتعقلين بقوله : إن سعادتى فى هذه الزوبعة المضطربة المستمرة ، وفى ذلك الهياج الجنونى ، وفى تلك الأعمال المادية التى تنبذونها وتنظرون إليها نظرات المهانة والازدراء . بينما لو لم تحدق بى لقتلنى الضجر والضيق . وكأنى شخص أطبقت عليه الهموم من كل جانب ، وأصبح فى أشد الحاجة إلى أن يتجرع الكحول ليغيب عن صوابه فلا يحس بآلامه المتوالية . ولكن ماذا ينتوى هؤلاء التعساء أن يصنعوا بعقولهم التى تقضى عليهم الضرورة بسترها عن طريق مغيبات الأعمال المادية التى لا تفتر ولا تدع مجالا للروحية التى تحقق الفوارق بين الإنسان وبقية الكائنات الدنيا .

أجل إن هذا النوع من الحياة المادية الهائجة المضطربة التى اجتاحت كثيراً من شعوب العصر الراهن ، يبدو أنها ستنتهى إلى إقامة حواجز سميكة بين الأرواح البشرية والمثل العليا ، بل إلى تكميم تلك الأرواح وحجبها نهائيا عن التأمل فى منشئها ومصيرها ولهذا فإن الإسلام ينبذ هذه الحياة البهيمية نبذا تاما . وإننا نحن نهيب بالصفوة من المهيمنين على الشئون العقلية والدينية فى الأمة ، أن يبذلوا كل ما فى وسعهم من جهود لتحقيق سيادة القوى الروحية وإعطائها القيادة والسيطرة وأن يوقنوا بأن عالما أقصيت منه الروحانيات لا يكون سوى تمهيد للحياة الجهنمية .

ومن ثم فإن تلك اللحظات السعيدة التى تحقق الصلاة فيها العزلة الباطنية ، هى المنابع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصامتة التى تتطهر فيها أرواحنا ، وتظفر بالحزم وقوة الإرادة على تجنب الرذائل ، وسلوك سبيل الاعتدال فى الحياة المادية التى لا بد منها . وفى هذه الحالة المطمئنة تستمتع الروح التقية بالسعادة الناشئة عن الاتحاد العميق المتين مع العالم اللامرئى دون أن تفصم عرى علائقها بالعالم المرئى ثم تظل تحيا حياة مليئة بالأشعة النورانية التى تظفر بالغلبة على سلطان الرغبات فتكبح جماحها وتكرهها على الاعتدال والاتزان .

وعندما تنخفض ضوضاء أصوات الرغبات الحيوانية ، تستطيع النفس أن تنحنى على حياتها تدرسها وتتأمل فى بواطنها حيث تجدها تحتوى على مزيج من مظاهرها كالذى ينظر وهو على مقربة من النهر فيرى أمامه خليطا مما قذفت به أمواجه على الشاطئ من حقير ونفيس فينتقى منه ما يحلو له ، فإذا وقع اختياره على الحقير الضئيل أى تلك الحياة الصاخبة فكأنما اختار الرمال وإذا فضل الحياة الروحية فقد اختار التبر .

وهناك فريق آخر بين بين أى أنه يقوم بالمظاهر الخارجية للصلاة ويقتصر على حركاتها الرياضية من قيام وقعود وركوع وسجود دون أن تنال من نفسه أدنى منال فلا يظفر منها إلا بالمشقة المادية إذا صح أن تكون المشقة العابثة ظفرا وفوزا . ونحن نجزم بأن المصلى الذى لا تنهاه صلاته عن آثام الحياة وسيئاتها لا يربح شيئا بل يخسر كل شىء حتى موقفه الذى كان له قبل أن يصلى إذ هو يتقهقر إلى الوراء خطوات وخطوات لأن الخالق أحكم من أن يفرض الصلاة لهذه الحركات الرياضية التى روح فيها ولا حياة وليس وراءها هدف سام ولا غاية نبيلة وهل يمكن أن يرضى أحكم الحكماء عن مصل يقوم فى كل يوم بتلك الحركات الظاهرية وهو يلغ فى الكذب والخيانة والغدر والدس والإيقاع والملق والرياء وما إلى ذلك من الآثام ؟ وهل من يجل غير الله وينظر إلى غير وجهه ، ويخشى غير سلطانه يحقق فى صلاته معنى تلك الآية الكريمة التى يرددها فى كل ركعة وهى : « إياك نعبد وإياك نستعين » . أولا يعلم أن تقديم « إياك » فى هذه الآية هو بمثابة ميثاق بينه وبين ربه يتعهد فيه بقصر تقديسه واستعانته على القوة الإلهية وحدها دون أن يعمل حسابا لغيرها ، أيا كان سلطانه بل طغيانه وهل يعتبر من المصلين هؤلاء الرؤساء الذين يحابون ويجورون . وأولئك الأثرياء وأصحاب الأعمال الذين يأكلون حقوق العمال بعد أن يستوفوا أعمالهم ويستنفدوا قواهم ؟ وهؤلاء العمال الذين يتقاضون أجورهم ويلحفون فى المزيد منها دون أن يؤدوا الأعمال بإتقان وإخلاص ؟

الدكتور محمد غلوب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العرب في أندونيسيا

للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري

— ٢ —

إنشاء مدارس إسلامية عصرية :

بالرغم من كل ما تقدم ظل الذين يهمهم نشر الدين والثقافة الإسلامية وصيانة ذلك الميراث المقدس بهذه الأقطار ، ظل أولئك يقاومون سياسة الاستعمار والتبشير الغربيين .

إنهم عندما رأوا المدارس الحكومية والتبشيرية بدأت تجتذب أبناء المسلمين وبناتهم وتتجه بهم إلى ثقافة لا شرقية ولا غربية بل استعمارية لعينة من نتائجها بذر التحقير والاستهانة بالدين والحط من شأن العرب وما يقوم بإنشائه المسلمون من كتاتيب ومعاهد ، لقاء نشر ثقافة ومدنية غايتها المظاهر الخلابة الفارغة والتفرنج البغيض . قرر أولئك المخلصون أنه لابد من مجاراة الزمن لئلا يجرف بتياره النشء الحديث وهم غير مزودين ولا مسلحين بمناعة من العقائد الإيمانية والمبادئ الضرورية للرجل المسلم . ففتحوا المدارس على الطراز الحديث ودرسوا فيها إلى جانب التعاليم الإسلامية ولغة القرآن المبادئ النظرية في العلوم الطبيعية .

وكانت أولى المدارس هي : (جمعية خير) بجاكرتا ، ومدرسة حضرموت والخيرية بسربايا ، وشمائل الهدى بفاكالونغان ، والمدرسة العربية الإسلامية بصولو ، ومدرسة المعاونة بشانجور ، والمدرسة العربية الإسلامية بيابوراغي . وقام بالتدريس فيها أساتذة أكفاء ، ومن أشهرهم : الأستاذ محمد بن هاشم ابن طاهر العلوي ، والأستاذ أحمد بن عبد الله السقاف العلوي ، والأستاذ طاهر الدباغ ، والأستاذ رباح حسونة ، والأستاذ عبد القادر بلفقيه العلوي ، والأستاذ حسن ناصر ، والأستاذ عيدروس بن سالم الجفري العلوي . وغيرهم من العرب والأندونيسيين .

تعاون وتساند العرب المخلصون على إقامة هذه المدارس بالتكاتف وإخوانهم الأندونيسيين وبعض أفراد الجاليات الأخرى كالهنود وغيرهم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأخذت هذه المدارس تزدهر وتجتذب الطلاب ، وتوق أكلها وتتسع وتتعدد فى المدن والقرى . وشرعوا يجلبون لها الأساتذة الأكفاء من خارج أندونيسيا فقد جيء بالأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتى السنارى السودانى من مكة ليعلم فى جاكرتا ، وجيء بالأستاذ محمد المكى التونسى ليعلم فى صولو ، وهكذا ظل العرب وحدة متماسكة ، متعاونين على العمل للحافظة على مقوماتهم وواجباتهم نحو الدين والتربية الصحيحة واللغة العربية .

وقد نبغ من خريجى هذه المدارس طائفة يشار إليها بالبنان فى المجتمع الأندونيسى ، كالأستاذ الجنرال عمر الصنداوى الذى صار قائداً لكتيبة (سيلى واغى) فى الجيش الأندونيسى الباسل ، والحاج محمد دمياطى الذى أسس المدارس السلفية فى مقاطعة سوراكرتا بجاوة الوسطى ، والأستاذ الكبير على بن يحيى العلوى ، والأستاذ الشاعر على أحمد باكثير المقيم حالياً بالقاهرة . وغيرهم ممن لا يتسع المقام لحصرهم .

الاستعمار يحرك الشباك :

كانت إدارة مدرسة جمعية خير بجاكرتا تحت رئاسة السيد الشريف محمد بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوى أحد زعماء العرب ممن يحملون روحا إسلامية كبيرة ، كان لها أبعد الأثر فى تأسيس جمعيات إسلامية عظيمة بأندونيسيا مثل الجمعية المحمدية . فقد كانت صلات رئيسها ومؤسسها الأول الشيخ الكياهى دحلان بالسيد محمد المذكور صلات وطيدة قوية ، كما كانت نفس هذه العلاقات بينه وبين الزعيم الوطنى الكبير الحاج عمر سعيد الذى تعاون معه على تأسيس الجمعية الإسلامية الوطنية : شركة إسلام ، التى صمدت لمقاومة السياسة الاستعمارية فى مظاهرها المتعددة من سياسية ودينية وغيرها . فقد كان السيد محمد المذكور معروفا بشدة غيرته الدينية . يخطب فى الجموع المحتشدة ويلهب الحماس الدينى بين الأندونيسيين . وعليه فقد كان محسوبا له حسابه من جانب المستعمر الهولندى . وكانت بين رئيس جمعية خير هذا وبين الشيخ أحمد السوركتى وهو إذ ذاك بالحجاز اتفاقية على أن يأتى إلى جاوة ويعلم التعليم الدينى فى مدرسة (جمعية خير) ، وكان كل ذلك وتم الأمر وبوشر العمل . فرأت الحكومة الاستعمارية فى هذا زيادة توسع فى النشاط الإسلامى يتعارض مع مصلحة الاستعمار .

فما عتم أن مضت أشهر من مباشرة الأستاذ السوركتى لوظيفته كمدرس ، وابتهج بذلك المشتغلون بقضايا التربية والتعليم . حينئذ بدأت هولندة تنصب شباكها المسمومة ، فأوفدت مستشارها الدينى المستشرق سنجريك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الهولندى وهو معروف بروحه المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين يتملق للشيخ الأستاذ السوركتى بأساليبه الخلابة ويتردد على منزله فى مظهر وداعة المريد المستفيد تارة وتارة بمظهر المعجب المغرم بمفاهيمه . وازداد هذا التردد ، وبدأ زملاء الشيخ السوركتى يستريبون من هذه الزيارات المتكررة مما جعل كثيرا منهم من بينهم السيد محمد بن عبد الرحمن نفسه يفاتح الأستاذ السوركتى بهذا الشأن محذرا إياه من هؤلاء المستشرقين سيما من كان منهم فى خدمة حكومتهم الاستعمارية رسميا مثل ذلك المستشار الدينى . وبدلا من أن تقل الزيارات ، إذا بالأستاذ السوركتى يجعل للمستشار الهولندى أوقاتا خاصة يظهر فيها المستشرق بمظهر التلميذ الذى يريد دراسة اللغة العربية بتعمق . فساور الجميع قلق تحقق لما بدأت الخلافات بين الشيخ السوركتى وبين إدارة جمعية خير بشأن مطالبة الأستاذ بزيادة مرتبه الشهرى وبمسكن أحسن وبمبلغ معين كإعانة له على الاقتران وغير ذلك مما تضيق به ميزانية الجمعية ولم يرد الشيخ السوركتى أن يمهل كثيرا فى الأمر ، بل لوح وهدد بالاستقالة ، الأمر الذى تخوف زملاؤه أن يكون من بواعث التأثر بالسياسة الهولندية الخلابة . وعندما جس النبض تبين أن الأستاذ لا ينوى العودة إلى الحجاز إذا استقال ، فإنه رفض عرض زملائه دفع مصاريف العودة ، بل قرر الإقامة بجاوة حتى بعد الاستقالة .

وهكذا كان ! ثم ما مضت إلا أيام قليلة حتى انتقل إلى دار أخرى ، وافتتح قسما داخليا ومدرسة للتعاليم الإسلامية واللغة العربية اتضح أن ميزانيتها تعتمد على نصيب خاص من المال نصيب الحكومى تدفعه إدارة المستشار الدينى سنجريك ـ الأمر الذى لم يسبق له نظير من قبل . وقد ازداد استياء زملائه والوطنيين المخلصين من الأندونيسيين لما جاء فى تصريحاته الصحفية التى أدلى بها فى الحجاز حينما أتيحت له فرصة زيارتها من امتداح وثناء على مسلك السياسة الهولندية فى مستعمراتها فى الهند الهولندية حتى ضجت الجرائد إذ ذاك بالاستياء . وبرزت أول مدرسة من نوعها فى جاكرتا فى الربع الأول من هذا القرن العشرين وسميت مدرسة الإرشاد والإصلاح .

فى تلك الأثناء نشرت صحيفة (صولو انديا) الملايوية أسئلة موجهة إلى الأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتى تتضمن هذه المسائل :

١ ـ حكم مسألة : الكفاءة فى النكاح .

٢ ـ حكم مسألة : التفاضل .

٣ ـ حكم مسألة : تلقين الميت بعد دفنه .

٤ ـ حكم مسألة : زيارة القبور والأبنية عليها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٥ — حكم مسألة : إهداء ثواب القراءة والتهليل لروح المتوفى .

٦ — حكم مسألة : تأميم لقب الشريف ولقب السيد .

٧ — حكم مسألة : تقبيل اليد .

ولم تمض إلا أيام قلائل حتى صدر الجواب المسمى : « صورة الجواب » للشيخ الأستاذ أحمد محمد السوركتى فى كتيب صغير مطبوع ، وزع فى جميع المدن والقرى فى المساجد والدكاكين والشوارع بالمجان . وشرع بعض العلماء من العلويين وغير العلويين ، شرعوا يردون ويعترضون وينتقدون على أجوبة الشيخ التى يشم فيها الغمز والتلويح والاستفزاز ، فمنهم من يجرح ويعدل رواة أحاديث استدلاله ويضعفها ويصححها ، ومنهم من يقابل بفتاوى العلماء الآخرين . ومنهم من يشير صراحة إلى الغايات والعواقب التى ترمى إليها إثارة مثل هذه المسائل الخلافية فى الوسط الإسلامى الذى يسوده الإخاء والتعاون والوئام .

استفزاز مقصود :

والحق أن العمل بهذه المسائل التى قدمت إلى الأستاذ الشيخ السوركتى كان شائعا فى حضرموت والمهجر كشىء عادى درجوا عليه منذ أجيال ، والخلاف فى حكمها الدينى معروف لا يستلزم حدة الخصومة والشقاق .

ولكن الجواب وسياقه فى صورة الجواب ، هول هذه المسائل وجعل أنها من الشرك والكفر والخروج عن الإسلام . وأن الذين يدافعون عنها قد أضلوا الأمة الحضرمية بهذه البدع وأنهم فرضوها على العامة وألصقوها بالدين ، وأن الدين برىء منهم . بهذه التهويلات والتصويرات كانت تطالعنا مجلة الأستاذ أحمد السوركتى (الذخيرة) الصحيفة الأولى لجمعية الإرشاد والإصلاح التى أسسها الشيخ فى تلك الأيام . وانضم إلى تلك الجمعية كثير من أرباب الثراء وشبابهم بحماوة ، وصدرت بعدها مجلة (المصباح) و (الدهنا) وكانت باللغة الداربجة وعندما نشرت الاعتراضات والردود من قبل الجانب الآخر ركزت هذه الصحف حملاتها على العلويين أجمع من سلف منهم ومن خلف ، ووجهت إليهم الهجوم القاسى العنيف فصورتهم بصور الدجالين الضالين المضلين المستعبدين الشعب الحضرمى بهذه الخلافات والضلالات .

وبلغت هذه الاستفزازات إلى حد قذف الآباء والأجداد وذكر الأنساب وأن هؤلاء العلويين ليسوا من السلالة النبوية وإنما هم من مجوس الفرس . إلى غير ذلك من الفحش والسباب .

بذور الفتنة تثمر :

تأسست جمعية الإرشاد والإصلاح برئاسة الشيخ أحمد محمد السوركتى السنارى السودانى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى جاكرتا (بتاوى إذ ذاك) ، ومن ضمن مواد قانونها الداخلى الأول مادة تنص على أن لاحق (للسيد) — وكان هذا اللقب المصطلح عليه لا يطلق إلا على كل علوى أو منتسب إلى أحد سبطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ذاك الحين فى حضرموت والمهجر وغيرهما من الأقطار — تنص المادة: أن لا حق للسيد أن ينتخب كعضو فى إدارة الهيئة المركزية ولا فروعها — كأنهم ليسوا من المسلمين ! ثم عدل القانون أخيراً بعد أن قرروا تعميم لقب : « السيد » لكل رجل مسلم وكافر ، وأبدل هذا اللفظ الصريح بنص آخر .

أما كان من الأجدر بالأستاذ الشيخ السوركتى والأولى به وقد أسس تلك الجمعية التى تحمل اسم الإرشاد والإصلاح الدينى أن يسلك غير هذا المسلك الوعر الذى أطاح بوحدة أبناء العروبة ؟ نعم . وما أحوج الأمة الحضرمية فى مهجرها إلى جهوده ونشاطه وعلمه ، لو سلك طريق الهدى الصحيح ويسر ولا عسر ولا نفر ، وقارب ولا فرق . فرحم الله أمير الشعراء إذ يقول :

وإذا المعلم لم يكن عدلا مشى
روح العدالة فى الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة
جاءت على يده البصائر حولا

وإذا أتى الإرشاد من قبل الهوى
ومن الغرور فسمه التضليلا

وأخيراً تطورت جمعية الإرشاد والإصلاح عن مسماها إلى واقعها ونتائجها ، فتمخضت عن تكوين طائفة عنصرية بعد أن تكتل فيها المهاجرون والمتأخرون من الحضارم الذين واتتهم الظروف فجمعوا الأموال وأثروا بشتى الوسائل ، وهم من عرفنا تديناً وثقافة ومركزاً اجتماعياً وكفاءة . وأصبح العلويون بطبيعة الحال يمثلون هم ومن والاهم طائفة أخرى . وبات الحضارم حتى الساعة الراهنة طائفتين . هما: الإرشاديون والعلويون ورغم المحاولات والوساطات التى قدمها العلويون لإعادة توحيد الصفوف والعمل على صعيد واحد ، فإن الأمور كانت بأيدى أناس ليس من صالحهم الشخصى التصافى والاتحاد . ورحم الله الأستاذ الشاعر المرحوم أحمد ابن عبدالله السقا إذ يقول فى قصيدة أنشأها وتلاها فى حفل بمدرسة الإرشاد بصولو بمناسبة افتتاحها عام ١٩٣٨ ميلادى قال :

ليس منا من لا يريد الوئاما
أو يرى الخير فرقة وانقساما
وطن واحد ويعرب جد الـ
ـكل والكل يخدم الإسلاما

وهكذا نجحت سياسة الاستعمار الهولندى بواسطة المستشار الدينى المتملق ، وفصلت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سمومها مفعولها فى تفكيك عرى النشاط الإسلامى الذى وجه إلى غرس المبادئ الدينية القوية بتعاليمها فصرف إلى حملات الانقسامات والفتن فى الصفوف الإسلامية ولم يستفد من ذلك إلا المستعمر وأذنابه وزعانفه .

كان على العلويين أن يفوتوا الفرصة على المستعمر :

إن العلويين قد أخطئوا وفارقهم التوفيق لما اضطروا إلى الدفاع عن أنفسهم حينما هاجمتهم صحف الإرشاديين بكل عظيمة . فأخذت صحيفة العلويين (حضرموت) تنافح وتكافح ، وتضطر فى سبيل هذه المناضلة إلى ذكر مالهم من أعمال وأمجاد مفيدة مشرفة ... تأججت فى الجانب الآخر من أجل ذلك كوامن الكره وانتقدت نيران البغضاء فزادت الطين بلة والإبالة ضغثا . فجعلت هذه المكافحة والمناضلة والمقارنة الفتنة ناراً تلظى واشتد أوارها وقوبل بمزيد من الإغراق فى السباب .

ولو امتلك العلويون الضغط على عواطفهم وكظموا غيظهم وقابلوا هذه الأمور بحصافة ومرونة أكثر جدارة بمن لهم صلة نسب ودم إلى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، لربما جرت الأمور فى غير مظهرها المحزن المؤسف من التطاحن العنيف والمهاترة العلنية التى تطورت وخرج الأمر فيها من القول إلى الفعل ، حينما بدأ الإرشاديون فى إراقة دماء العلويين ، فهوجم شيخ من أسرة آل الحداد يوما إثر خروجه من المسجد وقتل ، وهوجم عدد من العلويين فى مسجد بقرية (بندووسو) بجاوة الشرقية فى المسجد وهم فى صلاتهم فى شهر رمضان وقتل منهم ثلاثة !

الرابطة العلوية :

ألفى العلويون أنفسهم وحدهم فى ميدان الكفاح الإسلامى . ولهم رسالة دينية ومنشآت إسلامية تتطلب منهم التعاون والتكاتف على صيانتها وتقدمها وحياتها ، فأنشئوا الرابطة العلوية كجامعة تجمع شتاتهم وتلم شعثهم وتوحد صفوفهم : غايتها نشر التعاليم الإسلامية ولغة القرآن الكريم فى الناشئة ، ومبادئها كفالة الأيتام ومساعدة الأرامل والتعاون مع الجماعات والأفراد المسلمين على رفع مستوى المجتمع الأندونيسى والحضرى كما هو منصوص عليه . وهى وإن كانت فى اسمها طائفية ، لكنها فى غايتها ومبادئها إسلامية خيرية عامة . وانضم إليها الكثير من غير العلويين ممن يرون رأيهم بعد أن فهموا الحقيقة بل كان من مؤسسيها المغفور له الشيخ الوقور سالم بافاوزير . والواقع المشاهد يبرر ذلك ويبرهن عليه ، فها هى مدارسها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ودور أيتامها خاصة بأبناء المسلمين من أندونيسيين وعرب بما فيهم ممن كان ولم يزل آباؤهم متحمسين للعنصرية الإرشادية . وها هي إدارات مدارسها على رأس بعضها رجال من غير العلويين كما تمثله إدارة مدارس الرابطة العلوية بصولو .

محاولات للصلح :

وطبعا : كان لهذه الحوادث المؤسفة صدى عظيما من الأسى في كثير من أنحاء العالم الإسلامي ممن يعنيهم أمر الإسلام وإخوانهم في الدين . فكانت محاولات مختلفة متعددة لإقامة صلح بين الحضارمة الذي سبق أن كانوا دعامة من دعائم نشر الإسلام في هذه الربوع النائية من الشرق الأقصى والذين ساءت أحوالهم بفعل السياسة الاستعمارية الهولندية المعروفة بعدائها الحاد للإسلام والمسلمين ، فجاءت محاولة المكتب الدائم للجنة العليا بفلسطين وعلى رأسه سماحة الحاج أمين الحسيني ، فانتدبوا مفتي الشافعية بفلسطين لأن يزور جزيرة جاوة للإصلاح بين عربها المتنازعين . ولكن هذه المحاولة قتلت في المهد ، إذ أن قنصل هولندة وجد أمرها من حكومته بأن لا يؤشر على جواز مفتي الشافعية بالدخول إلى أندونيسيا - جاوة . واتضح بذلك لذوي النظر أن لهولندة مصلحة خاصة في بقاء هذا الخلاف الذي تجاوز كل الحدود الخلافية بين المذاهب الإسلامية في كل أصقاع العالم الإسلامي ، وهي التي لم تخل من وجود مذهبين أو أكثر مختلفة ولم تضق ذرعا بوجود ذلك شأن ما كان بجاوه وتحت الحكم الهولندي .

وجاء العلامة مفتي حضرموت السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف بصلح عرضه على الطرفين فقبله العلويون ورفضه الإرشاديون .

وجاءت محاولة من جانب جمعية الرابطة الشرقية فقدمت شروطا للصلح قبلت من الطرفين ابتداء ، ثم ردها الإرشاديون بعد ذلك تحت ضغط ما .

وجاء الشيخ عوض بن عبد الله بن شنبل وسعى سعيا حثيثا قابله العلويون بالقبول ولم يحظ لدى الإرشاديين بما يضمن نجاح مسعاه ، حتى كان خلاف بينه وبينهم عظيم وقد كتب الشيخ عوض المذكور مذكراته عن قضايا الخلاف بين الحضارم في تاريخه عن الحركات الإسلامية بجاوة مدعما بوثائق ومستندات واضحة تضع المجهر المبين على أصابع هولنده الاستعمارية في إغراء الإرشاديين واغتيالاتهم وإبقائهم الخلاف على أشد حدته ، ولحكمة من تصاريف القدر توفي الشيخ قبل إعداد مذكراته للطبع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رحمه الله ، فقد كان شخصية لها مكانتها المرموقة لدى الحكومة الجمهورية الأندونيسية بما للمغفور له من دور جد مشرف ناصع إبان الثورة الأندونيسية حتى إنشاء الحكومة الجمهورية .

وقدمت مشيخة الأزهر الشريف نصيحتها وكلمتها ، رحب بها الجانب العلوى كل الترحيب ولم تقابل من الجانب الآخر بما يقرب التهادن والتصالح .

وأدلى السيد العلامة محمد رشيد رضا دلوه ورضى العلويون بما ارتآه ، ولم يقابله الإرشاديون بالرضى ، حتى يئس الأمير شكيب أرسلان من إمكانية إقامة صلح بين الطرفين فى رسالة كتبها قال فيها : بعد اليأس لستم بأول قارورة كسرت فى الإسلام يخاطب الحضارم .

تتابعت هذه الأحداث فى جاوة ، وكان موقف العلويين فيها موقف الحريص على إيقاف هذه الخصومة غير الشريفة التى وقفت سدا قويا دون تأدية رسالة الإسلام ونشر مبادئ الدين الحنيف ، ولكن تأثير تلكم الدوائر العليا التى كانت لها القوة والسلطة هى التى كانت مصدرا لهذا الفشل المتوالى فى كل تلكم المحاولات .

« عواقب وخيمة :

طرب الاستعمار الهولندى وصفق لهذه الظاهرة فمالأ أنصارها الذين وجدوا العيش الطيب فى هذا الماء العكر ، وتفرقت جهود الحضارم وتمزقت قوتهم التى طالما وقفت صفا واحداً فى وجه منازعته وضايقته ، وها هى أموالهم تبذل فى سبيل المؤامرات وإصدار الصحف المفتة واستئجار الأقلام وشراء الضمائر لبذر بذور الفرقة والانشقاق ، بل تأليف لجنة الاغتيال وسفك الدماء وغرس البغضاء والعداوة حتى فى الناشئة الغضة وفى الدور التى بنيت باسم العلم والإسلام ، وتسويد صفحات التاريخ بالحوادث الوحشية .

وفتحت مدارس وسارت على برامج مرتجلة يمليها الهوى ، وتخطها الأنانية ، وحشر لها المعلمون الذين كان منتهى ثقافة أكثرهم الارتفاع عن مستوى الأمية .

وتناسى الحضارم فى هذا الضجيج واجبهم نحو وطنهم القديم وموطن آبائهم وأبنائهم ونسائهم ، تناسوا ذلك فى غمرة هذا الشرف والمجد والعلم والنهضة والتقدم المزيف ! لعلهم إن تذكروا ذلك الوطن البائس بعثت لهم الذكرى صورا مفزعة فى الحياة من شظف العيش فى الأرياف والجبال ووراء الجبال ! ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لهذا لم ينتفع الوطن بثروة أبنائه واجتمع الجهل والغنى والأنانية والحرية القانونية . . أما نتائج المعارف والمدارس فسيل من الشباب غير المؤهل للكفاح فى معركة الحياة شباب مذبذب الأخلاق ، جاهل لمعنى الدين بعيد عن العروبة وشيمها ، أناني أجوف ، يغمر القهاوى ، ويعمر البارات ، ولا يأنف عن الاستجداء ، ولا يتورع عن اللصوصية وتدهور فى الحضيض ! ! .

ناهيك بأربعين عاما نخرت فيها أمراض الانقسام على هذا الوضع جسم العرب ، الحضريين بأندونيسيا . والنتيجة الأخيرة هى : أأنت إرشادى أم علوى ؟ .

أما لو أن الإصلاح والإرشاد الحقيق هو الدافع ، والدين هو الوازع ، والإخلاص هو الباعث ، والحب هو السائد ، والإخاء هو الداعى ، ورضا الله هو الغاية ، لوحد أولئك المعلمون صفوف الأمة وأزالوا دواعى الفرقة ، وحطموا ما يعترض سبيلهم من عوارض الإنشقاق . ووحدوا المدارس وساروا بالناشئة إلى الغايات السامية . على أيدى رجال أكفاء وأساتذة صلحاء ومعلمين علماء ، فأصبحوا ولهم من الجامعات العلمية والشركات الاقتصادية ما يجعلهم فى نظر إخوانهم الأندونيسيين فى مستوى القادة والزعماء . فقد مهد الإسلام لهم فى هذا الشرق سبيل النجاح وسهل وسائل الإصلاح ولكن لو الصيف ضيعت اللبن .

عبد القادر عبد الله الجفرى

(البقية فى العدد القادم)

(بقية المنشور على صفحة ٨ (٧))

الأحكام ، وأحسن النظم التى يقوم عليها مجتمع فاضل سليم ، ولو أن الكاتب قرأ تاريخ أبى حنيفة وأحمد بن حنبل ، وأشباههما ، وعرف مواقفهم من الخلفاء والحكام لما قال : إن التراث الإسلامى وضع فى أحضان حكام ظالمين .

ولو تفقه فى الدين حق الفقه لعرف قيمة الشعور الدينى فى إيجاد مجتمع فاضل . فإذا وجد المصلح استطاع أن يستعين بهذا الشعور على كل إصلاح سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى ، ولكن الشعور الدينى حين يستغل للانتكاس لا يكون الذنب ذنب هذا الشعور ، وإنما هو ذنب الذين يستغلونه لمآربهم الشخصية .

والتعليم الأزهرى ليس صورة منحرفة من استغلال الدين ، بل هو الذى حفظ لهذا الدين جدته ، وهو الذى جعل من مصر زعيمة العالم الإسلامى بحق .

إننا لندعو مخلصين كل من يريد أن يكتب فى صميم التعاليم الإسلامية أو من يتحدث عن التعليم الدينى أن يتفقه فى الدين ، فإنه حينئذ سيأمن الزلل فى القول ، وفى العقيدة .

والله الهادى إلى سواء الصراط ؟

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مراكز اللغة العربية في الهند

للأستاذ محمد اسماعيل الندوي

— ٢ —

إن المدارس العربية وإن كثرت في عددها وضخامتها ، فإن لها ميزة هي التخصص في المنهج والنظام . كما وجد التخصص في أوربا وفي الجامعات الحديثة . فأصبح الطالب يذهب إلى أكسفورد لدراسة الإنسانيات ، أو إلى كمبردج لدراسة العلوم الدقيقة أو إلى باريس ، أو روما ، أو برلين ، أو هارفرد ، ليجلس أمام أساتذة متخصصين ، وينهل من منبع الجدول المتدفق . كذلك وجد نوع من التخصص في المدارس الهندية ، وعرفت بعض المدارس بالعناية بفرع من العلم والبراعة فيه ، ويبدأ بالتدريج التخصص في العلوم التالية :

١ — الصرف والنحو والحديث والفقه ، في ديوبند وسهارنبور ، ودلهي ،

٢ — المنطق والفلسفة . في رامبور .

٣ — الأدب والبلاغة واللغة والتفسير . في دار العلوم لندوة العلماء في لكهنو .

٤ — القانون واللاهوت في فرنكي محل في لكهنو .

٥ — المناظرة والتجويد في الفرقانية ودار المبلغين في لكهنو .

وقد أضيفت اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى مناهج الجامعات الهندية المعاصرة أيضا كمادة إضافية . أما هذه الجامعات الرسمية فلا صلة لها بالمدارس العربية ؛ لأن المدارس العربية تقوم على تبرعات الشعب الإسلامي الهندي . ومن الجامعات المعاصرة ، جامعة عليكرة ، وجامعة كلكتا ، وجامعة مدراس وجامعة لكهنو وجامعة الله أباد والجامعة العثمانية . هذه الجامعات الخمسة تمتاز باهتمامها باللغة العربية ولكن مستواها دون المستوى في المدارس العربية . ولم تنجب هذه الجامعات شخصيات كبيرة في الأدب العربي والدراسات الإسلامية ، كما أنجبت المدارس العربية أدباء وباحثين في اللغة العربية .

المركز الثاني :

« الجهود في إبراز المصنفات العربية »

ونحن نعتبر المركز الثاني للغة العربية في الهند هو الجهود الشخصية التي قام بها علماء الهند في ميدان التأليف والبحث . فقد قام الشيخ أحمد علي السهارنبوري بالشرح والتعليق والاختصار لكتب الأحاديث وطبعها ونشرها . وقد علق على صحيح البخاري تعليقات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفيدة فى ضوء فتح البارى للعسقلانى . وكذلك طبع ونشر كثيراً من كتب الأحاديث بجهوده لولوعه بالحديث . وصنف الشيخ عبد الحى الكهنوى مئات من الكتب العربية ومن أشهرها شرحه للهداية وهو من أمهات كتب الفقه الحنفى . والأمير السيد صديق حسن خان (المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ) لا يزال يعترف بفضله فى كتبه الكثيرة مثل :

(١) أبجدية العلوم . (٢) الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد . (٣) الانتقاد والترجيح فى شرح الاعتقاد الصحيح . (٤) البلغة فى أصول اللغة . (٥) حصول المأمول من علم الأصول.

وكتب أخرى مشهورة فى أوساط المشتغلين بالفقه والحديث ، وقد انتهى بهؤلاء القرن التاسع عشر الميلادى .

وفى مستهل القرن العشرين ظهر أدباء وكتاب ومؤرخون فى اللغة العربية . وبلغ هؤلاء شهرة لا تضارع فى هذا المضمار ، وقد اشتهر العلامة محمد شبلى النعمانى بكتابه الشهير « الانتقاد على التمدن الإسلامى » ، ويعتبر هذا الكتاب من أقيم وأوفى ما كتب فى إظهار دسائس المسيحيين العرب ضد الإسلام .

ولا تزال الهند تتزعم حركة الحديث منذ العصور الوسطى ، وقد أسدى العلماء الهنود خدمات جليلة فى السنة ، قال المرحوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : « ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث فى هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف فى أوائل هذا القرن الرابع عشر ، وإننى لما هاجرت إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ رأيت خطباء مساجد الأزهر وغيره يذكرون الأحاديث فى خطبهم غير مخرجة ومنها الضعيف والمنكر والموضوع . مثلهم فى هذا الوعاظ والمدرسون ومصنفو الكتب ، فكنت أنكر ذلك عليهم كما بدأت بإنكار مثله على أهل بلدى طرابلس قبلهم » . (مقدمة مفتاح كنوز السنة) . وقد ألف الشيخ خليل الرحمن السهارنبورى شرحا قيما على صحيح الترمذى وسماه بذل المجهود وشرح المحدث الكبير أنور شاه الكشميرى صحيح البخارى وسماه « بفيض البارى » . وشرح الشيخ شبير أحمد العثمانى صحيح مسلم . وهو أوفى وأحسن من شرح النووى ويعرف بفتح الملهم ، وشرح الشيخ محمد إدريس مشكاة المصابيح وسماه : « تعليق الصبيح » ، وشرح الشيخ محمد زكريا الموطأ فى عدة مجلدات ، وهو شرح ضخم فى السنة ، وشرح الشاه ولى الله الدهلوى قديما الموطأ لمالك رحمه الله.

وقد اشتهر حميد الدين الفراهى (المتوفى سنة ١٣٣١ هـ) فى علوم اللغة العربية والبلاغة والتفسير ، وكان يفسر القرآن على وجهة نظره الخاصة ، وكان يرى أن آيات القرآن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يفسر بعضها بعضا وإذا عاقه شيء فى فهم القرآن كان يلجأ إلى الشعر الجاهلى فى تفسير مفردات القرآن ، إذ لم يكن يثق بالقواميس العربية حتى لسان العرب ، وله ملاحظات على القواميس العربية . وكان يرى أن علماء اللغـــة لم يهتموا بالشعر الجاهلى فى شرح المفردات العربية ، وآراؤه تستحق أن تبحث فى أوساط الأدب واللغة ، وقد ترك لنا مؤلفات قيمة فى اللغة العربية أمثال :

(١) مفردات القرآن .
(٢) جمهرة للبلاغة .
(٣) تفسير نظام القرآن .
(٤) الإمعان فى أقسام القرآن .
(٥) الرأى الصحيح فى من هو الذبيح .

وقد اشتهر فى التاريخ والسير والجغرافية الشيخ السيد عبد الحى الحسنى الذى وضع فى تراجم علماء الهند وأدبائها وشعرائها كتابا قيما فى تسعة مجلدات ، وقد طبع هذا الكتاب باسم « نزهة الخواطر » وجرى فيه على منوال ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » وله كتب أخرى قيمة مثل :

(١) جنة المشرق .
(٢) معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف .
(٣) تلخيص الأخبار ومنتهى الأفكار فى شرح تلخيص الأفكار .

وظهر فى الأدب والشعر الشيخ أبو عبد الله محمد السورتى والأستاذ عبد العزيز الميمنى ، أما الأستاذ الميمنى فهو غنى عن التعريف ، وهو أشهر أديب هندى فى اللغة العربية . اعترف بعلمه وفضله جميع أدباء العرب ، وقد ألف وحقق كتبا قيمة فى الأدب العربى مثل:

(١) أبو العلاء المعرى ماله وما عليه .
(٢) سمط اللآلى شرح أمالى القالى .
(٣) إقليد الخزانة .
(٤) شعر أبى العلاء .
(٥) شعر المتنبى .
(٦) التنف فى شعر ابن رشيق وابن شرف .
(٧) ديوان حميد بن ثور (جمع شعره) .
(٨) كتاب الفاضل للمبرد .

وهو يعتبر من القلة الذين لهم معلومات وافية فى الشعر الجاهلى ومقدرة عظيمة فى التحقيق والتمحيص والتنقيب ونظرة دقيقة فى المخطوطات العربية النادرة .

وبعد منتصف القرن العشرين اشتهر من الجيل الحديث أدباء وكتاب فى اللغة العربية وعلى رأسهم الأستاذ أبو الحسن على الندوى وقد طبعت له مقالات قيمة فى المجلات المصرية مثل الفتح والرسالة والثقافة ، وألف كتبا قيمة فى اللغة العربية مثل :

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .
(٢) تاريخ رجال الفكر والدعوة .
(٣) روائع إقبال وكتيبات عديدة .

والأستاذ مسعود الندوى وضع كتبا قيمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى التاريخ الإسلامى الهندى والدعـــوة الإسلامية ، وقد أضاف إلى القاموس الجديد الذى وضعه الباحث الكبير العلامة السيد سليمان الندوى كلمات عربية دخلت حديثا فى اللغة العربية وشرحها بالأردية .

* * *

المركز الثالث : الصحافة العربية

ونتحدث الآن بعد هذا البحث الطويل عن حركة الصحافة العربية فى الهند . وقد صدرت أول مجلة عربية فى الهند سنة ١٩٣٢م كان اسمها الضياء خريجو دار العلوم لندوة العلماء . وأشرف عليها الدكتور تقى الدين الهلالى المراكشى (مدرس اللغة العربية فى دار العلوم فى ذلك الحين) وتولى رياسة تحريرها المرحوم الأستاذ مسعود الندوى . كانت هذه الثقافة على مستوى علمى وأدبى كبير . وأثنت عليها كثير من المجلات العربية فى مصر ودمشق ولبنان مثل الفتح والمجمع العلمى وغيرها . وبعد فترة توقفت هذه المجلة . ثم أعاد نشرها خريجو ندوة العلماء باسم البعث الإسلامى سنة ١٩٥٤ م . وتولى إدارتها وتحريرها الأستاذ محمد الحسن ، ويشرف عليها الأستاذ أبو الحسن على الندوى . وهى تعتبر الآن طليعة المجلات العربية التى تصدر فى غير البلاد العربية لنشر الثقافة العربية والوحى الإسلامى. ثم أصدرت الحكومة الهندية بعد قيام الجمهورية مجلة عربية شهرية لنشر الثقافة الهندية وإظهار جهود علماء الهند فى ميدان الثقافة العربية . وهى تصدر من نيودلهى باسم ثقافة الهند .

وهذه الجهود التى قام بها أبناء الهند وأحباء اللغة العربية فى الهند تحتاج إلى تشجيع وتقدير أبناء الأمة العربية ولا سيما الجمهورية العربية المتحدة وهى القلب النابض للعروبة ومن جامعة الدول العربية التى تحمل لواء الثقافة العربية .

المركز الرابع : المكتبات الهائلة :

ونحن نعتبر المركز الرابع للغة العربية فى الهند المكتبات الهائلة المنتشرة فى أنحاء الهند . وهى تحتوى على آلاف من الكتب العربية خطية ومطبوعة . ولا يمكن لنا أن نحصر المكتبات المنتشرة فى أنحاء الهند فى هذه العجالة .

وتقع معظم هذه المكتبات فى المدارس العربية التى ذكرناها منذ قليل . ولكن نكتفى هنا بذكر أشهر المكتبات التى نعتبرها مددا لحركات التحقيق والتأليف والتنقيب . وهذه المكتبات العديدة تنفرد ببعض المخطوطات النادرة التى لا توجد إلا فى الهند . ويحتاج طلاب اللغة العربية لشد الرحال إلى تلك المكتبات للاطلاع على المعارف العربية . ومن هذه المكتبات :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(١) « مكتبة خدابخش » فى ولاية بهار فى شمال الهند ، وتعتبر أكبر وأضخم مكتبة .

(٢) المكتبة المركزية فى كلكتا ، وهذه أيضا أكبر مكتبة تشرف عليها الحكومة .

(٣) مكتبة آصفية فى مدينة حيدر آباد التى أنشأها ملك حيدر آباد سنة ١٣٠٠ هـ وتحتوى هذه المكتبة بين جناحيها على أكثر من ستين ألف كتاب . منها مخطوطات عربية نادرة اهتمت الحكومة بالحصول عليها اهتماما بالغا .

(٤) مكتبة دار العلوم لندوة العلماء بمدينة لكهنو فى شمال الهند وتعتبر هذه المكتبة أيضا من المكتبات الشهيرة فى ضخامتها واحتوائها على مطبوعات قيمة . ومخطوطات نادرة يبلغ تعدادها أكثر من ألفى كتاب أما ، المطبوعات فتبلغ أكثر من ستين ألف كتاب :

(٥) مكتبة دار المصنفين بمدينة أعظم كره فى ولاية يوبى شمال الهند . وبها كتب مختارة وكلها تعتبر من المراجع والأمهات . ولا يقصد إلى هذه المكتبة إلا كبار الباحثين والمحققين .

المركز الخامس : مؤسسات الطبع والنشر

أنشئت مؤسسات عديدة فى منتصف القرن العشرين لطبع ونشر وتأليف الكتب العربية وقد أسس ملك حيدر آباد فى المملكة العثمانية مؤسسة كبيرة باسم دائرة المعارف العثمانية وقد بحثت هذه المؤسسة عن آلاف من المخطوطات العربية النادرة فى أنحاء العالم ، وحصلت عليها ثم طبعتها خدمة للغة العربية وحرصا على إحياء التراث الإسلامى المجيدة وتعتبر هذه أكبر مؤسسة عربية لإحياء التراث العربى الإسلامى ، وتنفق عليها الحكومة الهندية المركزية وهذه المؤسسة فريدة فى نوعها . وقد اهتم مؤسسو الدائرة والقائمين عليها بما ألف قبل القرن التاسع الهجرى أو الرابع عشر الميلادى فنقب مجلسهم عما أبقته طوارق الزمن من أمهات المراجع فى العلوم المختلفة فطبعوها ونشروها . وطبع من هذه الأمهات أكثر من مائة وأربعين كتابا تقع فيما يزيد على ثلثمائة وخمسين عددا ، هذا إلى الأمهات الأساسية فى الأدب واللغة والتاريخ والسير والتفسير والحديث والرجال والفقه والطب والفلك ، والتصوف ، والمنطق والفلسفة والرياضيات والنجوم والهيئة والطبيعيات ، وهذه الكتب العربيه كانت رائجة فى القرون الوسطى ، وبعضها لم يكن يوجد منه إلا أصل واحد أو قطعة مخطوطة . ومن أهم هذه الكتب النادرة التى طبعت فى الهند فى هذه المؤسسة .

١ — صور الكواكب لأبى حسين عبد الرحمن الصوفى (المتوفى سنة ٣٧٦ هـ) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ ــ كتاب التيجان لملوك حمير لابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨ هـ) .

٣ ــ القانون المسعودى للبيرونى (المتوفى سنة ١٠٤٨ م) .

٤ ــ كتاب الحاوى فى الطب فى تسعة مجلدات لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى (المتوفى سنة ٩٢٥ م) .

٥ ــ كتاب الجرح والتعديل فى تسعة مجلدات لأبى حاتم الرازى (المتوفى سنة ٩٣٨ م) .

٦ ــ كتاب الأنواع لابن قتيبة (المتوفى سنة ٨٧٩ م) .

٧ ــ تذكرة الحفاظ للذهبى فى أربعة مجلدات (المتوفى سنة ١٣٤٧ م) .

٨ ــ ديوان ابن ثناء الملك للقاضى عبد القاسم هبة الله المصرى (المتوفى سنة ١٢١٢ م) .

٩ ــ كتاب المعانى الكبير للبخارى .

وكتب أخرى مثل كتاب مفتاح السعادة ، وكتاب الخيل ، والأمالى لأبى عبد الله اليزيدى ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، والحماسة لابن الشجرى ، والفائق للزمخشرى ، والسنن الكبرى للبيهقى وكنز العمال لعلى المتقى وميزان الاعتدال للذهبى .

وقد استقبلت مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بالحفاوة والعناية من قبل الدوائر العلمية والجامعات الكبرى والمراكز التحقيقية ــ فى إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا وتركيا ومصر والحجاز والشام ولبنان وغيرها ــ ووعد جماعة من كبارهم فى مؤتمر المستشرقين فى استانبول سنة ١٩٣١ بإعانتها علميا وفنيا . والمكتبات الكبرى فقد فتحت أبوابها لإمداد الدائرة بنفائسها الخطية وبالصور الشمسية والأفلام النادرة والمواد المبتكرة .

والمؤسسة الثانية هى مؤسسة دار العلوم لندوة العلماء للتأليف والطبع والنشر . وقد اهتمت هذه من بداية إنشائها اهتماما بالغا بتدريس اللغة العربية على أوسع نطاقه من ناحية الأدب والنقد والفنون الأدبية . ولذلك كانت المدرسة فى أشد الحاجة إلى وضع كتب المبادئ المتوسطة لتثقيف الطالب الهندى وتقريبه إلى الذوق العربى السليم ، وتكوين ملكة راسخة الإنشاء والترجمة فى هذه اللغة لأن المدارس العربية فى الهند لاتزال تواجه صعوبات فى استيراد الكتب الأدبية من البلاد العربية .

ولأن المنهج السائر والكتب الأدبية المتداولة فى البلاد العربية لا توافق طبيعة الطالب الهندى الذى يدرس اللغة العربية بعد نضوجه فى لغته القومية . وتدريس هذه اللغة وتوطيد الملكة الراسخة فى الطالب الهندى يتطلب جهودا متضافرة غير الجهود التى يعانيها أبناء العرب الناطقين باللغة العربية . ولذلك ألف أساتذة مدرسة دار العلوم لندوة العلماء كتبا دراسية فى الأدب والإنشاء والصرف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والنحو والبلاغة . وقد قام الأستاذ أبو الحسن على الندوى (مدرس دار العلوم لندوة العلماء فى ذلك الحين) بوضع كتب دراسية فى الأدب للمرحلة الابتدائية والثانوية . وألف سلسلة من قصص البنين فى مادة النصوص للمرحلة الابتدائية والإعدادية ومختارات الشعر والنثر للمرحلة الثانوية . ثم قام عدد من الأساتذة فى المدرسة بإعداد كتب فى الإنشاء والترجمة والصرف والنحو . وشرح هؤلاء القواعد العربية باللغة الأردية لكى يفهم الطالب هذه القواعد الصعبة بلغته القومية . لأن اللغة القومية تعتبر أسهل طريق لتدريس اللغة الأجنبية . وقد تلقت معظم هذه المدارس العربية فى الهند هذه الكتب بالقبول والترحيب وتدرس هذه الكتب فى أنحاء الهند .

وقد أنشئت مؤسسة أخرى فى مدينة لكهنو لتدريس وتسهيل اللغة العربية وسميت هذه المؤسسة بإدارة تعليمات الإسلام . ووضعت هذه المؤسسة عدة كتب لتدريس اللغة العربية بطريق المراسلة . وهذا المنهج أيضا أفاد كثيراً فى تعليم اللغة العربية . واستطاع بهذا الطريق مئات من الطلبة فى المدارس والجامعات ومن الموظفين أن يتعلموا اللغة العربية فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنين .

ومن الإنصاف أن نذكر الأستاذ عبد الحفيظ البيلياوى (أستاذ اللغة العربية فى دار العلوم لندوة العلماء) بتأليفه القواميس من اللغة العربية إلى الأردية وبالعكس . وقاموسه مصباح اللغات (من العربية إلى الأردية) لا يضارعه قاموس من العربية إلى اللغات الشرقية . وهو أضخم وأنفس قاموس . وقد جرى المؤلف فيه على منوال المنجد . وقد نال مؤلف هذا القاموس جائزة الحكومة الهندية تقديراً وتشجيعاً لخدمته الباهرة . وقاموسه فى متناول أيدى ناطق اللغة الأردية فى الهند وباكستان .

وقد بقى لنا الآن أن نذكر مؤسستين كبيرتين وهما دار المصنفين فى مدينة « أعظم كره » وندوة المصنفين فى مدينة نيودلهى . وقد ترجمت فى هذه المؤسستين عدة كتب عربية إلى اللغة الأردية كما نشرت فيها بعض الكتب العربية .

وتقوم جميع هذه المؤسسات بنشاطها على نفقات الشعب الإسلامى بالهند ما عدا دائرة المعارف العثمانية . لأن المسلمين فى الهند لا يزالون يعتقدون أن التراث العربى هو تراثهم القومى . وإذا لم يحافظوا على هذا التراث فلن يبقى لهم أى كيان فى الهند ، وهذه المؤسسات والمدارس العربية والمراكز الأخرى التى ذكرناها تحتاج إلى تشجيع من الأمة العربية جميعاً ولا سيما الأزهر الشريف وجامعة الدول العربية ؟

محمد اسماعيل الندوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع قضايانا

إنّنا عائدون

للأستاذ احمد الشرباصي

إننا عائدون إلى فلسطين العربية الإسلامية لأن كتاب ربنا تبارك وتعالى - وهو القرآن المجيد - يحدثنا عن العودة والرجوع ، حتى فى تاريخ السابقين من الأنبياء لنبينا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ، فهو يقص علينا قصة موسى . فيقول فيها : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

روى ابن كثير فى تفسيره [1] أن دار أم موسى كانت على النيل ، فاتخذت تابوتا ، ومهدت فيه مهدا ، وجعلت توضع ولدها ، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته فى ذلك التابوت وسيرته فى البحر ، وربطته بحبل عندها ، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه ، فذهبت فوضعته فى ذلك التابوت ، وأرسلته فى البحر ، وذهلت أن تربطه ، فذهب مع الماء ، واحتمله حتى أتى به على دار فرعون ، فالتقطه الجوارى ، وذهبن به إلى امرأة فرعون ، فوقعت محبته فى قلبها ، بينما أصبح فؤاد أم موسى فارغا من الهول ، وحرم الله عليه المراضع ، وأعاده إلى أمه بقوته وقدرته وحكمته .

وإن الإنسان ليتخيل أم موسى وهى تلقى بوليدها ووحيدها وفلذة كبدها إلى الماء ، والموت يترصد له فى كل جانب ، والغد أمامها غيب مغيب ، ثم يتخيل هذا الوليد وهو يتأرجح فوق الأمواج ، يعلو تارة ويهبط أخرى ، ثم يتخيله وهو يقع بين أيدى الذين يبحثون عنه جادين ، ليعجلوا به إلى الهلاك والدمار ، ولكن يد الله العلى الأعلى تتدخل فتجعل الخوف أمنا ، والعدو حارسا ، والموت حياة ، ثم توسع خيرها وبرها فتحمل هذا الوليد إلى الأم التى ظلت لحظاتها الماضية بلا استقرار وبلا فؤاد :

« فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٨٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

فهذه عودة بعد فزع وهلع . وهذا رجوع بعد تعرض لأخطار جسيمة وأهوال عظيمة وهذه طمأنينة على حق تعرض للضياع والهلاك، ونحن أولى بموسى من اليهود الصهاينة الذين آذوه وعصوه ، وفعلوا به الأفاعيل ، أليسوا هم الذين قال الله لهم : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » ؟ أليسوا هم الذى قال الله فيهم : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ؟ أليسوا هم الذين عصوا موسى حينما حرضهم على الجهاد ودعاهم إلى موقف الحق : « قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » .

أليسوا هم الذين قال فى شأنهم القرآن الكريم : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ونحن المسلمين نجل شأن موسى ونعظمه ونوقره ، فهو عندنا نبى من أنبياء الله ، ورسول من رسله ، ومن أولى العزم منهم ، وهو كليم الله جل وعلا ، ونحن مأمورون بالإيمان به وبما جاء به من عند ربه ، ونحن نتعبد بتلاوة آيات فى القرآن تمجد موسى وتنزهه . مثل قول الله تعالى عن موسى : « واصطنعتك لنفسى » . وقوله : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين » . وقوله : « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » . وقوله : « ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون » . وقوله : « قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى » .

فنحن إذن أولى بموسى من اليهود ، ونحن أولى منهم بتمجيد ذكره وتعطير مواريثه بالتنزيه والتقدير .

* * *

وإنا عائدون إلى فلسطين لأننا أخرجنا منها من قبل وعدنا إليها ؛ ولقد أقبل الصليبيون إقبال الوباء المنتشر ، فانتزعوا فلسطين من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أيدى المسلمين ، وظلوا فيها قرابة مئة عام ، ثم أقبل البطل الإسلامى الفاتح صلاح الدين الأيوبى ، واسترد فلسطين بجيش الإسلام والعروبة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وفلسطين المحتلة الآن لم يمض على احتلالها مائة سنة ولا خمسون عاما ، ولا ثلاثون ، وإنما مضى على احتلالها ثلاثة عشر عاما ، ولم تخمد النار ولم يهدأ الجرح بعد ، وإننا لنتحفز للعودة ولن ننام عنها ولن نتأخر فيها : « إنهم يَرَوْنَهُ بعيداً ونراه قريبا » .

وفى طبيعة أمتنا العربية المسلمة ألا تصبر على الضيم والهوان ، وألا تستنيم للذل والصغار ، وقد تضطر فتركب الشطط من أمرها حينا ، ولكنها ما تكاد تجد الثغرة للانطلاق والانعتاق والتحرر والتسامى حتى تنطلق ، فلا تلبث حتى تبلغ غايتها وتقطف ثمرتها ...

حتى شهداؤنا فى قبورهم يأبون علينا ذلك ، فهم يهتفون بنا من وراء الغيب أن اغسلوا العار وطهروا الديار ، وهذا هو الشاعر « باكثير » يقول على لسان أحد شهدائنا يخاطب مؤبنيه :

فيم احتشادكمو هذا ؟ لتأبينى ؟
أنتم أحق بتأبين الوغى دونى
فما الشهادة إلا ميتة كرمت
عن ميتة الداء أو عن ميتة الهون
إنى نزلت بدار الخلد فى رغد
بين الخمائل فيها والرياحين
فى جنة ما بها خوف ولا حزن
لولا رثاء لحال العرب يشجينى
قامت عليهم وحوش البغى قاطبة
من ثعلبان ومن دب وتنين
فما انتظاركم والحق حقكم
يعدى عليه ليعطى للملاعين
لا تطلبوه احتكاما فى مجامعهم
بل استردوه قسرا فى الميادين
والمسلمون جميعا من ورائكم
بأندونيسيا وباكستان والصين
لا تندبونى فإنى لم أمت ضرعا
فإن علتم علىّ الذل فابكونى
وإن تريدوا لوجه الحق تكرمتى
فابغوا الشهادة للدنيا وللدين
فابن الوليد على اليرموك يرقبكم
وليث أيوب يرعاكم بحطين [1] !!

* * *

وإننا عائدون إلى أرض أبينا وأبى العرب وأبى الأنبياء إبراهيم عليه وعليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ... سنعود إليها لكى نعيد « حساء الخليل » إلى بلد « الخليل » ، ونجعل هذا « الحساء » كما كان طعاماً للغادين والرائحين .

---

[١] كتاب المحفوظات الأزهرية ج ١ ص ١٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن لم ينله منهم دفعا لجوع أو مسغبة ، ناله بعثا للذكرى أو التماسا للبركة ...

وما قصة « حساء الخليل » ؟ .

إن له لقصة تروى ! ....

« الخليل » بلدة من بلاد فلسطين ، وفيها دفن إبراهيم عليه السلام ، وسميت البلدة باسمه ، وروى أن إبراهيم كان كريما مضيافا ، وقد يؤيد القرآن الكريم ذلك حين يقول : « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون » ؟ ! .

وروى أن إبراهيم كان لا يتناول طعاما إلا مع ضيف يشاركه ، فقدموا إليه الطعام يوما ، فطلب ضيفا يأكل معه ، فلم يجدوا له إلا شخصا كافرا ، وبينما هما على الطعام فهم إبراهيم أن ضيفه كافر ، فلم يطق الطعام معه وطرده ، فأوحى الله إليه ما معناه : يا إبراهيم ، أنا قد احتملت هذا الكافر فى كونى طيلة ما مضى من عمره ، أفلا تحتمله أنت ساعة من الزمان على مائدتك ؟ ! .

وتقول القصة إن إبراهيم بحث عن الكافر حتى أعاده ، وقص عليه ما أوحى إليه ، فأعجب الرجل بدين إبراهيم ، وسارع بالدخول فيه ! ...

ولما كان إبراهيم مشهورا بالكرم والجود فقد حرص أبناء بلدته « الخليل » منذ عهد بعيد على صنع نوع من « الحساء » يسمونه « حساء إبراهيم » ، ويقدمون هذا الطعام للغادى والرائح ، وللعاجزين والقادرين على السواء ، فينال الناس قدراً منه إثارة للذكرى والتماسا للبركة ؛ ولقد زرت « الخليل » مرة ومرة ، ورأيت الحساء بعد النكبة ما زال يقدم ؛ ولكن أى حساء ؟ ..

إنه حساء الفقراء واللاجئين يقدم للمشردين حساء هزيل غير دسم ، يقبل عليه اللاجئون ويقفون صفوفا فى انتظار غرفة أو غرفتين منه ، لا تسمن ولا تغنى من جوع . فنحن يجب أن نعود لنعيد « حساء إبراهيم الخليل » كما كان شهيا دسما مغذيا ، ينال منه الأهلون ، وينالون منه القادمون ، وينال منه المرتحلون ، ويمتد به تاريخ السخاء والعطاء مزهراً ناضراً فى هذه الديار .

وإننا لعائدون إلى فلسطين لنمحو تلك السبة التى لا مثيل لها فى التاريخ ، سبة التشريد لهؤلاء اللاجئين الذين أخذ الشعراء يقسمون بجوعهم وعريهم ، فيقول أحدهم :

قسما بجوع اللاجئين وعرى سكان الخيام
لنصارعن الموت من أجل الوصول إلى المرام

وإنى لأذكر الآن اليوم السادس من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٣ حيث كنا فى المؤتمر الإسلامى بالقدس من أجل فلسطين ، وفى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا اليوم زرنا قرية « أدنة » الفلسطينية ، وهي من قرى الخطوط الأمامية ، على الحدود الوهمية التي يسمونها حدود إسرائيل ! .

وهناك جلسنا والشمس شاحبة اللون تدنو من الغروب ، وكأنها بشحوبها ودنوها شيئا فشيئا من المغيب تنفض يدها من تراب رمس سوته منذ قليل . وكان جلوسنا في مدرسة قرية « أدنة » ؛ واجتمع أهلوها ليقولوا ويسمعوا ، وتقدم صبي من تلاميذ المدرسة ، وخلفه زملاؤه في صفوف ، وأخذ الصبي ينشد نشيداً يبدأ بقـــول الشاعر :

« قسما بجموع اللاجئين وعرى سكان الخيام »

وما كدت أسمع هذا المقطع حتى انخرطت في البكاء ، وانفرط عقد التماسك ، فلم أستطع مقاومة الدموع ، فقد تجسم أمامي بؤس هؤلاء الصبيان وشقاؤهم بضياع بلادهم ، وتذكرت أولادي ، وتصورت أنهم قد نالهم ما نال هؤلاء ، « وكلنا في الهم شرق » كما قال شوقي ، ورددت بيني وبين نفسي قـول العزيز المهيمن : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً » .

وهنا هتفت لنفسي : إن القول السديد هنا هو أن نردد في عزم وتصميم : إننا عائدون إلى فلسطين ، إذ يجب علينا أن نعود .

إننا عائدون ... نقولها بصيغة الجمع ، لأن القضية قضيتنا جميعاً ، لا قضية أبناء فلسطين وحدهم ، ونحن بوحي عقيدتنا ودِيننا أمة واحدة : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « إنما المؤمنون إخوة » ، « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وسنعود إلى فلسطين ، وهناك نصلي « صلاة الفتح » ، فقد روى ابن القيم في « زاد المعاد »[1] ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى ثماني ركعات من أجل فتح مكة . وذكر ابن القيم أن سنة الفتح أن تصلى عنده ثماني ركعات ، وكان الأمراء يسمونها « صلاة الفتح » ، وذكر الطبري في تاريخه عن الشعبي قال : لما فتح خالد بن الوليد « الحيرة » صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لم يسلم فيهن ثم انصرف ...

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا ، ولا تطل علينا أمداً . واجعلنا صادقين محقين حين نقول : إننا عائدون ! ...

أحمد الشرباصي

(١) زاد المعاد ، ج ١ : ص ٩٣

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

— ٢ —

الاستشهاد فى آراء ابن خلدون :

ذلك هو الغرض من المقدمة وتلك هى مسائلها وهذا هو أثرها فى تاريخ ابن خلدون وقد سبق أن أشرنا إلى أنه مؤسس علم الاجتماع ومؤسس علم التاريخ ومؤسس مدرسة تفسير التاريخ تفسيراً اقتصادياً ، ونحن قد قدمناه على أنه مؤسس عليه ومبتكر مباحثه . بل هو يخص نفسه بذلك فيقول : « إن الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أعثرَ عليه البحث وأدى إليه الغوص [1] » فإلى أى حد يعتبر مبتكراً . وما أثر آراء السابقين عليه فيما كتب .

لقد أحس ابن خلدون بأن دعواه هذه لا بد أن تعترضها مثل تلك الأسئلة فتولى الإجابة عنها قال : « هذا الفن الذى لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجرى بالعرض لأهل العلوم فى براهين علومهم وهى من جنس مسائله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء فى إثبات النبوة من أن البشر متعاونون فى وجودهم فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر فى أصول الفقه فى باب إثبات اللغات أن الناس محتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع [1] » .

ويذكر ابن خلدون أسماء الذين سبقوه فى الإشارة إلى جزئيات هذا العلم الجديد فيشير إلى الموبذان وأنو شروان ثم يقول : « إن فى الكتاب المنسوب لأرسطو فى السياسة ، المتداول بين الناس جزءا صالحاً منه إلا أنه غير مستوف ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره » .

وقد أشار ابن خلدون إلى أن فى هذا الكتاب بعض حِكم عن تطورات الدولة مصوغة فى قالب الحلقات المفرغة ...

« وكذلك نجد فى كلام ابن المقفع وما يستطرد فى رسائله من ذكر السياسات ـ

---

[١] مقدمة ابن خلدون ص ١٣٦

[١] المقدمة ص ٣٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه إنما يجليها فى الذكر على منحى الخطابة فى أسلوب الترسل وبلاغة الكلام ...[١] » .

« وكذلك حوم القاضى أبو بكر الطرطوشى فى كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا أوضح الأدلة إنما يبوب الباب للمسألة ثم يستكثر من الأحاديث والآثار وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس ... والهند ... وغيرهم من أكابر الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا ، إنما هو نقل وتركيب شبيه بالمواعظ وكأنه حوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاما ، وأعثرنا على علم جعلنا بين بكرة وجهينة خبره ، فإن كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيق من الله وهداية ، وإن فاتنى شىء فى إحصائه واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق إصلاحه ولى الفضل لأنى نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق والله يهدى بنوره من يشاء[٢] .

وهناك غير الطرطوشى : الفارابى ، أحمد ابن عبد الله ، ابن مسكويه ، الماوردى ، الطغطقى ، الغزالى ، أبو الفضل الدمشقى . وقد تناول هؤلاء طرفا مما تناوله ابن خلدون فى بحثه ، فنجد الفارابى يتحدث فى كتابه عن حاجة الإنسان إلى الاجتماع وعن نشأة القرى والمدن ، ونجد أحمد بن عبد الله يطرق موضوعات تقسيم العلوم والصنائع وتأثير طبيعة البلدان فى الأخلاق . ونجد ابن مسكويه يتحدث عن التضامن ، والغزالى عن النفوذ والجاه وأبو يوسف عن موضوع الخراج وغير هؤلاء كثير .

إلا أن ذلك كله لا يقلل من ابتكار ابن خلدون ، فمن تقدم ذكرهم تناولوا جزئيات من الموضوع الواسع . أما ابن خلدون فقد أراد أن يكون من الجزئيات كلا ومن المتفرقات نظاما متماسكا (Systeme) . وقد امتاز كذلك بتجاربه العملية فى سياسة الدولة وهو مالم يتح لكثير منهم . وآية ذلك أنك تجد الطرطوشى مثلا يتكلم عن مسلك السلطان نحو الرعية ونحو الأموال العامة ونحو الجند وعن الظلم وعواقبه وهى موضوعات تكلم عنها ابن خلدون . ولكن طريقة تناول كل من المؤلفين مختلفة عن طريقة الآخر ، فالطرطوشى يجتهد فى تأييد أقواله بالحكم والأقوال المأثورة . بينما يلجأ ابن خلدون

(١، ٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى الطريقة العلمية الحديثة وهى الاستنباط والاستقراء من الوقائع والتجارب[1] .

ومجمل ما تقدم أن ابن خلدون لم يكن مبالغا فيما ادعاه لنفسه وهو رجل يعرف قيمة نفسه ويجاهر بها إلى جانب مظهر التواضع الذى يتخذه شعاراً . حقيقة أن تحصيله ممن سبقه كان له تأثير فيما أنتج إلا أن الابتكار فى كتابته واضح لا نزاع فيه على أنه يا حبذا لو أن كتب العلماء المشار إليهم وكتب غيرهم درست بعناية على ضوء البحث العلمى الحديث إذاً لكانت المقارنة أسهل طريقاً وأثبت نتيجة .

وإذا كان هذا موقف ابن خلدون بالنسبة لمن سبقه فالأمر على خلاف ذلك بالنسبة لمن تلاه . ونحن نلمس تأثير مقدمته وتاريخه فى المقريزى والقلقشندى . على أن أثره الأكبر يظهر فى كتاب المقريزى « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ونجد المقريزى فى هذا الكتاب على غرار ابن خلدون ينسب بؤس القطر المصرى إلى :

١ — الفوضى السياسية وانتشار الرشوة وانتقال الحكم إلى أيدى الجهال .

٢ — الغلاء المفرط المجحف بالسكان .

٣ — ذيوع النقد المنحط .

وفى هذه الفصول شبه كبير بما كتبه ابن خلدون عن الظلم والعمران والغلاء والسكة وانتشار الغش فى النقود . ولا غرو فالمقريزى تلميذ ابن خلدون وقد أخذ عنه حين قدومه إلى مصر .

تقويم ابن خلدون :

هذا هو المكان الممتاز الذى يشغله ابن خلدون بين من سبقه ومن تلاه من علماء الحضارة الإسلامية . ولا يرجع ذلك فقط إلى طرافة ما عالجه من المواضيع وسبقه الغير فيها وإنما تستند شهرته إلى طريقة معالجته للموضوع كذلك . فأسلوبه قوى لا يتعمد فيه السجع وموضوعاته حسنة التبويب منطقية التقسيم تجد البحث يتسلسل من سابقه . ومع ذلك يتجنب الاستطراد والحشو ، كل ذلك يطبعه طابع علمى متين[1] . وهو يتجلى على الخصوص فى إدراكه لقانون السببية ونظرية النشوء والارتقاء ولدرجة الترابط بين العلوم الاجتماعية المختلفة .

---

(1) "Le caractère principal de l'œuvre d'Ibn Khaldoun est qu'il a donné resolument le pas à l'observation sur le raisonnement abstrait ..."

G. Bouthoul, la philosophie sociale d'Ibn Khaldoun. P. 83.

(1) Unlike some of his brilliant successors he shows a remarkable freedom from bias, innuendo, carping criticism and extravagant praise"

N. Schmidt p. 15.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما إدراكه لترابط العلوم الاجتماعية المختلفة فيشهد عليه فكرة المقدمة نفسها فهي مجموعة مباحث اقتصادية واجتماعية ومالية وسياسية وتهذيبية وأخلاقية ... والاتجاه الحديث يتجه إلى إظهار الوحدة والترابط بين هذه العلوم الاجتماعية المختلفة ... وبعد ما كانت النزعة إلى تأكيد استقلال كل علم أخذت هذه النزعة تزول وتحل محلها فكرة الاتحاد والارتباط بين هذه العلوم المختلفة ذات الموضوع الواحد وقد نظر إليه من زوايا مختلفة الا وهو العمران البشري.

وأما إدراكه لقانون السببية فواضح في كثير من أقواله من ذلك قوله: «إنا نشاهد هذا العالم بما فيه من مخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والأحكام وربط الأسباب بالمسببات واتصال الأكوان بالأكوان واستحالة بعض الموجودات إلى بعض [1]».

وقد أدرك «أن تزاحم الظواهر أو تعاقبها والبحث عن المقنع في تباينها أو تناسبها[2]»: يؤدي إلى كشف القوانين الخاصة بها وقوانين تزاحم الظواهر هي قوانين السكون وقوانين تعاقب الظواهر هي قوانين الحركة.

كذلك لاحظ ابن خلدون عناصر نظرية النشوء والارتقاء الأساسية فقد سجل «تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ... .

وأحوال الأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال [1]».

آراء النقد الغربي في ابن خلدون:

لقد تبوأ ابن خلدون مكانا رفيعا في نظر علماء الغرب. فاعتبره هؤلاء السباق الأول إلى علم الاجتماع وعلم التاريخ وأطلقوا عليه الفيلسوف والمؤرخ العظيم، وأعظم رجال المدنية العربية.

وأجمع فريق منهم [2] على أن ابن خلدون هو مؤسس فلسفة التاريخ كما أنه سبق دور كهيم (Durkheim) وغيره من مؤسسي علم الاجتماع الحديث بخمسمائة سنة. وفي المقدمة التي كتبها لتاريخه الكبير وضع فلسفة للتاريخ تعتبر من غير شك أعظم ما وضعه من نوعها أي عقل في أي زمان أو مكان.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧.

(2) Charles Issawi: Ibn Khaldoun. انظر أيضا Toynbee: Astudy of History III, 322. Khaldoun, An Arab philosophy of history, wisdom of the East, John Murray.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الأول ص ٩١ في حقيقة النبوة.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقول الأستاذ جمبلوفتز « لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كونت بل قبل فيكو الذى أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعى أوروبى جاء مسلم تقى فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وأتى فى هذا الموضوع بآراء عميقة وما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع » [١] .

ويقول دى بوير « لقد حاول ابن خلدون أن يؤسس نظاما فلسفيا جديدا لم يجل بذهن أرسطو ، وأن يجعل من التاريخ نظاما وهو يقول لنا : إن هذا النظام إنما هو الحياة الاجتماعية ، ومادة المجتمع كلها ، وثقافته الفكرية ، ومهمته هى أن يبنى كيف يعمل الناس ، وكيف يحصلون أقواتهم ، وكيف تتقدم الحضارة من البداية الخشنة إلى الترف الناعم ، وتزدهر ثم تضمحل وتنقضى » .

ثم يقول دى بوير : إن ابن خلدون هو بلا ريب « أول من حاول أن يشرح بإفاضة تطور المجتمع وتقدمه لأسباب وعلل معينة ، وأن يعرف ظروف الجنس والإقليم ووسائل الإنتاج وما إليها وأثرها فى تكوين ذهن الإنسان وعاطفته فى تكوين المجتمع . وهو يرى فى سير الحضارة تناسقا داخليا منظما » [٢] .

ويقول الأستاذ كلوزيد إنه « من حيث الجنس الذى انحدر منه والبلد الذى ولد فيه والحضارة التى ينتمى إليها - يمكن أن يوضع فى صف عظماء الرجال الذين يتبوءون فى التاريخ أسمى مكان » [١] .

ثم يقول الأستاذ كلوزيد فى مؤلفه : « إن كانت نظريات ابن خلدون عن حياة المجتمع تجعله فى مقدمة فلاسفة التاريخ ، فإن فهمه للدور الذى يؤديه العمل والملكية والأجور يحله فى مقدمة علماء الاقتصاد المحدثين » .

ويرى الأستاذ شميدت أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع ويتفق مع جمبلوفتز فى أن الاجتماع وجد قبل أوجست كونت بعصور وأن ابن خلدون ذهب فى تفكيره إلى حدود لم يذهب إليها كونت ، وأنه فيما يعالج من خواص العادة والاقليم والأرض والغـــذاء قد سبق مونتسكيو وسبنسر وغيرهم [٢] .

---

(1) L. Gumplowicz. Ibn Khajdoun ein arabischer soziologe des 14 Jahrhunderts.

نقلا عن الأستاذ محمد عبدالله عنان ابن خلدون ص ٥٢

[١] نقلا عن المؤلف السابق ص ١٠٠ .

De Bœr. Geschichte der philoosphie im Islam (1901).

(2) S. Colosio-Contribution à l'étude d'Ibn Khaldoun. Revue du Monde Musulman XXVI, 1941.

(البقية على صفحة ٧٥٨)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وليس التقى فى الدين مقصورة على صلاة مصل أو على صوم صيم
ولكنها ترك القبيح وفعل ما يؤدى من الحسنى إلى نيل مغنم
فتقوى الفتى مسعاه فى طلب العلى وما خصت التقوى بترك المحرم
فهل مثل هذا الأمر بالأولى النهى يكون عثاراً فى طريق التقدم
وإن لم يكن هذا إلى المجد سلما فأى ارتقاء بعد أم أى سلم
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم رويداً فقد قارفتم كل مأثم
فلا تنكروا شمس الحقيقة إنها لأظهر من هذا الحديث المرجم
علونا وكنتم سافلين فلم نكن لنبدى إليكم جفوة المتهكم
ولم نترك الحسنى أوان جدا لكم وتلك لعمرى شيمة المتحلم
فلما استدار الدهر بالأمر نحوكم كشفتم لنا عن منظر متجهم
فلا تأمنوا الأيام إن صروفها كما هى إذ أودت بعاد وجرهم

معروف الرصافى

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٩)

وقد بلغ من إعجاب الأستاذ كاوزبو بابن خلدون أن قال مقارنا إياه بمكيافلى : « إذا كان رجل فلورنسا الكبير قد علمنا كيف يساس الناس فإن طريقته فى ذلك إنما هى طريقة الدبلوماسى والسياسى الحاذق بينما نرى أن العالم التونسى قد نفذ إلى الظواهر الاجتماعية ناظرا إليها نظرة الاقتصادى والفيلسوف المتعمق فسمح له ذلك بأن يعالج موضوعه بسعة أفق وروح نقد لم يعهد لهما نظير فى زمنه [1] » .

وإننا ندعو رجال العلم أن ينهضوا لتنفض عن نفائسنا الغبار لتتخذ مكانها فى مجال العلوم والمعارف ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تحقيق هذا الأمل العظيم .

محمد محيى الدين المصرى

(1) S. Colosio-Revue du Monde Musulman. XXVI. 1914. p. 319.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة

للأستاذ عباس طه

من حق الأمة الإسلامية أن تزهى بعراقتها وأن تتيه بمبادئها السامية ، فوق ما لها من تراث هو أبقى على الزمن الباقى من الزمن ، وأخلد فى صحيفة الأيام أثراً ، ذلك هو شريعتها الخالدة بالقياس إلى الشرائع الأخرى السابقة وهى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الأعظم . فكانت للناس مثالا يحتذى ، وقبسا يستضاء به فى الظلم الحوالك ، فهى شريعة حافلة بالعظائم معرقة فى المبادىء والمكارم جد حريصة على صيانة الحقوق ، والآداب ، والأخلاق ، عرفت الإنسان مدى واجباته وحقوقه فى دائرة الحق الطبيعى ، والنظام الحكيم .

وقد أسبغ الله على شريعته ففازت بأرقى أنواع الكمال : قال جل من قائل : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . فكان محمد صلى الله عليه وسلم أول قاض قضى بين الناس بهذا القانون الكامل بقوله تعالى : « فاحكم بينهم بما أنزل الله » ، وقوله : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يقضى إما بنص كلام الله الذى ينزل به الوحى ، أو باجتهاده فيما لم يكن فيه نص ، وقام مقامه بعد انتقاله الخلفاء الراشدون ، فاجتهدوا فى تعرف الأمور التى تعرض عليهم ، فكانوا يرجعون إلى كلام الله ، فإن لم يجدوا نصا اتجهوا إلى المأثور عن الرسول صلوات الله عليه ، فإن لم يجدوا حكموا الآراء وأجهدوا العقول حتى يصلوا للحق وبه يحكمون .

من هذا تبين أن المصادر للفقه الإسلامى كانت أربعة : الكتاب ، والسنة ، والقياس الفقهى وهو تطبيق حكم حالة منصوص عليها على واقعة غير منصوص عليها ، والمصدر الرابع الإجماع لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تجتمع أمتى على ضلالة) . ولما كان باب الفهم واسعا رجع لما يتجه له كل مجتهد من الفهم لاحتمال الألفاظ لأكثر من معنى واحد كما يرجع إلى الاختلاف فى رواية حديث ، فمنهم من يرى أن الشواهد كثيرة على صحته ، ومنهم من يرى العكس ، غير أن اختلافهم لم يكن ناشئا عن تعصب ولا تعسف بل كان فى سبيل الله والحقيقة ، وتحرى الصواب ، والوصول إلى قانون شرعى يطبق على المجتمع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبسبب ذلك اتسعت دائرة البحث العلمي والفقهي ، وانطلق المسلمون في كل ناحية من نواحي الأرض لنشر الدعوة الإسلامية ، واستنباط الآراء الفقهية .

ولقد قام كثير من المشتغلين من المصريين بالعلوم القانونية بأوربا بمباحث قيمة في الشريعة الإسلامية كانت سببا في وقوف الكثير من علماء الغرب على نظمها وأحكامها ودلت على أنها أخصب مصدر للقانون المقارن. فإذا نحن أرسلنا نظرة إلى الشرائع الأخرى كاليونانية والرومانية نجد المدى بعيدا شاسعا بين الطرفين .

وعن الثانية يقول الأستاذ الأمريكي شيرمان: «إن الفضل في عودة المدنية إلى أوربا بعد طوفان العصور المظلمة راجع إلى القانون الروماني» . وإنا لنورد طرفا منها لنتبين الفروق بينها وبين الشريعة الإسلامية .

كانت شريعة الرومان أول أمرها عبارة عن تقاليد مبنية على معتقدات كانت أساسا لنظام الملك ، وكان الملك هو الرئيس الديني المشرع وهو القاضي الذي يحكم طبقا لهوى نفسه وإن لم يتفق حكمه مع العدالة وكان من يخالف حكمه يعتبر معرضا لسخط الآلهة وكانت طرق الادعاء مبنية على أساليب غريبة معقدة شاقة وإشارات وعبارات معينة أقل هفوة فيها كانت تضيع الحق على صاحبه .

ولبيان ذلك نسوق المثل الذي أورده (جيوس) ، وهو يتلخص في أن شخصا قطع أشجارا لجاره بغير حق فذهب الرجل لرجال الدين يستلهمهم صورة الدعوى فأملوه الصورة الآتية: (أقول إن المدعى عليه قطع أشجاري بغير حق) ولكن المدعي عند ما ذهب للحاكم القضائي وبدأ يلقيها لم يقل قطع أشجاري ولكنه قال قطع كروما ظنا منه أن التخصيص أفضل من التعميم فترتب على هذا التغيير اللفظي سقوط الدعوى وضياع الحق .

دع هذا وانظر للشريعة الإسلامية وما فيها من اليسر تجد الرسول عليه الصلاة والسلام يقول (إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع . فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقضي له قطعة من نار) أليس في هذه المقارنة البسيطة ، ما يدل دلالة صريحة على أن الشريعة الإسلامية شريعة حق وعدل وإنصاف وأنها تعنى بإحقاق الحق لذاته ولا تعنى بالأعراض ؟ .

خذ مثلا آخر عن الشهود وما كانوا يلاقونه من مشقة وتعقيد ، كان الخصوم يستصحبون أصدقاءهم وأقاربهم لتأدية الشهادة شفهيا طبقا لنصوص معروفة وشكليات مخصوصة ، فإذا امتنع شاهد عن تأدية الشهادة لنسيان طرأ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عليه لطول عهد الحادثة ، أو لنسيان بعض كلمات الصيغة التي يمليها عليه بعض رجال الدين فإن الشاهد يتعرض للجزاء ، ذلك الجزاء هو أن يذهب من طلبه للشهادة أمام داره ويلقى بعبارات هي في الواقع لعنات وخطورة هذه اللعنات تخول للشاهد إبطال ذلك السباب إذا استطاع أن يثبت أنه لم يشهد زوراً أو لم ير شيئاً يشهد عليه .

وكان عندهم أن للدائن حق الاستيلاء على مدينه إن لم يدفع الدين أو لم يقم كفيلا للسداد وللدائن أن يبيع مدينه كالرقيق ، وأن يسترده إن سرق منه .

وكان عندهم أن السارق إن ضبط متلبسا فللمسروق منه أن يبيع السارق كالعبد .

شريعة قاسية في أحكامها عنيفة في مبادئها يقتل فيها المدين إن لم يسددما عليه من الدين ، كما أن للمجني عليه أن يقتص من خصمه بيده وكان عندهم أن من يدعي بدين على آخر ولم يثبته فللمدعى عليه أن يدعوه للمبارزة ويثبت الحق في ذمة المغلوب . وكانت عقوبة الموت تنفذ شنقا أو حرقا أو بفصل الرأس عن الجسد أو بالجلد أو بالإلقاء من صخرة .

لعل معترضا يقول : إن هذه الإجراءات الخرافية والمنافية للعدالة كانت في بدء حياة الرومان ، وقد تحسنت حالتهم ووصلت بعد تطورها إلى الحالة العظيمة التي جعلت علماء الغرب يتغنون بذكرها - ونحن نقول إن الشريعة الإسلامية بدأت متمشية مع العدالة جنبا لجنب ، وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم في قوم أشداء مشركين طغاة ، متجبرين متكبرين ، فلما أودع الله فيه من صميم الحكمة ولباب الحق وبلاغة الحجة رفع علم الإنصاف والعدل ، فلا يرى في الشريعة الإسلامية من مبدئها للآن خرافة ، ولا نرى فيها عوجا ، وستظل كذلك ليوم الساعة إن شاء الله .

إذن فلا مراء في أن الشريعة الإسلامية تساير كل زمن ، وتواكب كل جيل ، وتفتح صفحاتها . إما بالحسنات الطيبات والمثلات الرفيعات . وإما بالسيئات والموبقات للأمم والأفراد والجماعات . ومعناه أن الشريعة الإسلامية بما حملت في أطوائها من خلود غير مصحوب بجمود تفتح صفحاتها للمحسنين فتجزيهم على ما قدموا من مثلات وما أسلفوا من عبر وعظات . ثم تفتح صحيفة أخرى لمن أساء فهمها وخرج على تقاليدها وتعمد مجاوزة حدودها والتنائي عن مبادئها الفاضلة وأحكامها المائلة بمعاقبتهم وأخذهم بالجزاء الصارم جزاء وفاقا . فالشريعة ذات ناحيتين : ناحية ثواب . وناحية عقاب ، وذات أفقين : أفق طيب مرىء يسع الأبرار بمثلاته وطيباته وأفق يأخذ على يد الفجار المستهترين الذين خرجوا على حدود الله وجهلوا محاب الله ومراضيه ، فإما نعيم مقيم ، وإما جحيم أليم والعاقبة للمتقين .

عباسي ط

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

مراكش مستقلة - بقلم: روم لاندو

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذ روم لاندو هو أستاذ الدراسات الإسلامية ودراسات إفريقية الشمالية فى جامعة المحيط الهادى بمدينة كليفورنيا . وهو سائح باحث قديم عهد بالبحث فى مسائل الديانة عامة والديانة الإسلامية خاصة ، وله مؤلفات كثيرة فى هذه المسائل على تعدد أبوابها ، وبعضها مقصور على البحث فى الحياة الإسلامية كما عرفها بين المسلمين من أبناء المغربين الأدنى والأقصى حيث قضى سنوات من حياته ، ولا يزال يقضى ما اتسع له من الوقت فى إحدى حواضرها .

وفضيلة هذا المؤلف فى كتاباته عن المسلمين أنه يشغل نفسه بالتفتيش عن الجانب السليم أو جانب الأمل من الحياة الدينية والدنيوية بينهم . وليس كل شغلاته بالتفتيش عن الجوانب التى تبعث التشاؤم من الناحية الإسلامية وتبعث التفاؤل من الناحية الأخرى التى تقابلها : ناحية أولئك الذين يتربصون بالإسلام الدوائر من كتاب التبشير والاستعمار .

وعلى سنته هذه جرى فى الكتابة عن حالة المسلم العصرى المثقف ، وغير المثقف ، فى البلاد المراكشية بعد استقلالها ، وبخاصة فيما يتراءى للمراقبين الأوربيين الذين يزورون البلاد وينظرون إلى أثر الحضارة والحرية على قوة العقيدة الدينية بين الشبان المتعلمين .

وقد كتب أحد السائحين الإنجليز مقالا زعم فيه أن طوالع الأحوال كما رآها أخيراً تدعو إلى اليقين بانقضاض البلاد عن الدين وإقبالها على المراسم الأوربية بعد سنوات قليلة ، فيما يتعلق بنظم الحكم ونظم المعيشة التى تتصل بالمعاملات الأجنبية ، سياسية كانت أو اجتماعية .

فكتب الأستاذ لاندو يرد على ذلك السائح بما وعاه من مشاهداته الكثيرة ، ومنها أحاديث المتعلمين فى وليمة بمدينة مراكش حضرها وذكر أن الحديث على المائدة أوشك أن يدور على موضوع واحد وهو موضوع التصوف ، ثم قال :

« شجعنى موضوع هذا الحديث على إثارة السؤال عن حالة الإسلام فى مراكش المستقلة ... فانبعثت كلها فى حماسة عظيمة وكاد الحاضرون أن ينطلقوا بالكلام معا دفعة واحدة . ثم تكلم الحاكم نفسه - وهو أوفرهم نصيبا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من التربية الأوربية ـ فأفضى بما يعتبر الرأى الفصل المتفق عليه بين الحاضرين ؛ ومؤداه أن السائح الأجنبى يستحيل عليه أن ينفذ إلى حقيقة الحياة الدينية الإسلامية . فإن الشاب المراكشى قد يشرب ويطلق لسانه بالحديث فى مظاهر المعيشة الأوربية ، ولكنه إنما يفعل ذلك حبا للظهور أو لاختيار نوع غريب من المعيشة . وقد يتخلف عن الذهاب إلى المسجد ولكنه يؤدى الصلوات فى مواقيتها ويدين بالمهم الأساسى من الفرائض الدينية ، وإذا احتاج إلى الهداية الروحية فى أزمات ضميره فإنما يتجه بطلب هذه الهداية إلى القرآن . ولا تزال علاقاته بأبويه وبأهله وبما يؤمن به من فضيلة أو رذيلة هى تلك العلاقات التى يستوحيها من الآداب الإسلامية . وربما خطر له أن يوقع فى روع صاحبه الأوربى أنه رجل (متقدم) يتخلى عن القديم ليأخذ بالجديد ، ولكنه ضرب من الدفاع عن الذات أمام الغريب . إذ هو على يقين أن هذا الغريب يجهل حقيقة الإسلام ويعتبره فى عرفه مرادفا للرجعية ... على أن الغرباء الأجانب إنما يسمعون هذه الأحاديث من فئة قليلة بين الذين يقال عنهم إنهم فكريون Intellectuels ويجوز أن يكون بعضهم قد تحول عن ديانته ليدين بالمذاهب الهدامة . إلا أن هؤلاء الفكريين المزعومين لا يمثلون أحداً فى الأمة المراكشية غير أنفسهم . فإذا أردت حقا أن تعرفنا ـ كما نحن ـ فإنما تعرفنا هذه المعرفة بمشاركتنا فى حياتنا اليومية ... »

وقد سرد الأستاذ لاندو فى الكتاب أحاديث شتى سمعها من الشبان والشابات ، وروى جملة من المشاهدات التى مر بها اتفاقا فى مدن العواصم وقرى الريف ، ومن أعجبها عنده أنه كان يتحدث إلى فتاة متعلمة تحسن الكلام بالفرنسية كإحدى الفرنسيات ، وكانت تشترك فى أحاديث المجلس وهى مقنعة بقناعها التقليدى فسألها : كيف توفقين بين عادة البرقع وهذه الآراء العصرية التى تجهرين بها . فكان جوابها أن الإنسان لا يعتقد ما يعتقده بملابسه . وأنها تستطيع أن ترفع القناع ولكنها لا تحب أن تؤلم أباها وأمها بعمل لا يستريحان إليه . وحكى أنه كان يركب أحيانا إلى منازه المدن فيرى الفتى الناشئ ينزل عن مطيته فى موعد صلاة المغرب لينتحى جانبا ويؤدى صلاته قبل مواصلة السفر إلى وجهته ، وحكى عن طائفة الأتباع والخدم الذين عرفهم فى بيته أو فى بيوت أصحابه أنهم يعاشرون الأجانب زمنا ولكنهم يقومون بفرائضهم ولا يشربون الخمر أو يأكلون المحرمات .

ولم يستطع الرجل أن يحكم على الذين حادثهم واختبر شئونهم من أبناء البلاد بحكم واحد يشملهم جميعا ، ولكنه استطاع أن يقول أن الأوربيين المتعجلين يخطئون الظن خطأ بعيداً إذا اغتروا بظواهر الفرنجة وحسبوها علامة على المروق من العقيدة . فإن الظواهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خداعة فى مسائل الدين التى تنطوى عليها الضمائر خلال عصور المحنة وليست هى بالعلامة الصادقة على الشعور الخفى الذى لا يدركه صاحبه أحيانا . فضلا عن الغرباء عنه من أبناء وطنه أو أبناء الأوطان الأجنبية .

فربما شوهدت الغيرة على الإسلام بين أناس يهملون الشعائر ويخالفون الفرائض ولا يحرصون على التقاليد ، وربما كانت الغيرة الوطنية التى تحتدم فى نفوس الكثيرين من الساسة المتطرفين قبسا من غيرة المسلم على حماه وعلى تاريخه القديم ، ولا يجوز أن يفهم الأوربى أن المسلم يتخلى عن نسبته إلى الإسلام إذا لاح عليه أنه قد تخلى عن بعض الشعائر والتقاليد .

والذى نحب أن نزيده على تعليقات الأستاذ لاندو أن أمثال هذه الظنون التى تخامر بعض الكتاب عن الإسلام قد سلفت فى الأزمنة الخالية غير مرة منذ أوائل الدولة الأموية إلى هذه الأعوام الأخيرة ... وقد خفيت على مؤرخى القرون الخالية دلالتها العارضة ودلالتها الدائمة . فخطر لهم فى كل مرة أنها نذير بزوال الدين أو عرض من أعراض النهاية التى يقدرونها لكل عقيدة كما يقدرونها لكل حضارة أو لكل نظام من نظم الاجتماع ، ولو أن المتأخرين استفادوا من عبر الماضى لاجتنبوا الخطأ فى رأى واحد بين سائر الآراء وهو خطأ الظن بأنها « الشيخوخة » قد عرضت للدين نفسه وآذنت بانتهاء حياة الإسلام إلى ما تنتهى إليه كل حياة . فإن العرض الواحد لا يكون من أعراض الشيخوخة عشر مرات .

حدث فى أواخر أيام الخلفاء الراشدين أن المسلمين الذين انتقلوا إلى البلاد المفتوحة فتنوا بمحنة الحضارات المنحلة ، وقارفوا بعض منكراتها وهجروا بعض عاداتهم فخيل إلى أعدائهم كما خيل إلى بعض الغلاة منهم أنها نذر الضياع على قول فريق ونذر القيامة على قول آخرين ، وجاء « رد الفعل » كما نقول فى اصطلاح هذه الأيام غلوا من الخوارج فى التشديد وإمعانا من الأعداء فى الدس الخفى أو فى العدوان الظاهر ، ثم انقضت الدولة كلها - وهى أول دولة إسلامية - وقامت بعدها دولة العباسيين على أساس من الغيرة للدين والنخوة لبيت النبوة .

وتكررت هذه الظاهرة على مثال أخطر وأكبر فى إبان دولة العباسيين ، فإن احتكاك العالم الإسلامى بعالم الحضارة الرومية وعالم الحضارات الشرقية المنحلة قد أفشى بين المسلمين من جميع الأجناس بدعا كهذه البدع التى يذكرها السائحون المعاصرون ويرد عليهم الأستاذ لاندو بما أجلناه ... كان الرجل منهم يتظرف بالزندقة ليقال عنه إنه من المتقدمين على اصطلاحنا فى هذه السنين ، وكان الفكريون المزعومون يلقى بعضهم بعضا بالسؤال عما يعتقده مذهبا له كأنما كانت عقائد المذاهب ضربة لازب مع العقيدة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلامية العامة كما قال ميسرة بن حسان السمرى يسأل ابن أبى الشيخ :

دخلتنا الشكوك يا ابن أبى شيخ
بأى الأديان أنت تدين
وإلى أيها تميل يا ابن أبى جعفر
كم ذا الهوى وذا التلوين ؟

وكان « التظرف » يقضى على أدعيائه أن يخلطوا الهزل بالجد فى دعاوى المجون والحكمة وشواغل الأدب وغير الأدب كما قال ابن الرومى فى صاحبه أبى على البصرى:

قولا لطوط أبى على
بصرّينا الشاعر المنجم
المتصدر المضحك المغنى
الكاتب الحاسب المعلم
الفيلسوف العظيم شأنا
العائف القائف المعزم
الماهن الكاهن المعادى
فى نصر إبليس كل مسلم

وظن « السائحون » قديما من قبيل السائحين حديثا أن العالم الإسلامى مرق من الإسلام وانطفأت غيرة الإيمان على حوزته من قلوب المسلمين ، ولكن العالم الإسلامى — هذا بعينه — قد وقف بعد ذلك بحقبة قصيرة فى وجه الغارة الصليبية وجاء بشعوبه من أقصى المشرق لرد الغارة بمثلها إلى قلب القارة الأوربية .

ولما مضت على هؤلاء المسلمين فى شرق القارة الأوربية بضعة قرون خيل إلى بقايا الصليبيين أنهم قد « نضجوا » للتبشير وقد أصبحوا على استعداد للنزول عن شريعتهم كما نزلوا عن أحكام معاملاتهم فى تلك الامتيازات « الأجنبية » التى سموها من أجل ذلك « بالتنازلات » Capitulations أو التسليمات !

ولكن هذه التنازلات بعينها كانت بعد ذلك صيحة الثورة على السيطرة الأوربية ، حتى زالت الآن ورجعت عنها الدول الأوربية بدلا من رجوع الإسلام بعدها عن غيرها من معالمه وتقاليده .

فإذا كان شيوع التقاليد الحديثة أحيانا باعثاً من بواعث الأسف ودليلا من أدلة التهاون ، فتلك حالة توجب على المسلمين ، ولا ريب ، أن يبدلوا بها ما هو أوفق منها للآداب الإسلامية ، بل للآداب الإنسانية التى تخالفها التقاليد المعيبة كما تخالف حقيقة الإسلام .

ولكن التشاؤم منها يزيد على قدره الصالح إذا خيل إلينا أنه تشاؤم من مصير الدين كله ويزيد تفاؤل المتربصين به أيضا عن قدره الصالح لهم إذا اعتبروه « عرضا إسلامياً » ولم يفهموا من حقيقته قبل ذلك أنه عرض أجنبى يسرى من جانبهم ويوجب عليهم أن يتشاءموا منه لأنفسهم ولا يقصروا شؤمه على مستقبل الإسلام .

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

الإسلام والتقدم

لشاعر العراق : معروف الرصافي

يقولون فى الإسلام ظلما بانه ... يصد ذويه عن طريق التقدم
فإن كان ذا حقا فكيف تقدمت ... أوائله فى عهدها المتقدم
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله ... فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلم فى الإسلام إلا فريضة ... وهل أمة سادت بغير التعلم
لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلى ... بصائر أقوام عن المجد نوم
وحلت له الأيام عند قيامه ... حباها وأبدت منظر المتبسم
فأشرق نور العلم من حجراته ... على وجه عصر بالجهالة مظلم
ودك حصون الجاهلية بالهدى ... وقوض أطناب الضلال المخيم
وأنشط بالعلم العزائم وابتنى ... لأهليه مجدا ليس بالمتهدم
وأطلق أذهان الورى من قيودها ... فطارت بأفكار على المجد حوم
وفك إسار القوم حتى تحفزوا ... نهوضا إلى العلياء من كل مجثم
فخلوا طريقا للبداوة مجهلا ... وساروا بنهج للحضارة معلم
قدوت بمستن العلى نهضاتهم ... كزعزع ريح أو كتيار عيلم
وعما قليل طبق الأرض حكمهم ... بأسرع من رفع اليدين إلى الفم
وقد حاكت الأفكار عند اصطدامها ... تلألؤ برق العارض المتهزم
ولاحت تباشير الحقائق فانجلت ... بها عن بنى الدنيا شكوك التوهم
وما ترك الإسلام للمرء ميزة ... على مثله ممن لآدم ينتمى
فليس لمثر نقصه حق معدم ... ولا عربى بخسه فضل أعجمى
ولا فخر للإنسان إلا بسعيه ... ولا فضل إلا بالتقى والتكرم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وليس التقى فى الدين مقصورة على صلاة مصل أو على صوم صيم
ولكنها ترك القبيح وفعل ما يؤدى من الحسنى إلى نيل مغنم
فتقوى الفتى مسعاه فى طلب العلى وما خصت التقوى بترك المحرم
فهل مثل هذا الأمر بالأولى النهى يكون عثاراً فى طريق التقدم
وإن لم يكن هذا إلى المجد سلما فأى ارتقاء بعد أم أى سلم
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم رويداً فقد قارفتم كل مأثم
فلا تنكروا شمس الحقيقة إنها لأظهر من هذا الحديث المرجم
علونا وكنتم سافلين فلم نكن لنبدى إليكم جفوة المتهكم
ولم نترك الحسنى أوان جدا لكم وتلك لعمرى شيمة المتحلم
فلما استدار الدهر بالأمر نحوكم كشفتم لنا عن منظر متجهم
فلا تأمنوا الأيام إن صروفها كما هى إذ أودت بعاد وجرهم

معروف الرصافى

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٩)

وقد بلغ من إعجاب الأستاذ كاوزبو بابن خلدون أن قال مقارنا إياه بمكيافلى : « إذا كان رجل فلورنسا الكبير قد علمنا كيف يساس الناس فإن طريقته فى ذلك إنما هى طريقة الدبلوماسى والسياسى الحاذق بينما نرى أن العالم التونسى قد نفذ إلى الظواهر الاجتماعية ناظرا إليها نظرة الاقتصادى والفيلسوف المتعمق فسمح له ذلك بأن يعالج موضوعه بسعة أفق وروح نقد لم يعهد لهما نظير فى زمنه [1] » .

وإننا ندعو رجال العلم أن ينهضوا لتنفض عن نفائسنا الغبار لتتخذ مكانها فى مجال العلوم والمعارف ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تحقيق هذا الأمل العظيم .

محمد محيى الدين المصرى

(1) S. Colosio-Revue du Monde Musulman. XXVI. 1914. p. 319.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف

بقلم : الأستاذ محمد عبد الله السمان

---

١ — جرائم الحدود :

للأستاذ محمد عطية راغب

هذا الكتاب نشرته مكتبة القاهرة الحديثة تحت عنوان : جرائم الحدود فى التشريع الإسلامى والقانون الوضعى ، والمؤلف غير غريب عن مجلة الأزهر ، فهو يمدها من حين لآخر بمقالاته المعنية بالدراسة القانونية .

ودراسة الكتاب تقع فى أكثر من خمسمائة صفحة ، وهى دراسة فى الفقه المقارن ، وقد يكون الكتاب الأول من نوعه فى انفراده بعرض الحدود على ضوء الدراسة المقارنة ، والمؤلف يمهد لهذه الدراسة بتعريف شامل لجرائم الحدود ، وأوجه الشبه والخلاف بينها وبين الجرائم التعزيرية من ناحية وبينها وبين جرائم القصاص من ناحية أخرى ، ثم تجىء موضوعات الكتاب فى خمسة أبواب تناول فيها المؤلف : جرائم الحدود ، الزنا ، السرقة ، قطع الطريق ، القذف ، شرب الخمر .

وفى كل باب يعرض الجريمة الحدية وحكمة تحريمها ، وعداية الإسلام فى توقيع العقوبة على مرتكبها ، ثم يحلل أركانها ، وما يحوطها من شبهات ، وشروط أدلة الاثبات ويناقش ، العقوبة وتطوراتها فى مجال الإسلام والتشريع الوضعى ، وهو فى العرض والتحليل والمناقشة يعتمد على آراء الفقهاء المسلمين من أصحاب المذاهب المقلدة وغيرهم من المجتهدين ويلم ، إلماما دقيقا شاملا بالموضوع حتى تأتى دراسة وافية كاملة .

المؤلف حصر الحدود فى تلك الجرائم الخمس المتفق عليها تقريبا ، ولم يتعرض للردة وهى حد من حدود الله ، وقد أضاف ابن حزم أيضاً جحد العارية ، وذكر الأستاذ عبد القادر عودة فى التشريع الجنائى أن الحدود سبعة أضاف إلى الخمسة : الردة ، والبغى . وكذلك الدكتور عبد العزيز عامر فى كتابه : التعزير فى الشريعة الإسلامية ، وما كان يضير الكتاب أن يتناول المؤلف بقية الحدود المختلف فيها على أوسع نطاق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد خلا الجزء الخاص بقطع الطريق من الدراسة المقارنة ، حيث لم يشر فيه إلى رأى الفقه الوضعى ، كما أن الحواشى للكتاب قد طغت طغيانا كبيراً على الدراسة الأصيلة فى الكتاب ، وكان من الممكن ألا يعمد المؤلف إلى التركيز المبالغ فيه ، وكنا نود أن لا يؤيد المؤلف أحد آراء الفقهاء مثلا فى عبارة تسليمية سريعة دون أن يذكر أسباب حكمه على الرأى الذى أيده ، والرأى الذى عارضه ، فعبارة « فأخذ بالرأى الأول أو الثانى ـ مثلا ـ لأنه أقرب إلى الصواب » مثل هذه العبارة التأييدية لا وجود فيها للبراهين العلمية ، والمؤلف بعد ذلك أسرف فى التبويب للدراسة ، فاستهلك صفحات عديدة فى تركها بيضاء إلا من سطر أو سطرين ، ولا أظن أن القارىء يستريح إلى تنسيق الفهرست الذى يعول عليه كثيراً من يعتبر هذه الدراسة مرجعاً أصيلا .

ولا نكران فى أن الأستاذ محمد عطيه راغب بذل مجهوداً ضخما فى تقديم دراسة مقارنة ، تعتبر مرجعاً وافياً شاملا ، وقد ألم إلماما دقيقا بآراء فقهاء الإسلام ، وبآراء فقهاء التشريع الوضعى فى البلاد العربية ، ولو أنه عرض لآراء الفقه الوضعى المعاصر فى الغرب لجاءت الدراسة فريدة فى نوعها ، ومع هذا فالدراسة التى قدمها تشهد للمؤلف الحقوقى الشاب بعقلية ناضجة وأفق واسع ، وطاقة احتمال كبيرة فى استيعاب النصوص .

٢ — عبد الله بن سبأ :

الأستاذ مرتضى العسكرى

هذه طبعة ثانية من الكتاب نشرتها مكتبة النجاح فى بغداد . والمؤلف أحد علماء الشيعة بالعراق ، والكتاب فى حوالى مائتى صفحة ، إلا أن قضية عبد الله بن سبأ لم تظفر منها إلا بصفحات معدودة . وقضية ابن سبأ هى الأصل فى موضوع الكتاب .

والمؤلف فى الدراسة الخاصة بابن سبأ يرى أن ابن سبأ نفسه أسطورة ، وليس حقيقة تاريخية ، ويعتمد على أن الطبرى هو المرجع الأول فى القصة أخذ منه من جاء بعده من المؤرخين ، كابن الأثير وابن عساكر ، ومن المعاصرين كالشيخ رشيد رضا والأستاذ أحمد أمين فى « فجر الإسلام » ، والطبرى اعتمد على رواية « سيف بن عمر التميمى » ، وأخذ المؤلف فى تجريح « سيف » تجريحا بالغا مستشهداً بآراء جمهرة من العلماء ، كابن ، معين ، وأبى حاتم ، والنسائى ، وأبى داود ، وابن عدى ، والدار قطنى ، والحاكم ، وابن عبد البر ، وابن حجر ، والسيوطى ، ولسيف بن عمر مؤلفان : الفتوح الكبير والردة ثم مسير الجمل وعائشة وعلى . .

والدراسة الخاصة بهذا الجزء نقدرها ونحترم المؤلف فيها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلا أن المؤلف ـ عفا الله عنه ـ يكشف عن نفسه فى بقية الكتاب ، فهو يقرر بأسلوب سلس ، أن مؤامرة دبرت على رأسها الشيخان : (أبو بكر وعمر) لتنحية (على) عن الخلافة ، ويأخذ عليهما أن أمر الخلافة حملهما على أن يتركا رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ مسجى ، ويهتما بأمر جماعة المسلمين ، ولا يقنعه : أنه كان من الممكن أن يندلع لهيب الفتنة ، لو لم يظهر حزم عمر ، ويجمع أمر الجماعة على خليفة لرسول الله ، كان صفيه وخليله ونائبه فى الصلاة حين ثقل عليه المرض ، وقال عنه ـ صلوات الله عليه : إن إيمانه يرجح إيمان الأمة بأسرها .

والعجيب أن الروايات والأحاديث التى ساقها المؤلف ورأى فيها دليلا على أحقية (على) بالوصاية على المسلمين ، ليس فيها رأى قاطع أو شبه قاطع . والتأويل يقوم بدور خطير فى القضية ، كما أن الروايات التراخية التى تشبث بها الشيعة ليست بأحسن حالا من روايات وأحاديث (سيف بن عمر) مبتكر أسطورة (عبد الله بن سبأ) .

وليس التشكيك فى أخلاق (الشيخين) وضميرهما بالشىء الهين السهل ، وقضية الوراثة فى الخلافة الإسلامية فى الحكم مما لا يقره الاسلام فى كثير أو قليل ، ولا يرضاها الاسلام لبنى هاشم أو بنى أمية ، أو بنى العباس . ولا لمن جاء بعدهم .

وبعد ـ فقد كنا نود أن يرحم الاسلام اليوم من المناقشات الطائفية ، وهو المثخن بالجراح من أتباعه وأعدائه على السواء ، لا سيما أن المؤلف عالم جليل له قدرات كبيرة فى التحقيق العلمى ، وقد استطاع فى الترجمة للأعلام ، والتأريخ للحوادث ، أن يودع مؤلفه جانبا من المعلومات تعتبر بمثابة مرجع موجز سريع ، يفيد منه الدارس والقارئ معا .

* * *

٣ ـ **الاسلام .. لا الشيوعية :**

للأستاذ اسماعيل مظهر .

كتاب جديد لأستاذنا نشرته دار النهضة العربية بالقاهرة ، وهو على صغر حجمه يحمل بين دفتيه معانى كبيرة على جانب من الخطورة ، هى فى مجموعها عرض للخطوط البارزة للإسلام الذى رضيه الله لعباده ، ثم دفاع عنه موجه إلى أعدائه المتربصين به الدوائر ، وإلى أتباعه المتخلفين عن ركب الحياة الصحيحة التى رسمها الاسلام نفسه .

فالإسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهو دين الانسانية التى تقدس حياة الفرد وكرامته وحريته .

ويناقش أستاذنا فكرة الاسلام دينا ودولة ، فيقرر أن الحقيقة الرائعة المستمدة من طبيعة الرسالة الاسلامية وأصولها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفروضها وسننها هى أن الاسلام : دين ودولة ، فى الرسالة لا ينفك إسلام عن دولة ، ولا تنفك دولة عن إسلام ، ورسالة الاسلام مخالفة لجميع الرسالات التى سبقتها ، ومن هنا كان المعنى المستفاد من أنها مكملة الرسالات وخاتمتها .

ثم يعد له المؤلف كليات الاسلام التى تتجه جميعها إلى خير الإنسان ـ والإسلام جاء من أجل الإنسان ـ وهى أولى الكليات ، والثانية أن الإسلام روح قبل أن يكون نصوصا ، والثالثة أن الدنيويات المباحة المطابقة لروح الاسلام سابقة فى الأفضلية على الأخرويات والرابعة أن رسالة الإسلام رسالة الحرية والاستقلال ، والخامسة أن رسالة الإسلام مرنة فيها طواعية لحاجيات البشر ، والسادسة والسادسة أن الإسلام رسالة لا تحقيد فيها ، والسابعة أنها رسالة العلم والفكر ، والثامنة أن الحكم فى الاسلام يقول على الشورى ، والتاسعة أن التقوى أساس المعاملة ، كما أن العدل أساس الحكم ، والعاشرة والأخيرة ، أن رسالة الإسلام دولة تقوم على هذه الكليات...

وبعد أن يعرض الغزوين اللتين وجهتا إلى الإسلام : الغزوة الاستعمارية ، والغزوة المادية الالحادية الهدمية ، يأخذ بنواصى الشيوعية ، ويفند أوهامها ، ويأتى على أصولها ، ويقرر أن الإسلام والشيوعية نقيضان وشتان ما بين نظام يقوم على حرية الفرد والشورى والعدل والمساواة ، ونظام يقوم على الاستبداد الفردى وحرب الطبقات..!

ولكن أستاذنا يقول فى صفحة أخرى : إن حد الدين فى الإسلام شىء ، وحد الدولة شىء آخر ، والحدان بينهما برزخ ، حتى لا تبغى ناحية منهما على أخرى . . . من هنا أعتقد اعتقادا جازما أن الدين والدولة منفصلان تماما فى مفهوم الإسلام ، وأنهما لا يلتقيان إلا فى ناحية واحدة ، هى أن ما شرع للدولة وما شرع للدين فى الإسلام ، كلها فرائض فى عنق المسلم ، من غير أن يكفى الدين على فرائض الدولة . . وبالعكس .

ولست أدرى كيف يستقيم هذا القول مع قول آخر للمؤلف : الإسلام فكرة جامعة ، ومعنى الفكرة الجامعة أنه دين ودولة ، ومهما حاول البعض أن يخرج عن الإسلام هذه الصفة ، فسيظل فكرة جامعة تجمع الدين والدولة فى فكرة واحدة ، هى فكرة الدفاع عن المجموع الذى يستظل بظل الإسلام . . . ؟

إن مصادر الإسلام السليمة وفى مقدمتها : الكتاب والسنة المعتمدة ـ هذه المصادر ، شرعت للدين أصوله ، والدولة أحد هذه الأصول . ولا يشذ الأصل الخاص بالدولة عن استمداد تنظيماته من الدين ، وإذا فهمنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من القول الأول للأستاذ ، أن يكون الدين مجرد صلة بين العبد وربه . فلن يكون ثمة فرق بين هذا المفهوم وبين مفهوم المحاولين لهدم كيان الإسلام عن طريق حصر الدين فى أن يكون مجرد صلة بين العبد وربه ، وترك الدولة تحت سيطرة أهواء وشهوات الحاكمين بأمرهم !

والمؤلف لا ينكر أن فى التشريع قواعد أصولية تضمن للدولة أن تساير الحياة وتطورها ، وحيثما كانت المصلحة فثمّ شرع الله كما يقول الأصوليون . . وللمؤلف بعد ذلك تقديرنا لقلمه وفكره . . !

٤ ــ مبادئ ومثل :

للأستاذ أحمد محمد جمال

المؤلف أديب حجازى ، وعضو مجلس الشورى فى المملكة العربية السعودية ، وهو يواصل الكتابة تحت عنوان . (على مائدة القرآن) وحلقته هذه هى الحلقة الرابعة التى نشرتها فى كتاب ، مكتبة الثقافة ، فى مكة المكرمة .

جاء الكتاب فى فصلين كبيرين ، تناول الأول . مبادئ ومثلا لإصلاح الفرد والأسرة . وتناول الفصل الآخر : مبادئ ومثلا لتوجيه المجتمع والدولة ، ولقد عرض فى الأول بضعة عشر جانبا فى الأبوة والأمومة ، الحقوق والعقوق ، قضية المرأة ومشكلة الأنثى ، قوامة الرجل ... وفى الفصل الثانى عرض بضعة وعشرين جانبا : فى القدوة العملية ، فلسفة الاحتياج ، محاكم التوفيق ، قدسية العلم ومكانة العلماء ، بين الإنسانية والأنانية . .

والأديب الحجازى ، يلجأ إلى ساحة كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليعرض المعانى الكبرى ، والقضايا الحية ، مستشهداً به فى أسلوب تحليل خصب ، يمتزج بسلاسة اللفظ ، وعمق المعنى ، وقوة الحجة . وبالقصة القصيرة لاستخلاص عظة ، واستنتاج فكرة ، ويتجه نحو المعنى الإنسانى ليبرزه إبرازاً ، ويحوطه بهالة من الجلال والعظمة .

إنه اتجاه جديد فى إيصال معانى القرآن من أقرب طريق ، وفى أيسر أسلوب ، دون ما لجوء إلى مناقشة بيزنطية عملة ، أو تأويل مرهق للذهن ، أو غموض مشوش للتفكير .

ولكن الكاتب الأديب فى بعض الأحيان تحمله الغيرة الإسلامية على أن يسمح الأسلوب الخطابى بالتسلل إلى أسلوبه ، كما أن عنصر المناقشة الهادئة فقدناه كثيرا فى كتابه ، إذ أن للمبادئ والمثل العليا التى طرقها ما يقابلها من مبادئ ومثل دنيا ، كانت فى حاجة إلى مناقشتها والأخذ بنواصيها لا سيما وأن الأستاذ جمال عود أسلوبه أن لا يطرق بابا من أبواب التزلف ، وألا يفتح نافذة من نوافذ النفاق ، والتزلف والنفاق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يكادان يمثلان اليوم ومن قبل هناك ، جزءا من كيان معظم الأدباء .

٥ ــ بناء الاقتصاد في الإسلام :

للأستاذ زيدان أبي المكارم

هذا الكتاب نشرته مكتبة دار العروبة في القاهرة والمؤلف عالم فاضل ومبعوث وزارة التربية في ألبانيا كمدرس في جامعتها .

جاء البحث في ستة فصول : الاقتصاد في مكة في ضوء القرآن ، ثم في ضوء السنة والسيرة ، والاقتصاد في المدينة في ضوء السنة أيضا ، ثم توجيه الإسلام للاقتصاد ، ثم موقف الإسلام من علم الاقتصاد ـ هذا وقد قدم لدراسته ببحث موجز عن الروحية والمادية .

يرى المؤلف أن الإسلام في توجيهه للاقتصاد ، رسم قواعد التخطيط ، فوضع قانون التسعيرة ، وحرم الربا والاستغلال ، وضمن كفالة الضعفاء .

الحق أن فضيلة الشيخ زيدان أبي المكارم استوعب بين دفتي كتابه نصوصا قرآنية وأخرى من السنة والسيرة ، ولكن الذي نأخذه على فضيلته أنه أسهب في النقل دون تعقيب مناسب ، كما أن دراسته خلت من عنصر المقارنة ، فهو لم يتعرض من قريب أو بعيد للمذاهب الاقتصادية المعاصرة ، وموقف الإسلام منها ، وهذا نقص كنا نود أن يتلافاه . كما أنه مر بقضية الربا مرورا عابرا دون أن تنال ما هي جديرة به من المناقشة ، وهي تمثل اليوم في اقتصادنا مشكلة قائمة عتيدة .

٦ ــ برطانه الرضاء :

للأستاذ عبد الحليم حفني بكري

هذه دراسة فازت بجائزة وزارة الشئون ، والمؤلف شاب من خريجي كلية اللغة العربية ، كانت دراسته حول (الثأر) واعتمد فيها على واقع البيئة التي درج ونشأ فيها . وهي إحدى قرى الصعيد حيث يتفاعل الثأر في حياة الناس هناك ، ويمتزج بكل أحاسيسهم ومشاعرهم ، ويحتل جزءا مهما في كيانهم .

أعجبني في المؤلف عنايته بتقديم إحصائية عن البيئة موطن البحث ، ودراسة موجزة عن الثأر بين الشعوب ، وعادات تتعلق بالثأر ، والثأر بين التشريع الإسلامي والقانون الوضعي ، ثم وسائل العلاج لهذه المشكلة المستعصية ، ومن هذه الوسائل التمسك بالتشريع الإسلامي في القصاص . عدم الإفراج عن القاتلين إلا بعد انتهاء المدة المقررة ، العناية بتكوين جماعات أهلية للصلح ، نشر الثقافة في المجتمع الريفي ، محاربة البطالة .

لقد اعتمد المؤلف على الوقائع التي حدثت في البيئة ، ومزج مناقشته بالآراء الإسلامية والاجتماعية ، واستحق بذلك جائزة وزارة الشئون .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

عهدت المجلة إلى الأستاذ عبد الرحيم فودة أن يقدم لقرائها تحت هذا العنوان مختارات مما يقرأ في الصحف والكتب ، وهي ترجو أن يجد فيها القراء مائدة فكرية شهية واسعة منوعة .

الحل الأول هو الحل الأخير :

... ويسمع الأغنياء هذا فيقولون : قد سمعنا ووعينا فسنبذل لهم مختارين ما تطيب به نفوسنا من الإحسان ليعيشوا . فيردذوو المهنة : ليس إحسانا ما نطلبه ولكنه حق لأنه ثمرة ما بذلنا من جهد ، وثمن ما نؤديه من عمل .

ويسمع الوسطاء ما قال هؤلاء وما قاله أولئك فيتساءلون فيما بينهم ، أيهم أصاب وأيهم أخطأ . ؟ أهو إحسان أم حق . ؟ ثم يميل بعضهم إلى هذا الجانب ويميل بعضهم إلى ذاك . وتتعدد الآراء . وتتعارض المذاهب ، وتصطرع العقول والقلوب . وتنشأ الجماعات المختلفة . تدعو كل جماعة منها لمذهب ، ويشتغل الفلاسفة وأهل الفكر في كل أمة ليخترعوا « نظاما » يفض المشكلة ويحل العقدة ، ثم نسمع عن الرأسمالية . والاشتراكية . والنازية . والفاشية . والشيوعية والفوضوية ، وعن نظم مادية أخرى لا يكاد يبلغها الإحصاء . وليس في واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع لأن مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة إنسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل إلى حلها إلا بتربية الشعور الإنساني في نفوس الجماهير . وتوثيق أواصر الأخوة الإنسانية بين البشر .

ونقف نحن العرب والمسلمين في هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذي يدور بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب ، فنعجب أشد العجب من تلك المذاهب والذاهبين في سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء ، لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت كل المفكرين والفلاسفة في أوربا منذ قرنين أو منذ قرون ، قد وجدت الحل الصحيح في بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة .. منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو إلى الأخوة الإنسانية ، ويفصل مبادئ العدالة الاجتماعية على أساس من التراحم والتكافل الأخوي والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة . من غير طغيان على حرية الفرد ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا إذلال له . ولا إنكار لذاتيته : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .

ذلك هو النظام ، فليكتف المفكرون والفلاسفة بما بذلوا من جهد ، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع . .

إن عندنا الحل

الحل الأول الذى نزل به الوحى على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة ، وهو الحل الأخير لمشكلة الإنسانية .

الرئيس جمال عبد الناصر

من كلمة كتبها لتقديم كتاب العدالة الاجتماعية

(اخترنا لك)

الحاجة إلى هداية الرسل :

حاجة العالم إلى هداية الرسل كحاجة الإنسان إلى العقل والقلب ...

فأنا وأنت وهو . وكل فرد بإزاء فرد فى مجتمع ، وكل مجتمع بإزاء مجتمع فى أمة . وكل أمة بإزاء أمة فى هذا العالم . تحكمنا غرائز فردية وجماعية فمن أثرة جائعة طامعة لا تشبع ولا تقنع . . إلى حب استعلاء وكبرياء يدفع إلى ازدراء أقدار الضعفاء واحتلال أرضهم واستذلال رقابهم . . إلى آخر ما ركب فى الإنسان من ميول وشهوات تدفعه إلى ما ينفعها ويشبعها ولو من طريق الإثم والظلم والعدوان والطغيان ...

هذه الغرائز لا يكفى العقل وحده فى صدها وردها إلى الحق والعدل والصراط المستقيم بل إن هذه الغرائز قد تحكم العقل وتستخدمه سلاحا لهتك الحرمات وسفك الدماء .

ولو أن عاقلا فاضلا أو جماعة من العقلاء الفضلاء استوحوا حاجة المجتمع إلى العدل فوضعوا قوانين تمنع الطامع أن يجمع والكادح أن يضيع والمجرم أن يجرم. والحاكم أن يظلم . . لكان الخضوع لها فى منطق المنحرفين — وما أكثرهم فى كل بيئة ومجتمع — خضوعا لقوة مماثلة أو معادلة وغرما لا يقبلونه إلا مرغمين كارهين ، فإذا حانت الفرصة التى تمكنهم من الانتقاض والانتقاص — وكثيرا ما تحين — تمردوا واستأسدوا وانطلقوا بكل قواهم يعصفون بكل القيم والمثل وقوانين الأخلاق ...

ومن ثم كانت معجزات الأنبياء — مع ما فيها من دلائل على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله — تذكيراً بالقوة العليا التى يتساوى الجميع فى العجز عنها والفقر إليها . . وكانت شرائع الأنبياء من عمل هذه القوة التى تحكم ولا تظلم : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز » .

من جريدة الشعب « عالم »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طلع الصباح :

الله أكبر إن دين محمد
وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده
طلع الصباح فأطفأ القنديلا

من كتاب الوحى المحمدى « البوصيرى »

أعجب ما رأيت :

قيل للمهلب بن أبى صفرة ما أعجب ما رأيت فى حرب الأزارقة « من الخوارج » قال : فتى كان يخرج إلينا منهم فى كل غداة . فيقف فيقول :

وسائلة بالغيب عنى لو درت
مقارعتى الأبطال طال نحيبها
إذا ما التقينا كنت أول فارس
يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شىء إلا أقصده . فإذا كان الغد عاد إلى مثل ذلك .

من مختار العقد الفريد

بعض الرجال :

بعض الرجال حديد حين يقرعه
خطب وبعضهم أوهى من الخزف
فلا ترعك الغواشى وهى مقبلة
فعل الجبان الذى يخشى من التلف
ولا تقف فى مهب الريح ملتويا
كالواو والياء بل قف وقفة الألف

من ديوان الأسمر

محمد الأسمر

الأكراد عرب !

والكرد بالضم جيل من الناس معروف والجمع أكراد ، وأنشد :

لعمرك ما كرد من ابناء فارس
ولكنهم كرد بن عمرو بن عامر
فنسبهم إلى اليمن ..!

« لسان العرب »

ألفاظ القرآن وألوانه الطيف :

وتقرأ القطعة من القرآن فتجد فى ألفاظها من الشفوف والملامسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة حديث ، كأنك لا تسمع كلاما ولغات ، بل ترى صوراً وحقائق ماثلة . وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت به خبرا ووقفت على معناه محدودا . هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد، غير الذى سبق إلى فهمك أول مرة ، وكذلك ... حتى ترى الجملة الواحدة ، أو الكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيح أو محتمل الصحة . كأنما هى فص من المثامن يعطيك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كل ضلع منه شعاعا فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها ، فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع . ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت ، وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان ، يأخذ منه كل ما يسر له ، بل ترى محيطاً مترامى الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال .

(النبأ العظيم)

الدكتور محمد عبد الله دراز

أمام القضاء :

وشكا يهودى علياً إلى عمر بن الخطاب فى خلافة عمر . فلما مثلا بين يديه خاطب عمر اليهودى باسمه بينما خاطب عليا بكنيته فقال له يا أبا الحسن ، حسب عادته فى خطابه معه ، فظهرت آثار الغضب على وجه علىّ فقال له عمر : أكرهت أن يكون خصمك يهوديا . وأن تمثل معه أمام القضاء على قدم المساواة .. فقال على : لا . ولكننى غضبت لأنك لم تسوّ بينى وبينه ، بل فضلتنى عليه إذ خاطبته باسمه بينما خاطبتنى بكنيتى (والخطاب بالكنية كان أسلوبا من أساليب التعظيم للمخاطب) .

(من حقوق الإنسان فى الإسلام)

الدكتور على عبد الواحد وافى

الفكر الحر :

أحب الفتى أن يستقل بنفسه
فيصبح فى أفكاره مطلقا حراً
وأكره منه أن يكون مقلداً
فيحشر فى الدنيا أسيراً مع الأسرى

من ديوان « الرصافى »

عظيم فى كل ميزان :

إن محمداً عظيم فى كل ميزان . . .

عظيم فى ميزان الدين ، وعظيم فى ميزان العلم ، وعظيم فى ميزان الشعور . وعظيم عند من يختلفون فى العقائد ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية إلا أن يرين الضعف على الطباع فتنحرف عن السواء وهى خاسرة بانحرافها ولا خسارة على السواء . .

إن عمل محمد لكاف جد الكفاية لتخويله المكان الأسنى من التعظيم والإعجاب والثناء .

إنه نقل قومه من الإيمان بالأصنام إلى الإيمان بالله ، ولم تكن أصناما كأصنام يونان يحسب للمعجب بها ذوق الجمال إن فاته أن يحسب له هدى الضمير ، ولكنها أصنام شائهات كتعاويذ السحر التى تفسد الأذواق وتفسد العقول . فنقلهم محمد من عبادة هذه الهمامة إلى عبادة الحق الأعلى ، عبادة خالق الكون الذى لا خالق سواه ، ونقل العالم كله من ركود إلى حركة . ومن فوضى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى نظام ، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية كما لم ينقله قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات .

إن عمله هذا لكاف لتخويله المكان الأسنى . بين صفوة الأخيار الخالدين ، فما من أحد يضن على صاحب هذا العمل بالتوقير . ثم يجود بالتوقير على اسم إنسان .

(من كتاب عبقرية محمد) (العقاد) .

معنى قفص الاتهام :

إني مسلم . . ولأني مسلم يجب عليّ أن أندد بالاستبداد وأقبحه وأشهر مساويه . إن الإسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس بالقوة ولا هو القسوة بل الحق هو الحق ، وأنه ليس لأحد من البشر أن يستعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم ، الناس كلهم متساوون في الإنسانية ، متساوون في الحق متساوون في الحياة ، وليس اللون والجنس والنسل معيارا للفضل والحسب ، وإنما معياره العمل وحده فأعلاهم قدرا وأكرمهم حسبا أحسنهم عملا وأتقاهم لله . إن الإسلام أعلن حقوق الإنسان قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا ، ولعمري إن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمى الظلم ظلما مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الإنسانية ، فإن كنتم لا ترون لأنفسكم أن تطالبوا أحدا بأن يرتد عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلما بأن يمتنع عن قوله للظالم إنه ظالم .

الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت في سبيل الحق ، وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه التضحيات الكثيرة في إعلاء كلمة الحق التي قدمتها الأمة الإسلامية في كل دور من حياتها ، ألا فلتعلم الحكومة الانجليزية أن المسلم الذي أمره ربه أن يرحب بالموت الأحمر ، ويتغلغل في لجج الدواهي والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق ، لا يخيفه قانون العقوبات الاستعماري ولا يرده عن دينه وأداء فريضته .

إني أقول حقا . إنه لا يؤلمني أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتي ، وأنها لا تحاكمني إلا لأن تزجني في السجون ، إذ هذا أمر لابد منه . . وإنما الذي يؤلمني فيفتت كبدي هو أن أرى الحالة تنقلب انقلابا تاما . فبدلا من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق . يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة ، وألا يقول للظالم إنك ظالم لأن قانون المستعمرات يعاقب عليه .

أبو الكلام آزاد

« من مجلة ثقافة الهند » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بريد المجلة

مخالفات دينية في فيلم :

أرسل الإمام الأكبر رسالة إلى السيد كمال الدين حسين نائب رئيس الجمهورية الكتاب الآتي :

السيد كمال الدين حسين .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :

فإننا إذ نكتب إليكم اليوم نرجو أن يكون هذا الموضوع محل رعاية خاصة وتوجيه يحفظ علينا ديننا ويبقى على مقوماتنا وحتى تكون عباداتنا محل احترام وقداسة .

نقل إلينا بعض من نثق فيهم أن إحدى دور السينما تعرض الآن فيلم (وا إسلاماه) .

وقد حدثونا أنه يعرض في بعض أجزائه للصلاة فيعرضها في صورة هزلية لا تعرف إلا عند الأطفال أو المجانين ، ولا تصور حقيقتها ولا تؤدى بكيفيتها التي جاءت إلينا عن الرسول صلى الله عليه وسلم . إذ بعد تكبيرة الإحرام يهوون ساجدين مباشرة من غير قراءة ولا ركوع .

وأنتم تعرفون مدى ما يتركه هذا الجهاز في نفوس أبنائنا وبناتنا ، فهو بهذه الصورة يدع الخطأ في العبادة يتسرب إلى أذهان من جهلوا الصلاة ، أو التشكيك في معلومات من عرفوها وتعلموها . وما أحرى أجهزة الرقابة أن تكون على بصيرة من هذه الحقائق حتى تستطيع أن تحبس عن الجمهور ما يشككه في العبادات والحقائق الدينية . بل ينبغي أن تتخذ من هذا الجهاز وسيلة للتعليم وطريقا للتهذيب حتى يكون طريق خير ووسيلة إصلاح لا وسيلة شر وسبيل إفساد ، وحتى يعلن عنا أحسن إعلان وأطيبه .

كما نقلوا إلينا أنه قد عرض لشخصية إسلامية وطنية لها في نفوس العلماء والمسلمين الحب والتقدير والاحترام بما يهبط بمستواها في نظر الجماهير ، عرض للشيخ العز بن عبد السلام الذي كان له الموقف الوطني الرائع في القضاء على التتار ، وكان من جرأته أن أفتى عتواه المعروفة التي لم يخف فيها في الله لومة لائم فعله ووطنيته وقوته في دينه وسمو خلقه كل هذا يأبى أن يدع مجالا لمخرج الفيلم أن يزعم على هذا العالم أنه حضر حفلا راقصا بمناسبة زفاف شجرة الدر ، وهذا لا يتناسب مع مركزه وعلمه ولا يتفق وكرامة العلماء ممن يدعون إلى الفضيلة ويوجهون إلى الخلق ويأخذون الناس إلى الاستقامة ، وينشئون الأجيال تنشئة صحيحة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قويمة . ولذا فإننا نرجوا أن تعملوا مشكورين على حذف هذين الجزأين من الفيلم المعروض الآن :

وبهذه المناسبة نأمل أن تعرض الأفلام على الأزهر قبل عرضها على الناس، أو على الأقل أن يعين الرقباء على هذه الأفلام من بين الأزهريين الذين تشهد لهم كفاياتهم ومقدرتهم بالقيام بهذا العمل على الوجه الأكمل . وذلك عن طريق مراجعة الأزهر قبل تعيينه .

وبذلك نكون قد أرضينا الله وأسهمنا جميعا فى بناء مجتمعنا على الوجه الذى يرضى الله ورسوله وحتى تستطيع هذه الأجهزة أن تكون أداة إصلاح وخير دعاية لنا فى العالمين الإسلامى والعربى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

فأجابه السيد نائب رئيس الجمهورية هذا الجواب :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله ـ وبعد

فقد تلقيت الرسالتين اللتين تتضمنان ملاحظات فضيلتكم على بعض الإذاعات المسموعة والمنظورة فى الراديو والتليفزيون وأثرها على الناشئة وتأثيرها فى مستقبل الأمة ، والملاحظات الأخرى التى نقلت إليكم عن فيلم « وا إسلاماه » .

وإنى إذ أشكر لفضيلتكم هذه الغيرة وهذه اليقظة لأشاركم الرأى فى ضرورة حماية شباب الأمة من كل ما يمكن أن يؤثر فى تكوينهم وفى سلوكهم ، ليكونوا فى أمتهم ، كما أراد الله . جندا عاملين للفضيلة بناءين لمستقبل الوطن ...

وقد اتخذت إجراءات عاجلة لبحث موضوع هذه الملاحظات والعمل على تجنب كل ما يمكن أن يتنافى مع الخلق والفضيلة أو يصور الإسلام وأبطاله غير الصورة الصحيحة التى نعتز بها وندعو إليها ، ونرجو أن نكون قد وفقنا ...

والله يسدد خطانا فى كل ما نحاول لخدمة أمتنا ووطننا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

نائب رئيس الجمهورية

إمضاء (كمال الدين حسين)

تأنيث أفعل على فعلى :

أستاذنا الكبير : الأستاذ الزيات

السلام عليكم ورحمة الله ـ وبعد

فقد وقفت فى عدد المحرم سنة ١٣٨١ على قولكم :

« وأيقن أن الظفر فى الصراع الدولى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنما يكون للقوة الأشد ، وفي عدد ربيع أول على قول سيادتكم : « إلى الغاية الأكرم » واسم التفضيل إذا كان مقترنا بأل يجب أن يطابق ما قبله في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع .

ولما كان تأنيث الأشد هو الشدى والأكرم هو الكرمى وليس ذلك متداولا مشهورا بيننا. رأيت أن أبين : هل تأنيث اسم التفضيل يوقف عند المسموع منه أو هو قياس مطرد يجوز لنا ولو من غير سماع عن العرب .

لقد عرض النحويون لهذا : في كتاب التصريح على التوضيح ٢/ ١٠٤ ، قال أبو سعيد : ولا يستغنى في الجمع والتأنيث عن السماع فإن الأشرف والأظرف لم يقل فيهما الأشارف والشرفى والأظارف والظرفى كما قيل ذلك في الأفضل والأطول. وكذلك الأكرم والأمجد قيل فيهما الأكارم والأماجد ولم يسمع فيهما الكرمى والمجدى .

ويرى الرضى في كتابيه شرح الكافية والشافية أن تأنيث اسم التفضيل قياس مطرد (شرح الكافية ٢/١٥٥ وشرح الشافية ٢/٣٢٥) .

ولعل مثل هذه البحوث تدعونا إلى تقدير جهود النحويين والعناية بآثارهم ؟

محمد عبد الخالق عضيمة

أشكر للأستاذ الفاضل غيرته على سلامة اللغة وحرصه على مراعاة القواعد ، وأناقش المسألة من وجهين : أما أحدهما فإني أميل إلى الرأى القائل بأن تأنيث اسم التفضيل على فعلى سماعي لا يقاس وتوقيفي لا يطرد .

فلم يقسل العرب في الأبصر والأسمع : البصرى والسمعى ، كما قالوا في الأكبر والأصغر : الكبرى والصغرى ، فما ورد عنهم من ذلك استعملناه ، وما لم يرد سوينا في صيغة الأفعل المذكر والمؤنث . وهذا قول لا بد من عرضه على مجمع اللغة العربية ليرى رأيه فيه .

وأما الآخر فإن المزاوجة بين الألفاظ والموازنة بين الجمل تجيزان تغيير الكلمة ومخالفة القياس مراعاة لحسن النسق في الأسلوب فقولى : « إن الظفر في الصراع الدولى إنما يكون للرأى الأسد ، والقوة الأشد ، والسلاح الأحد ، اقتديت فيه بسيد البلغاء ، وأفصح العرب : محمد صلوات الله وسلامه عليه إذ قال: « أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة » وهو يريد (ملة) وإذ قال « ارجعن مأزورات غير مأجورات » وإنما أراد (موزورات) من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصدا للموازنة وصحة المزاوجة ، وليس هذا التغيير مقصوراً على الحديث الشريف .

وإنما وقع أيضا في القرآن الكريم فقد قال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شمس الدين بن الصائغ فى كتابه (إحكام الرأى فى أحكام الآى) : « وتتبعت للأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف وأربعين حكما » نذكر نحن منها على سبيل المثال تقديم ما هو مؤخر فى الزمان نحو وقه الآخرة والأولى ، والإفراد فى موضع التثنية نحو « لا يخرجنكما من الجنة فتشقى » بدل فتشقيان ، وتغيير بنية الكلمة نحو طور سينين بدلا من طور سيناء والسلام على الأستاذ ورحمة الله .

أحمد حسن الزيات

حول عقوبة الإعدام :

منذ أيام كتب كاتب كبير فى جريدة « أخبار اليوم » تحت عنوان جاء فى شبه سؤال أو تساؤل « عقوبة الإعدام . . وهل تبقى أم تلغى » .

عرض الكاتب آراء المؤيدين لإلغائها ، وآراء المعارضين لهذا الإلغاء ، وحجة المؤيدين تكاد تنحصر فى أنه إذا تبين فيما بعد أن المتهم برىء فما من سبيل لإصلاح الخطأ الذى وقع القضاء فيه . . . الحكم بالغرامة أو الحبس يمكن إصلاحه برد الغرامة والتعويض . . . أما الإعدام فلا حيلة فيه بعد تنفيذ الحكم . ؟ ؟

وقد أثارت الكاتب القضية الأخيرة التى أوقف فيها حكم الإعدام على متهمين فى اللحظات الأخيرة .

وأخذ الكاتب يعرض نماذج من تفكير الدول فى محاولتها إلغاء الإعدام ، وتفكير الهيئات أيضا . ومنها الكنيسة الانجليزية فى لندن . .

ونحن لا ندرى كيف يحملنا توقع خطأ لم يحدث فى التاريخ إلا نادرا ، بل ربما لم يحدث فى المائة السنة الأخيرة فى شتى أنحاء العالم إلا مرتين أو ثلاثا على أكثر تقدير - كيف يحملنا توقع خطأ نادر جدا - والنادر لا حكم له - على أن نلغى نصا قانونيا يؤمن حياة الألوف من البشر .

إن حوادث القتل الخطأ وغير المتعمد والتى يتدخل القدر فيها تقسم فى حياتنا بالعشرات كل يوم ، حوادث الطائرات والسيارات وقطارات السكك الحديدية والفيضانات والزلازل والبراكين . . ومعنى هذا أنه يجب ألا تقوم قائمة لهذه الوسائل ، وأن تبحث عن حل لتجفيف البحار وتثبيت الأرض حتى لا تختطف أرواح المئات من الضحايا البشرية ؟ ؟

و (الحائط المائل) دائما فى نظر الكاتب وأمثاله ، هو التشريع الإسلامى ، فهو يقول فى نهاية مقاله متهكما ، ومستعديا على ما تبقى من النصوص الإسلامية :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« وأما القول بأن الشرائع المنزلة نصت على إعدام القاتل . .

فيمكن الرد عليه بأن نفس هذه الشرائع السماوية نصت على قطع يد السارق ، ورجم الزانى والزانية بالحجارة حتى الموت .

فهل هناك من يعمل بهذه النصوص المنزلة أو يطالب بالعمل بها ؟ »

والكاتب يجهل تماما أن الشريعة الإسلامية لا تضارع بأية تشريعات وضعية فى الاحتياط من تنفيذ القصاص . فإن فقهاء التشريع الإسلامى يشترطون شروطا فى غاية الدقة لتوقيع القصاص على القاتل منها : التأكد من التعمد دون أية شبهة ، وموافقة أولياء الدم على تنفيذ القصاص ، والشرط الأخير ليس له وجود فى الشرائع الوضعية ، والجريمة لا تثبت على المتهم إلا بأدلة قوية لا تقبل مجرد الريبة والشك .

والقضية المثارة فى هذه الأيام بشأن المتهمين الذين أفلتا - مؤقتا - من حبل المشنقة ، كان للمفتى الممثل للتشريع الإسلامى رأى يطالب بعدم توقيع عقوبة الإعدام على المتهمين ، ولما لم يكن رأى المفتى الدينى إلا استشاريا فقد أهمل ، ولقد قال المفتى للصحف : « إنه ناقش أدلة الاتهام فانتهى منها إلى عدم وجود شاهد رؤية للحادث فضلا على إنكار المتهم الأول ، مما يعدم وجود دليل أو اعتراف يبرر الحكم بالإعدام . . إنه ليس بالدعوى قرينة قوية على ارتكاب المتهمين جريمة قتل اللواء . . وليس فى القضية دليل من الأدلة الثلاثة التى يلزم توافرها للحكم بالقصاص شرعا ، وهذه الأدلة الثلاثة هى : الاعتراف والبينة والقرينة القاطعة . وللحكمة أن تقدر الشبهة التى حاطت المتهمين وتوقع عليهما عقابا آخر خلاف القصاص الذى ينبغى أن يحتاط فيه بما لا يحتاط فى غيره من العقوبات الأخرى » .

أيهما أدق فى الاحتياط وأبعد فى الحرص على دماء المتهم ؟ وهذا هو التشريع الإسلامى؟ نحن لا نسوق آراء رجال القانون التى تؤيد بقاء هذا الحكم - وهم أقدر على فهم وإدراك حاجات المجتمع -

السادة : المستشار كامل لطف الله رئيس محكمة أمن الدولة العليا ، والمستشار كامل البهنساوى ، والأستاذ على نور الدين رئيس نيابة أمن الدولة يقولون بضرورة الإبقاء على عقوبة الإعدام . بل إن إدارة التشريع بوزارة العدل تؤيد الإبقاء لأن العقوبة حماية للأمن وتطهير للمجتمع ، والإعدام عقوبة وقائية علاجية ولا يمكن لمجتمعنا الاستغناء عنها ، ورأى إدارة التشريع هو الذى بعثت به إلى هيئة الأمم المتحدة التى طلبت آراء الدول الأعضاء فى عقوبة الإعدام . . » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما إن الكنيسة الانجليزية تطالب منذ سنوات بإلغاء عقوبة الإعدام وحجتها مستمدة من روح الدين المسيحي ، فلتوجه عظاتها إلى حكومة بريطانيا ، التي سفكت ظلما ولا زالت تسفك دماء الألوف من سكان مستعمراتها في آسيا وأفريقيا .

أما إن برلمان نيوزلندة يناقش منذ أسبوعين فكرة إلغاء عقوبة الإعدام ، فالمؤكد أن مشروع البرلمان يناقش هناك فعلا التفكير في إعادة عقوبة الإعدام التي ألغيت منذ خمس سنوات ، ونشر هذا في أول أكتوبر في صحف القاهرة وبالأخص جريدة الأهرام .

أما منطق الكاتب في أن بعض نصوص الشرع لا تطبق ولا تجد من يطالب بتطبيقها ، فلم الاحتفاظ بنص عقوبة الإعدام ؟ فقد كنا نود أن لا يتورط الكاتب الكبير فيه .

فإذا فرض - كما يزعم الكاتب - أنه لا يوجد من يطالب بتطبيق جميع نصوص الشريعة الإسلامية الملغاة ، فلن يكون هذا مبررا لإلغاء ما تبقى من النصوص حتى ولو كانت ضرورية لصيانة أمن المجتمع ؟

إن توقف إحدى اليدين عن أداء وظيفتها بسبب الشلل مثلا لا يبرر قطع اليد الأخرى ، ما دام العلاج قد فشل في معالجة الأولى .

محمد عبد الله السمان

كل يبكي على طريقته :

تناقلت بعض الأنواء في المملكة السعودية والجمهورية التونسية نعي الأستاذ رئيس تحرير هذه المجلة ، فكتبت صحفهما الفصول الطوال في رثائه ، وكان من هذه الصحف مجلة الجزيرة التي تصدر عن الرياض فكتبت مقالين ضافيين أحدهما بقلم الأستاذ عبد الله ابن خميس رئيس التحرير ، والآخر بقلم الأستاذ عبد الرحمن بن فيصل ، ثم كذبت الخبر في الصفحة الأخيرة من المجلة ، فلما اطلع الأستاذ على النعي والرثاء والتكذيب أرسل إلى المجلة كتابا نشرته في عددها الأخير ، وقدمت إليه بقولها :

الزيات يعقب على رثاء الجزيرة :

« على أثر الإشاعة السيئة الكاذبة التي أشيعت بموت الأديب الكبير أحمد حسن الزيات سكبت الجزيرة دمعة حارة لذلك ، وبعد أن اطلع أديبنا الكبير على هذا الرثاء تفضل بهذه الرسالة الرقيقة مد الله في حياته ومتعه بالصحة والسعادة » .

وهذه هي الرسالة :

أخوي الأعزين عبد الله بن خميس وعبد الرحمن بن فيصل بن معمر .

لأول مرة في تاريخ الإنسان يقوم ميت ليعذر من نعاه ويشكر من رثاه .

ولأول مرة في تاريخ الأدب يقوم كاتبان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يجوز عليهما ما يجوز على الناس في هذا العصر من كفران بالجال ونكران للجميل فينثران معنى الوفاء نثرا كأزهار الروض عطر الألفاظ نضير الجمل على قبر كاتب غريب لم يرياه في مكان ولم يعايشاه في وطن ولم يلابساه في صداقة ، وكل ما بينهما وبينه صلة أدبية عامة يكفي في التعبير عنها إذا قطعها الموت كلمة مجملة تكتب من وراء القلب فتنفي الحرج وتدفع الملام وتشغل حيزا من المجلة ، ولكن ما كتبتماه يا أخوي نمط آخر غير ذلك كله : عبرات من الكلم لا يسكبها إلا قلب ابن بار على أب حنون ، وزفرات من الأسى لا ينفثها إلا صدر مؤمن أسيف على أخ شهيد ، وشهادتان لذوي عدل كل ما أتمناه على أهلي أن يدرجوهما في كفني لألقى بهما الله .

لقد مت في (الجزيرة) وكل حي سيموت ، ولقد بعثت في (الجزيرة) وكل ميت سيبعث . والبعث عمر جديد وأجل مستأنف . والمتنبي عاش طويلا بعد أن بعث إلى سيف الدولة يقول :

يا من نعيت على بعد بمجلسه
كل بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم
ثم انتفضت فزال القبر والكفن

وشتان بين من نعاني ونعى أبا الطيب ! نعاه ناعيه للشجاعة والعبرة ، ونعاني ناعي للأسف والحسرة . والفضل لكما يا أخوي في أنكما حققتما لي أمنية لم تتحقق لحي من قبلي ، وهي أن يقرأ الميت بعينيه ما كتب عنه بعد موته ، مد الله في عمريكما حتى تعودا فتجودا بصيب الرحمة وطيب الثناء ثراي المحرور في مثواي الجديد ، والله يحفظكما .

أحمد حسن الزيات

حديث بين رئيس البعثة الأزهرية في الصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية .

جرى بين رئيس البعثة الأزهرية بالصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية حديث تناول مختلف الشئون ، ومما جاء فيه :

١ - كيف انتقلت من الأعمال الإدارية إلى ميدان التعليم ؟

من أهم الأشياء التي دفعتني إلى التعليم حادثة أثرت في نفسي تأثيرا بالغا . ذلك أن حضر إليّ طفل صومالي ، وأنا أشتغل بالإدارة في بربرة ، وكان معه رجل متنصر من الصومال . جاء الطفل وطلب مني ورقة ليؤذن له بالسفر إلى عدن .

فقلت له : لماذا يا بني تذهب إلى عدن ؟ وأنت طفل صغير ؟ ؟ .

فقال . . لأصير كافرا ! ! ! .

فعرفت من ذلك أنهم يريدون أخذه لمدرسة تبشيرية إلى عدن ... فسألته لماذا تصبح كافراً ؟ فقال . . لأتعلم الإنجليزية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فآليت على نفسى من تلك اللحظة أن أترك الإدارة وأذهب إلى التعليم ، وأعلم الإنجليزية لأمثال هذا الطفل الذى يترك دينه ودين آبائه ليتعلمها ...

٢ ـ ما مدى تقديرك للأزهر ؟ ؟

أنا أعتبر أن إنشاء الأزهر ، كان عناية ربانية ، ومعجزة من المعجزات ، ونعمة من نعم الله . إتماما لقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لحافظون » فالله تعالى لكى يحافظ على كتابه يسر إنشاء الأزهر ، وأمده برعايته وجعل رسالته شاملة لجميع المسلمين فى جميع أقطار الأرض ، وذلك لكى يوفى بحاجات الإسلام فى العصور التى كانت مقبلة على الإسلام بعد إنشائه .

وإننى أعتبر حقا أن المصدر الحقيقى لإنقاذ العالم الإسلامى مما كان يراد به من جانب الاستعمار من إفساد العقيدة الدينية وقتل الروح البشرية هو الأزهر . . وأن جهود الاستعمار بمختلف أساليبه فى سائر أنحاء الأمة الإسلامية كان يمكن أن تحقق أغراضها لولا وجود التأثير الأزهرى الذى تمثل فى روح جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده وأمثالهما من أبناء الأزهر المكافحين .

فحقا إن ما نراه اليوم من التقدم فى العالم الإسلامى ، واسترجاع حرية أبنائه وأخذ نصيبهم من الحضارة الحديثة ، أعتقد فى تقديرى أن مبعثه الأزهر الشريف ، ولو سرنا نحو الحضارة بدون الأزهر ، لما كنا قد وصلنا إلى ما نحن عليه الآن ، فالأزهر متمم لتلك الرسالة السامية ...

فقضية الأزهر اليوم هى : قضية آسيا وإفريقيا .

عبد الرحمن النجار

كيف تبنى الاوطان ؟

حديث لفضيلة الإمام الأكبر مع محرر مجلة بناء الوطن .

بناء الأوطان ليس بالأمر السهل ، ولكنه أمر تذوب فيه القلوب وهو بحاجة إلى لبنات طيبة وعناصر صالحة ، وأهم ما تبنى عليه الأوطان لبنتان : لبنة من العلم ، ولبنة من القوة .

فلبنة العلم تنير السبل أمام أرباب الوطن فيتخيرون مواد البناء والأيدى البانية واللبنات التى يبنون بها .

وبالقوة ترد عن البناء عادية المعتدين ، ومتى كمل البناء وسويت اللبنات على هذا الوجه من العلم والقوة قام البناء بمهمته وأدى وظيفته فى الحياة من غير خوف عليه من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أعاصير الأحداث وأحداث الأعاصير .

فعليكم أبنائى - وأعنى أبناء الصحافة جميعا - بملء القلوب بهذين العنصرين ، فبالعلم البناء وبالقوة الحفظ والصيانة ، وصدق الله العظيم إذ يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » .

وقوله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوة فقال : « القوة الرمى وكررها ثلاثا . فأطلق كلمة الرمى لتشمل كل ما يرمى به دفاعا عن الدين وعن الوطن .

هذا رأيى فى بناء الأوطان ، وهى نصيحتى لك ولإخوانك الصحفيين ، فالصحافة مع الأزهر يكونان جهاز الدعوة إلى الأديان والأوطان ، وما لم تتفق جميع الأجهزة وتسير فى خط واحد فلن نصل إلى مقصودنا.

أما قانون الأزهر فى واقعه وفى نظر من يقرؤه ويدرس ما فيه . فهو بدء مرحلة جديدة تعلى من شأن الإسلام وتظهر مبادئه عن طريق البحث الجامعى الحر ، وهو من جهة أخرى يصل ما بين الطلاب الأزهريين وإخوانهم الطلاب فى المدارس المدنية بعد أن فرقهم الزمن واعتبر كل فريق من الطلاب كأنه من أمة أخرى ، لا يجمعهما رباط ولا تشرق عليهما شمس .

والآن والحمد لله يجتمع أبناء المدارس مع أبناء الأزهر فى دار واحدة ، وفصل واحد يستمعون إلى أستاذ واحد لفكرة واحدة . هى فكرة الدين والوطن .

وحسبنا وحسب المسلمين جميعاً من هذا التطوير أن طلاب الثانوية العامة فى مدارس الدولة تقدموا لامتحان القبول فى كلية : الإدارة والمعاملات ، وأدوا الامتحان بنجاح فى القرآن الكريم والشريعة الإسلامية فى العقيدة والأحكام ، وهذا ما كان ليتحقق إلا بعد أهوام وأهوام ...

فليهنأ المسلمون عامة ، وأبناء الجمهورية العربية المتحدة خاصة بهذا ... ونسأل الله التوفيق لهذه الجامعة والرجال الذين يهيمنون على المعاهد الدينية والمدارس ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the earth whether in mountains, seas, rivers, or skies, in his service and for his own profit. He is over and above endowed with all the treasures known or unknown to him and he is on his way to reveal them.

Man's place in the universe was determined as such because he was the creature prepared for gaining the profits of the universe and the creature perfectly shaped and modelled to attain that end.

"Who made all things good which He created, and He began the creation of man from clay; then He made his seed from a draught of despised fluid; then He fashioned him and breathed into him of His spirit; and appointed for you hearing and sight and hearts. Small thanks give you." (S. 32, V. 7 — 10).

Besides life (and breathed into him of his spirit) which is the power to enable man as well as all other living creatures to move and seek his living, man was endowed with hearing and seeing which are the most powerful means of realising what is around him. He also was given the heart which is the abode of belief and creed. Over and above he was endowed with the mind which is source of understanding and conceiving what is beyond touch and vision. By such gifts man was distinguished from all other creatures. For such peculiarities he was given a special place in the life of this universe. Islam through the call to belief in one God aimed at reviving man's conscience as to such distinguished place and at arousing his sense of human dignity.

Thus the call to belief in one God is mainly a call to man to know himself and to know his peculiar place in this universe and to comprehend his value in this life. It is incumbent upon man out of dignity as a distinguished creature to know his proper place and to realise his inherent values. On the other hand it is rather degrading and humiliating to keep himself within the bounds of the inherited creeds which call for the Worshipping of gods other than Allah such as idols, images, and men who in the order of creation are either below him or on the same footing with him.

The call to monotheism is moreover a call to liberation and liberality, a call to dignity and might and a call to freedom in motion and research throughout the world to reveal its secrets and to solve its riddles. It is man's own right to move and seek in such universe, which the Supreme Creator has bestowed upon him, the mastery of its resources whether in heaven or on the earth and whether over ground or underground.

(Continued . . .)

ideals which are the perfected values. The endeavour to attain such sublimity can only be realised through the belief in Him only. through the belief in the absolute perfection in existence that is Allah. It is by the belief in Him only that one can rid himself from the humility of serving in his Worship a tangible creature, one can free himself from the slavery to a creature either below him in degree or on the same footing with him. The observance of human dignity requires to direct direct one's worship to a more sublime one than he is to a being over and above him. There is nothing over and above all existing creatures but Allah who is above all and "There is nothing like Him".

In the olden times man worshipped animals as well as idols made of stone. He too worshipped his fellow-man " They Worship besides Allah that which neither hurts them nor profits them, and they say: These are our intercessors with Allah. Say: Would you inform Allah of (some thing) that He knows not in the heavens or in the earth ? Praised he He high exalted above all that you associate with Him ". (Surah 10. V. 19).

Man had worshipped idols, images, animals and all sorts of things which we have counted and others which we have not counted save Allah. He had tied himself and his future in life to these terrestrial beings which can not hear the prayers, or even if they could hear them could never respond because they are unable to understand or to act accordingly.

Mohamed's mission, may peace be upon him, called people to believe in one God. His call was the same as the call of the prophets who had preceded him before it was mutilated by the apolgists of such religions " And We sent no messenger before you but We inspired him, (saying) There is no God save the (Allah), so Worship Me ". (S. 21, V. 25).

In fact Mohammad was sent by God to readjust the human values to revive man's dignity and to correct his status in life and the universe. " He it is who created for you all that is in the earth ". (S. 2, 29) ".

" See you not how Allah has made serviceable unto you whatsoever is in the skies and whatsoever is in the earth and has loaded you with His favours both without and within ". (S. 31, V. 20).

However man's place in life is such as ordained by God to be the sole owner of all that is in earth, to have all what is in Heaven and on

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

many inherent potentialities and so many latent drives. They all are cropped out to defend his own safety and his own existence by arming him with certain abilities to keep him either powerful to be feared and respected or to show him as a pugnacious warrior who can fight the oppressors.

The Islamic Society :

The Islamic society was formed to realise one end, that is to attain liberation and supremacy. In other words, it was formed to fight weakness and achieve power and authority. The Islamic society has a peculiar status in that it does not confine itself to a limited area or certain race. It is a society which comprises humanity at large. Thus it arises to liberate humanity from the bonds of superstition and soothsaying, to rid it from false beliefs in casuality and images, and in polytheism. It arises, on the other hand, to be free from such bonds and to lead a life of authority and power : an authority to overthrow oppression and slavery an authority to curb itself from ill-deeds, obscenity and adultery, and an authority through performing the duties, a power in spirit and conscience, a power in following the right and performing the good, and power in offering what leads to the achievement of ease and happiness of humanity at large.

As such the Islamic society is both liberal and moralistic.

1) The belief in one GOD.

To liberate humanity from all forms of weakness and humiliation, Islam makes it encumbent upon man in the Islamic society which will be the abode of freedom and liberality to offer his prayers only to Allah and to Him only and never to associate with Him any partner. Allah only is to be worshipped and he is the absolute perfection in existence. "Allah there is no God save Him. His are the most beautiful names".

The attributes of God, praise be to Him, are the traits of perfection for which He deserves to be our Lord and to be worshipped. "That is God, your Lord ! There is no god but He, the Creator of all things : then worship you Him : and He has power to dispose of all affaire. No vision can grasp Him, but His grasp is over all visient : He is above all comprehension, yet is as acquainted with all things". (Sourah 6, V. 103).

The belief in one God is the turning point in the life of humanity. It is the turning point between short-sightedness in belief and conception which should disappear and go into oblivion and a far sightedness enabling man to set forth seeking the

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE ISLAMIC SOCIETY AND ITS OBJECTIVES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

The Society :

A human society is not a mere gathering of a certain number of people however their counting may be in a certain locality. The human society only exists wherever there is a common case which unites a certain people living in one locality. In contrast, the primitive people never form a society because they are only a collection of people without a common aim. They have nothing to unite their effort. They only live together while each is making his own living and satisfying his own needs of food, drink and sexual desire. Such people remain disintegrated until they find a certain aim for which they work together to achieve a common end. Whenever they realize such collective effort, they turn to be a human society.

The objective of a human society is the achivement of an end which is far beyond the mere satisfaction of any biological desire. It is the realization of a common objetc which bears upon their common will as a group of individuals forming by their mutual endeavour the society which unites them all.

Such objective may be the seeking of sovereignity or the liberation from occupation or submission to others. A human being encountering another, the may either endeavour to submit him self to his rule or to struggle to get rid of such rule. Human societies as well through their old and recent history are working along the same lines. They realize their existence or self conscience either through the struggle for sovereignity and supremacy or through the struggle for liberation from the control of others. Thus it is evident that the objectives which the individual seeks to realize in his limited and private life are quite the same as those which the society as a whole seeks to achieve in public life. In each individual there exist so

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

indeed hearing, sight and heart, all these are favours for the right use of which one is responsible". (XVII, 38). "O you who have believed, if a reprobate comes to you with a report, make certain it is correct before taking action, lest you may injure honest people unknowingly and then you regret what you have done". (XLIX, 6). "O you who have believed, let not one group of people make mock of another; they are possibly better they; and let not women make mock of other women, they are probably better than they; do not scoff at each other, or revile each other with nicknames . . . . . Avoid much suspicion. Suspicion is sometimes a sin". (XLIX, 11/12). "Say to the believers that they cast down their eyes and guard their private parts. This is more becoming for them . . . And say to the believing women that they cast their eyes and guard their private parts and show not their ornamets, exept so far as they (normally) appear, and let them throw their scarves over their bossoms . . . ." "(XXIV, 30). "O you who have believed, do not enter houses other than your own until you have familiarised yourself to its inmates and saluted them; that is better for you . . . . If you find no one there, do not enter until permission is given to you, and if you are told to go away, go away . . . . ." (XXIV, 27/28). "O you who have believed, when you are asked to make room in gatherings, make room; Allah will make room for you . . . . ." (LVII, 12).

These are the major elements of the Islamic system for a prosperous and happy life. Islam has demanded that all men, subjects and rulers should cooperate towarde the observation of these elements of its teaching and should fear God in them. The Qur'an reads, "O you who have believed, have piety, the piety due to Allah, and die not except as Muslims. Seek strength in the bond of Allah as one body and do not separate up . . ." (III,97/98). "And let there be found of you a community inviting to good, urging what is reputable and restraining from what is disreputable." (III,100).

This is Islam, and this is the religion of Allah. This is the life planned by God for His creatures. What else can we crave for? There can be no better system and there can be no better organisation. "O you who have beleived, enter into the bond of peace altogether, and follow not the steps of Satan." (II, 204).

Wassalamu-alaikum warahmatu-llahi-wa barakatuh.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Therefore, licenciousnes and immorality which are destructive to his institution are severely condemed, and abstinance from union outside the wedlock is not only virtuous but is also given the honorific name "Honour!" In this way Islam ensured full cooperation towards the fundamental goals through closey-knit and well organised human relations.

Ties of Kinship result in small blood groupings, through which the immediate needs of the individual way be fulfilled. Such grouping, however, is limited in scope and naturally breeds racialism and prejudices. Islam therefore has established the bond of brotherhood which crosses the boundaries of blood and all the barriers of geography and nationalism. On the basis of this bond, Islam has established a nation-The Ummah of Islam - in which all citizens are equal regardless of their origin, their colour or their tongue.

The safety of this nation is the collective responsibility of all Muslims on earth, and measures for defending it against agressors are to be adequately taken. Sura VII Verses 26-63 read, "Prepare for them whatsoever force and cavalry you are capable of gathering to overcome those who are the enemies of Allah and your enemies as well as others besides them - whom you don't know but Allah knows.... And if they are inclined to make peace, make peace." (VII, 62-63).

In this nation or society of Islam all mutual rights and obligations are well defined, namely, between the individual and his kins, between the individual and his immediate neighbours, between the individual and the rest of the world of Islam and between the individual and his temporal authority. Manners of good conduct and courtesy are given an adequate importance. In this connexion the following passages are quoted; "O you who have believed, obey Allah and obey the Messenger and those of you who have the command." (IV, 59). "The believers are nothing but brothers." (XLIX, 10). "Do not (be disdainful) screwing up your cheek to the people, and walk not boisterously upon the earth. Indeed Allah does not love any conceited boaster. Be moderate in your gait and lower your voice.." (XXXI, 17/18). "Do not walk boisterously upon the earth; indeed you will not make a hole in the earth, nor yet reach the mountains in stature," (XVII, 39). "Do not seek to peep through the privacies of others,

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

laid the earth low for you; so walk about in the regions of it and eat of His provision . . ." and sura IV Verse 33 reads, "O you who have believed, do not consume your property among you in vanity, except there be trading by mutual consent on your part."

While Islam praises work for earning wealth it teaches moderation in spending and condemns dxtravagance and meanness. It encourages the practice of thrift, and urges those with wealth to be charitable and kind to under-priviledged. Sura XVII Verse 28 — 29 reads, " And give to the kinsman his ritgh, and to the poor, and the follower in the way, but do not be extravagant at all. Verily the squanderers are the brothers of the Satans and Satan is to his Lord unthankful." Verse 31 of the same chapter reads, "And neither keep your hand chained to your neck, nor spread it wide open and so sit blamed and inpoverished."

In this way Islam has solved the thorny problem of wealth, which for long threatened peace and has been causing endless troubles. Islam thereby has reduced the danger of the financial greed and destroyed the dangerous seeds of communism. It preserved the incentive for work and opened the gates for healty competition in exploring the potentialities of nature and exploiting them in the service of mankind. This is in addition to eliminating misery and promoting love and mutual understanding.

The teaching of Islam guides man in the way of communicating with his Creator and in the way of worshipping Him. All the details of worship are given, and they are made in such a way as not to encroach upon the needs of material life. They aim at fostering the ties of brotherhood, among the worshippers by the inspiration of peity and righteousness.

Islam, moreover, has mada learning and seeking knowledge a most worthy pursuit. By learning here is meant to seek knowledge of the secret of the universe. Such knowledge strenhthens the faith in the Almighty, and helps towards the progress and advancement of the society. In this connexion the Qur'an reads, " Of His servants only those woh have knowledge fear Him." [XXX, 25]. " Say : Ars those who have knowledge on the same footing as those who have not." (XXXIX,12). " Allah will raise up in honour and status, those who have believed and those to whom knowledge has been given." (LVIII, 12).

The stability of the family is of a paramount impotance in Islam

series of the Prophets. He is related to have made the following simile, " I, as last, and all the Prophets who were sent by Heaven before me, resembled a house which the architects perfected and which they adorned with all sorts of decoration. A place for one stone was left out empty, however. People went inside the house and admired it. But they would say, how perfect and how beautiful the house is except for that empty space for one stone ". The Prophet continued, " I am the stone and I am the seal of the Prophets".

* * *

By harmonising the physical and spiritual needs of the individual, Islam, as we have seen earlier, has assured a happy and prosperous life, and helped society to advance and to progress.

We now propose to discuss the elements in the Islamic teaching which aim at a harmonious and orderly social life where the needs of the individual and those of his community are guaranteed.

In the first place, Islam guided to the belief in truth, in the Unity of the Righteous and Benevolent Creator whom alone our devotion and prayers are to be addressed. The relationship between man and his Creator, who sustains him and who provides for him, is direct, and there is no intercession or intermediary in Isalm. This inspires the individual with the sense of dignity and self-respect, and with courage and justice. He would say the truth because it is the truth, and follows what is right because it is right.

In the second place, Islam encourages hygienic practice, and requires its adherents to be healthy and strong. Any practice and anything that is phsically injurious is prohibited, and the believer is instrcted to safeguard against infection and the causes of illness. Again, all practices that would adversely affect the intellectual power are not allowed. Therefore wine and opium are to be avoided. Sura V verse, 92 reads, " O you who have believed, wine, gambling, stone alters and divining arrows are simply an abomination some of Satan's work . . ." V. (92).

The pursuit of earning by tilling the land or through trade or industry is highly praised, and is reckond a kind of worship for wich reward is assured. Sura LXIIV verse 10 reads, " Then when the prayer is finished scatter abroad in the land and seek the bounty of Allah and call Allah frequently to mind . . ." Sura LXVII Verse 15 reads, " He it is who has

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

depens on the fulfilment of the needs of the body and the requirements of the soul. Physical enjoyment, however, should not encroach upon the spiritual needs, and the cravinge for spiritual purity and perfection should not lead to physical suffering or deprivation.

Man is therefore, allowed and even encouraged to enjoy within his means the pleasures of life without excess. He is permitted to eat good food, to drink what is not harmful and to wear elegant clothes. He is permitted to enjoy living in elegant houses, the accumulation of waelth and the company of the opposite sex, But he is forbidden from committing abomination and from seeking the fulfilment of his pleasure through means that would be in any way injurious to himself, to his family or to his society. On the other hand, man is guided towards spiritual purity, spirtual enjoyment and spiritual elevation through spiritual training in such practices as fasting, pilgrimage, meditation, reflection in God's greatness and creations, and through seeking communion with God in prayers!

In this connexion the following passages from the Qur'an are quoted :

Sura VII Verses 29 - 30 read.

"O children of Adam, take your adornment at every place of worship and eat and drink, but do not be extravagant. Verily He loves not those who are extravagant. Say, Who has forbidden the adornment which Allah has produced for His creatures and the good things He has provided ?". The Qur'an continues, "Say, My Lord has only forbidden indecencies, both open and secret, and has forbidden evil and unjustified greed . . . .". Another verse reads, "O you who have believed, do not make forbidden the good things of what Allah made permissible for you; and do not trangress...." (V. 89). Another verse reads, "Say, My Lord had commanded justice. Set yourselves in order at every place of worship, and pray to Allah, associating no one with Him as an object of your devotion and worship.' (V. 28).

Thus, Islam, by harmonising the physical and spiritual needs of the individual, and by directing tbe fulfilment of these needs towards the well being and the advancement of society Islam has become the faith of the spiritual and material worlds at one and the same time. Islam is the last religion revealed from Heaven, and it was revealed with a system of life that has pushed man leaps higher on the ladder of progress and civilisation. The man who was the exponent of the faith; Muhammad, son of Abdullah, was the perfect and the last one in the noble

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ISLAM AS A SYSTEM THAT ENSURES HAPPINESS AND PROSPERITY

Delivered by
His eminence shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University
During his visit to Malaya

For the benefit of those with "living hearts" and with righteous souls I offer this essay in which I give a brief analysis of the principles established by Islam as a means for a prosperous and successful life.

I pray that this essay will be intelligently studied, and that the readers and listeners would hold fast to the enanciated principles until good defeats evil and prosperity replaces misery, so that mankind may enjoy glory in this life and eternal happiness in the next.

* * *

God, in His grace, established the faith of Islam and has made it a system which ensures peace and prosperity both for the individual and society in this world, and which guides to success and to eternal happiness in the world to come. There is nothing useful or beneficial or righteous in the world except that it is recommended and encouraged by Islam, and there is nothing harmful or evil in the world except that it is prohibited in Islam.

The guidance of Islam is comprehensive and embracing. Man is not left along in life to the physical pleasures or the material needs that would drive him away from the advantages of the immortal life, nor is he left alone to the attractions of the material needs and the legitimate enjoyment. The Islamic system is based on firm foundations, on the fact that man is a body and a soul, and on the recognition of the needs both of the soul and of the body.

The body has certain legitimate needs, and the soul has legitimate requirements; and Islam recognises that the ultimate happiness of man

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Quran only : "Take what the Prophet has given you and avoied what he ordered you to avoid, and be pious if you believe in God".

The state system in the modern society regards as the area of infuence the physical entity of man rather than his spirit. Perhaps it does so in order to leave to the church the "spirit" as its area of influence. The separation between church and state is in accordance with the division that took place at the time of the french Revolution.

But the system of society in the nation which God created regards man as a whole, his physical as well as spiritual entity, as the area of its protection, Thus it took care of the body as well as of the spirit by considering man one unity which is under one leadership. This system encourages man psychdogically to be creative by way of his conscience.

Perhaps the worst stain in the state system of modern society is that " dualism " of religion and state, the split into two authorities, the authority of the church as religious authority, and the authority of the state as the secular authority.

But in the nation the God created the society is not divided into two authorities. Instead, its system follows one leadership and one guidance : "The system of God which is the best system."

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

among the people are guided by co-operation, love and fraternity. This is the highest ceiling human society.

The nation which God created is not a divine one, nor is its society sacred or its ruling class holy because of their relationship to the Book of God. The individuals of this nation are rather human beings, its society is a human society and the ruling class are people apt to committing mistakes once in a while.

The goverament in the nation which God created is not a divine one does not have to be obeyed without question or heard without argument. It is rather a government which derives its decisions from consultation. This government may continue as long as it recognizes justice and nourishes good inter-relations among the people.

Man in the nation which God created is active. He practices his rights according to his qualifications. He may hit the target now and fail it the next time.

The only difference between this man and the man in the state which man made is the former is not conceited by his human qualifications nor is he deceived by the independence of his mind. He, beside using his mind and human faculties, seeks consultation in the Book of God, God's Book is no more than general planning for the sake of mankind. Wherever is found any narrow limitation in interpreting the Book of God it should not be attributed to the quality of the Book, for interpretation is the work of man.

Until now, the Muslims in the Islamic oriental society cannot clearly comprehend that the dual system which in Europe led to the separation between state and church has no relation to either Islam or its system.

Islam is not a church, its jurists and scholars are not priests. But Muslims are all equal. They are first of all Muslims, then people of vocations and professions. Islam has no group assuming divine authority or which spreads its influence over the people, physically or spiritually, in the name of God. They are all equal citizens of one nation. This nation is that to which the Quran referred in the saying: "You were the best nation created for man".

Islam, after all, is not responsible for the misinterpretation of its instructions and general maxims. The responsibility of Islam lies in the

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

distinction. This group is the ruling class, the "people of decision", of whom God says: "Oh people, who believe, oby God and oby the Prophet and the people of decision among you. If you had any dispute over something, solve it in the light of the instructions given by God and the Prophet if you believe in God and the Day of judgement. This is the best for you". The people of decision are those who distinguish themselves by striving to understand what God revealed and endeavoured to comprehend the Book of God and distinguish themselves by their ability to apply analogy. They are the endeavorers and therefore their instructions are to be obeyed and followed and obeying this group is obedience to God and His Prophet.

Islam relates obedience of these instructions to obedience to God and His Prophet and therefore obeying the law becomes obedience founded on conviction and belief combined. Thus, deviation from law is minimized since law is not imposed from outside. It is neither limited nor codified by peole whose merits lie in their humanity alone, but because they are pious scholars.

From this comparison between the state which man made and the nation which God created we infer that the system of government, or the syetem of guiding the individuals in human society, which depends on the existence of the three authorities - the executive, judicial and legislative authority - is found in both societies. This is because it is a prerequisite for the existence of any pattern of society. Later on some shortcomings crept into the government system of the modern society. These shortcomings made the system insufficient for reaching the ultimate goals of society which are: stable inter - relationships among the individuals and equal opportunities for them. Meanwhile this system looks at the individuals as groups of aggregates which should be pushed without considering the freedom of the individual and human dignity.

The system of government in the nation which God created, as we previousiy pointed out, corrected the defects existing in the state system. The nation of God recognizes the strong conscience of man and man's belief in God. From these two principles spring personal freedom and human dignity. At the same time the inter-relationships

a result conscience is one's final resort in his judgement and talk. And this is how the judicial right is founded on conscience as well as on jurisprudence and the people know what God has allowed and forbidden, and revealed.

The judicial authority in the state system also relies on jurisprudence and coscience. But it is the jurisprudence and conscience of man. It is not law of God nor is it the conscience which springs from the fear of God. Add the difference between the defined and the unlimited. It is the difference between that which is not influenced and that which is influenced. The difference between the consience of man and the conscience which springs from the fear of God is the difference between power limited by the factors of environment, heredity and the executive authority and the power which is above this limitation, for it is guided by God Himself.

The phenomena of jurisprudence and conscience in judicial matters are necessary factors in applying justice. But the kind of jurisprudence as well as the kind of conscience is more important in applying justice itself. It is, perhaps, the predominent factor in doing or neglecting justice.

To evaluate conscience, which is founded on belief in and fear of God, and its value for doing justice the Prophet, peace be upon Him, says the following to two persons who had come to Him with an argument: "I am nothing more than a human being. It may happen that one of you will be more eloquent in presenting his case and thus I may do wrong by judging in his favor. The one, whom I may fovor by giving him part of his brother's property is like the one who took a piece of fire".

3) Beside the executive and the judicial right in the nation of God there exists also the legislative right which is similar to the legislative authority of the state system in modern society. The legislative right is not delegated to a committee which is formed by way of national election or by way of appointment by the executive authority, but is delegated to a group which is formed by way of natural election, i.e. by way of personal distinction or personal qualification. These qualifications alone are the sign of selection and

THE STATE THAT MAN MADE AND THE NATION WHICH GOD CREATED

by
Dr. Mohammad El-Bahay
The director of Al-Azhar University in charge

— 2 —

2) The judicial right is also found in the nation of God in the function of installing justice as is supposed to be in the judicial authority which is the second pillar of the state system in modern society. The Glorious Qur'an says: "When you judge among people, judge justly. God's commandments are the best. God is the one who hears and sees." It also says: "When you speak, speak justly even when it concerns your relatives." Quran thus demands that among believers speech and judgement should be fair. Quran emphasizes its demand by saying that justice in judgement and talk should not be influenced by either emotion or relationship. It also demands justice even when the affairs concern unbelievers. It says: "Don't let your hatred lead you to do injustice. Doing justice is the shortest path to piety. Be pious for God knows what you are doing". But the existence of the judicial right in the nation of God differs from the existence of the judicial authority in modern society and because of this differentiation the nation of God distinguishes itself for recognizing justice and strengthening the stability of the ralationships among the citizens.

Islam, therefore, asks for justice in judgement and talk between believers and unbelievers and constantly mentions this jointly with the reminder of observing God and It demands that a judge or a speaker should remember God in his actions. The verses of justice in Quran, always end in: "The commands of God are the best." "This is what God entrusted you with." "Be pious for God knows what you are doing." Quran thus constantly remindes the people of God so that man, in his judgement, verdict or speech keeps distance from his emotional bias. As

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

of the Muslim life, clear the way in front of the Arabs to lead the way to their greatness and to restore their glorious past. Indeed, Al-Azhar is the university which undertakes to keep the immaterial personality of the Arab nations. It is the university which the united Arab Republic pays all its expenses and which peoples depend upon it to keep the Arab Nationalism.

Though Al-Azhaar university is on the land of the united Arab Republic, it has an important and an Arabic international position. This is because it is the source of the islamic and arabic studies, as it is the place which attracts the students who look for islamic and Arabic culture. Hence, Al-Azhar is the university which sends its rays to the whole world to lighten the way in front of all mankind and to guide them to the straight path.

Nearly, every Arab and Muslim nation has delegates of its students studying at Al-Azhar university, the nations send students to receive islamic and Arabic education to guide their people when they finish their studeis at Al-Azhar and return back to them. The studies of Al-Azhar teach students the virtue of unit in the different spheres of life and prepare them to face thier enemies, as well as it teaches them how to treat each other brotherly and kindly.

Verily, the role of Al-Azhar university is not a local one, it does not teach only the general human aspects, but also it teaches all the knowledges which benefit the human beings during their life and which lead them to the good in the Hereafter — Moreover, Al-Azhar university is performing an international part such as consolidating the relationship among the nations and the govrnments. This is because, it purifies the people's hearts and plants good feelings in it, Hence, the message of Al-Azhar became the link which ties the sky to the earth, and which makes a way for the arabic policy that benefits the nations which follow it.

This is the duty of Al-Azhar university due to the Arab Nationalism. Al-Azhar — wheather in olden times or in the present times — is the international university which opens its doors for all Muslim students from all nations of the the world. This is — by the grace of our revolutionists and their leader Gamal Abd El-Nasser who is making his utmost to make. Al Azhar the university of the peoples from everywhere, our leader also is doing his best to enable this university to preach and spread its messoge, to perform its duty completely and to lead Arab and Muslim nations to the top of glory and greatness.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

is against tyranny and aggression wherever they are, it also spreads justice, equality and brotherhood. Hence, the imperialists are trying their best to destroy the economic system of these nations, but by the grace of the Arab Nationalism and the struggling of the faithful young men, the economical condition is now advancing to the better and people are leading their way to the complete prosperity and the full progress.

The Arab economical condition had passed through a crucial period of its history, it was the period of decline and the time of the weakness. Hence, the aggressors started to prepare their plots for the occupation of our land till they succeeded, and consequently, some of the ill-mannered people let their nationality aside, forgot their previous glory and greatness, and helped the imperialists who aggressed people and humiliated the free youngmen. In this respect the Quran says: "Those in whose hearts is a disease - thou seest how eagerly they run about amongst them, saying" We do fear lest a change of our fortune bring us disaster "Ah perhaps God will give (thee) victory, or a dicision according to his will. Then will they repent of the thoughts which they secretly harboured in their hearts."

[Surah the Table, verse 55.]

At the time, while tyrants and the aggressors were making their utmost to destroy our glory and geeatness, will of God was preparing for our benefits, God inspired some of our faithful youngmen, under the wise leadership of the presedent Gamal Abd El-Nasser, to revolt against those who aggressed our people, separated us, occupied our land and took our properties forcely. At the same time, Al-Azhar university was performing honestly his devine message for the benefit of the Arab Nationalism, the professors and the students of Al-Azhar were facing these terrified events with faithful hearts and good spiritual souls. Hence Al-Azhar is considered in the sight of all people as the sole university which offers its services to all nations and societies. Moreover, it is an important organization for the islamic and the arabic studies, and as a result of this, students from all over the world came to have an islamic education in the oldest university on the earth, and this — by turn — leads them to know each other, to exchange openions and to discuss with one another: How to solve their own nation's problems.

Surely, the university of Al-Azhar is performing its holy message, since more than one thousand years. This message includes regulations and rules which cotrol all the aspects

Arab nations everywher to each other. No doubt that Arabic language is the one which expresses all the Islamic thoughts that prevail in the life of the Arab and the Muslim societies. Any one studies Islam, its teachings and prenciples, will observe that the Qur'an and the prophetic traditions are its main sources. And because Islam was revealed into arabic environment, and to the people whom language is arabic, this language became a tie and a motive for unit among the nations that embraced Islam and carried out the instructions of the Quran. Consequently, arabic Qur'an was the cause which attracted the non-Muslim Arab nations to be converted to Islam, this is because its language is their own. Moreover, many of the non-Arab Muslim nations became the greatest because of their inclination towards Islam and its language. Hence, Islam became the strongest tie among the Arab nations, and this tie is granted to them by God, so it is also stronger than any other kind of connections.

If we observe that Arab Nationalism has taken its position among the nations of the world, we must keep in our mind that this position is by the grace of the faithfulness which filled the hearts of the active, youngmen of our nation. Surely, Arab Nationalism, which reached to the highest top of glory and greatness, is reached to this rank by means of the Arabic immaterial personality, besides the faithfulness of its individuals' hearts.

As a matter of fact, the solid foundations which the Arab Nationalism had been built on, will last to be provided with the instructions of the two great sources of Islam "Qur'an and prophetic traditions", these sources will last forever. Surely, Arab Nationalism is the power which stands as an obstacle in the way of the imperialists who tried to humiliate the weak nations, occupied their lands, took forcely their properties and treated them badly and unkindly. The leader of the Arab Nationalism " Gamal Abd El-Nasser" is always supplying the weak nations with activity, teaching the humiliated people how to be enthusiastic fighting openly against the tyranny and leading the peoples to the right way which enables them to live in suitable standard of living under the flag of freedom, fratirnity and peace.

Now every one can observe that Arab Nationalism is the obstacle which hinders the advancement of the aggressors, it also attempts to stop the race of the armament among the big nations. In fact, these big nations had built their glory and greatness on the shoulders of the other weak nations. So, Arab Nationalism supports every weak nation, it

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

AL-AZHAR IS THE PROTECTOR OF THE ARAB NATIONALISM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The following article is the answer to the question which was addressed to his eminence Shaykh Mahmoud Shaltout, Rector of Al-Azhar University, by one of the newspapers correspondents.

Dear brother: On the pages of the newspaper which you work at, you have written a group of questions asking us to answer them. These questions are about the difinition, the foundation and the guidance of the Arab Nationalism for humanity in the different aspects of the life which benefit people everywhere. And particularly, one of these questions was about the duty of Al-Azhar university due to all these aspects. Putting an answer for this question, I should firstly introduce the following facts:

Every nation has a materialistic personality which belongs to its climate, its area, the nature of its land and its environment, as well as it belongs to its individual's tallness, fatness, colour and the other physical qualities.

Also every nation has an immaterial personality which is clearly centerlized into its mottos, its convictions and its aims which it always defends with all its might. The more stronger is that the immaterial personality is the more powerful link which joins the individuals of the society to each other as it is the way which leads the nation to take its position among the other nations of the world.

As a matter of fact, the immaterial personality is the strongest link that ties a nation to a nation and which joins a society to another. Indeed, Islam, is the spiritual religion, is the best contact which links the

soldiers are living, their arms are not bombs but Qur'an, their mean is not death but life, their aim is not distruction but construction and their purpose is to spread among all mankind equality and peace. Because our leaders are making their utmost to realize the best leadership for their people's freedom, because they want to be the pioneers of the world peace, they should gather both the power of Al-Azhar camp and the power of the military camp to gether in one place. Hence, they will be gathering the materialistic arm to the spiritual one. Moreover, they will be establishing on the landwhere the imperialists erected up markets for slavery — minarets for guidance and refuge for freedom.

Surely, we have the opportunity to work, the land of Alrica is ready to be cultivated and Al-Azhar is, very eager to put the seeds. Hence it is the duty of our State to play the part of sendiog clouds to water the thirst african souls which are very keen to drink islamic knowledges and religious education. Afte that, Africa will has the ability to exist the faithful youngmen who understand the meaning of the real independence and who can offer proofs very obvious in front of the European peoples that man is known everywhere by his work and faith and never deffers or distinguishes according to natmionality, colour or race.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

people, to lighten their minds and to guide them to the straight way when they return home.

Now, there are about three thousands of the foreigners tudents in Al-Azhar university, but this number is less than what actually the spiritual struggle needs in new Africa. Surely, the evacuation of the imperialists from Africa, will give a chance to those who struggle in the cause of African language and the islamic teachings to widen its area and to extend its land. Now, it is the duty of the State to support the university of Al-Azhar and to help it to carry out its plan through the fertile land of the new Africa, it is its role to enable Al-Azhar to preach its message by giving it money to realize its good hopes in this great Continent.

Supplying Al-Azhar university with money, and giving it a chance to preach its divine message among the african idolators, it will pick them out of the slavery of the spirit, mind, and body. As well as this matter is a great political profit that imperialists tried to gain it — wheather by tricks, by temptation, by the time or by shedding blood, but they had been evacuated out of this good land which they humiliated its people, treated them unkindly, took their properties and wealth and let them living in a complete poverty, illness, ignorance and difficulty.

Indeed, Islam will improve all their conditions. it will change them completely from darkness to light, from poverty to richness, from illness to health, from disruption to good and from disintegration to unity and brotherhood. At-that time, they will not find among them any one who is called master or servant according to his colour, but they will find that all people enjoy freedom, the national wealth will be devided among them justily and all of them live in a suitable standard of living and enjoy all the human rights.

If the african people untlerstand Islam and believe in its teachings with faithful hearts, it will surely promote them to the highest top of freedom and humanity, where there is no distinction among the people because of nationality or colour, but there wil be people like Abu Bakr, Omer and Othman beside Belal, Sohaib and Salman.

Really, Al-Azhar university can be considerd as a camp, where God's

the Islamic institutes to pave the way for the french civilization to be spread here and there, and this will lead us to occupy the helpless nations".

This is the strength of Islam relegion in the christian preachers openion, and that is its effect in the imperialist's view. Indeed, Islam — is looks like the water which benetrates rocks and stones — passes through the viels and the obstacles of the nature so. But to give Islam the chance, to move forward very easy, and to enable it to trod over the hindrances which prevent its starting to spread its guidance and advices, we should remove these obstacles from its way, and this will help Islam to lead the way with complete easiness. To remove these obstacles and to oblitirate them, we have to use an instrument which is Al-Azhar university. As a matter of fact, Al-Azhar university in Egypt and the first sanctuary in Mecca are the two things which combine the meaning of Islam in the minds of the African Muslims. The african Muslim considers that the sacred Mosque is the place where his faith is planted and at the same time considers that Al-Azhar university is the place where the Islamic teachings and principles can be obtained.

Verily, Al-Azhar university spares no effort to preach its divine message among the people of the african continent. For example : It sent some of its learned men, its professors and advisors to Somali land, to Abysinia and to the other parts of the world. Moreover, Al-Azhar is surely doing its utmost to make the preachers who preach Isalm in Africa, of the youngmen of Africa itself, this will enable the preachers to preach Islam in the language of the african people themselves according to the Almighty God sayin "We sent not an Apostle except (to teach) in the language of his (own) peole, in order to make (things) clear to them. Now God leaves straying those whom He pleases and guides whom He pleases : And He is exalted in power, full of wisdom ".

(Surah Ebraham, Verse 5).

Al-Azhar university established the muslim foreigners hostel where all the foreigner students — who receive educatiou at Al-Azhar — are residing. This hostel offers lodging and food — three times daily — for all those students freely. Also Al-Azhar gives them knowledges, prophetic traditions and provides them with all the means of preaching to transfer God's message to their

it is the natural easy religion, as it has no complexity or difficulties and also because it is the feature of monotheism, and faith which denies the intercession between man and his creator, Millions of people embraced it or gladly converted to it, for example: 3,245,390 persons from Abysinia converted to Islam, 1,746,301 in somali land, 300,000 in Zanzebar, 200,000 in Quenia, 1,500,000 in Tanganica, 138,000 in both Rovdisia and New Ziland, 650,000 in Mozonbique, 88,000 in southern Africa, 7,500,000 in the french western Africa, 23,000,00 in Nigeria, 30,000 in Togoland, 150,000 in Ghana, 120,000 in Ghambia, half million in Kamiron half million and four hundred thousands person converted to Islam in liberia. These numbers are according to the last census for ten years ago, and it is very natural that Muslims have been increased during this period wheather it was by the new birth of the muslim infants or by the converted people to Islam.

The effect of Islam and its attraction for all these people had been surprised the christian preachers, wheather they are english, french, Belgian, Italian or American. They gathered together and asked each other the following question: "Why did we fail to convert the idolators into christianity in spite of offering people many services like, drugs, money and education, while Islam succeeded to convert them to it without offering them any thing, also there is no government to support it or any society to help it ?" Then the christian phelosophers and the specialized people of them made their utmost to study this matter, but they failed in getting any result. But at the end, they submitted, and determind that they will use Islam as if it is a way for the idolators to passe over it to christianity. Then they began to investe the inner power of Islam and they attempted to make it as a passage to get the primitive idolators out of the darkness, after that, they will try to attract them to their modern civilization and call them to faith in and embrace their christian religion. In this respect one of the historian of the church said : "Surely, Islam is the bridge which the african people used it as a way to passe over it from idolary to christianity. Hence, we should be very kind with Islam and help it to extend its message and preach it everywhere. We must offer money for mosques and

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

YOU, GIVE AL-AZHAR A CHANCE TO CONVEY HIS MESSAGE IN THE NEW AFRICA

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Since God created the earth and ... people who are living on it, the inhabitandts of Africa continent have lived in a complete darkness: ignorance, worshipping idols, slavery and ... rialistic rnle. But, fortunately, at ... Present time, we observe that A... a is getting up after its long sle..., striving hard to achieve a suitable standard of living after its complete poverty and struggling bitterly to realize its dreams and materialize its hospes which are: Freedom, dignity and peace. Indeed, Africa continent is influenced by the Egyptian Revolution which has, its effect, not only on Egypt and Arab nations, but also on the nations of the whole East.

... olden times, the Afican people had some knowledges about ... guidance of Islam by means of the Arab traders and the muslim emigrants, and consequently, some of them felt that there is the light which oblitirates the darkness that they were living in, and that in the universe, there is Almighty God who sends his messengers to guide humanity to the right way and to spread among the people equality, morality and brotherhood. Hence, they refused to be humiliated or opressed, but the guidance of Islam was very faint in their hearts because they did not know the Arabic language which is the language of the Qur'an and the prophetic Traditions. Surely, they recite some of the Qur'anic verses without understanding its meanings, they also perform the rites of Islam by imitation, without complete knowledge about the Islamic laws. Nevertihless, Islam found its way to the hearts of the idolators. This is because